وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

ديوان خطب ابن نباتة

خطيب الخطباء

عبد الرحيم بن محمد بن نباتة
المتوفى سنة ٣٧٤ هـ رحمه الله

اعتنى به تهذيبًا وتحقيقًا

ياسر محمد خير المقداد

الإصدار
الحادي والثلاثون
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

ديوان خطب
ابن نباتة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت
في مطلع كل شهر عربي

الطبعة الأولى

الإصدار الحادي والثلاثون
١٤٣٣ - ٢٠١٢م

الموقع على الإنترنت : www. alwaei.com
البريد الإلكتروني : info@alwaei.com

العنوان : ص.ب : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف : ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩

الإشراف العام :
رئيس التحرير
فيصل يوسف أحمد العلي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

ديوان خطب ابن نباتة

خطيب الخطباء

عبد الرحيم بن محمد بن نباتة

المتوفى سنة ٣٧٤ هـ رحمه الله

اعتنى به تهذيبًا وتحقيقًا

ياسر محمد خير المقداد

الإصدار الحادي والثلاثون
١٤٣٣ - ٢٠١٢ هـ

الوعي الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم رئيس تحرير مجلَّة الوعي الإسلامي

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، أحمده حمداً يملأ الميزان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلّ يوم هو في شان، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أمّا بعد: فإن العلم والثقافة الشرعية، ميدانٌ خصبٌ لكل متعلم إذا أراد أن يستزيد من الإحاطة بلغته، ودينه، ومبادئ أمته، وحتى ينتشر هذا الوعي ويعمّ، كان لابد من توفير المواد العلمية اللازمة له، ومن أهم هاتيك المواد: الكتب بمختلف أنواعها ومناهجها ومستوياتها، شريطة أن تكون نافعة بنّاءة جادّة.

ولأجل تواصل المثقفين شرقاً وغرباً، وتنامِي الشعور بالانتماء، وتقوية أواصر الارتباط الثقافي بين شعوب الأمتين العربية والإسلامية، كانت فكرة الاجتهاد في إخراج الكنوز التراثية، وطباعة الكتب الحديثة، أولويةً عملية في مجلة "الوعي الإسلامي"، فهي

بذلك تسعى لزرع الثقافة العربية الإسلامية، بشتى صنوفها، في الناشئة والمبتدئين، وفي الصغار والكبار، على حد سواء.

وقد جَمعتْ مجلة الوعي الإسلامي طاقاتها وإمكاناتها العلمية والمادية لتحقيق هذا الهدف السامي، فتَيَسّر لها بفضل الله تعالى إخراج عدد ليس بالقليل من الكتب الشرعية والأدبية والثقافية، كان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوةٍ ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقف، وحاجته العلمية.

ومن هذه الإصدارات النافعة كتاب "**ديوان خطب ابن نباتة**" للعلامة الشيخ خطيب الخطباء عبدالرحيم بن محمد بن نباتة المتوفى سنة (٣٧٤هـ)، حيث احتوى هذا الكتاب على مجموعة نفيسة من الخطب في شتى المواضيع والمناسبات، وهو يمثّل ثروة علمية أدبيَّة نفيسة تُعِينُ الخطيب على تقويم خُطبته، والواعظ على إثراءِ موعظته، ويضيف للمكتبة الإسلامية درة نفيسة.

ومجلّة "الوعي الإسلاميّ" إذ تقدّم هذا الإصدار لقرّائها، فإنها تتقدم بخالص الشكر والتقدير للأخ الأستاذ ياسر محمد خير المقداد، على جهوده المبذولة في تهذيب الكتاب وتحقيقه، وترجو الله تعالى أن يجعل فيه النّفع للجميع، وأن يجعله خالصاً لوجه الله الكريم مُوجِباً لرضوانه العظيم.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

مقدمة المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: أضع بين يدي القارئ الكريم هذا الديوان الفذّ في بابه، الذي طبّقت شهرتُه الآفاق: **ديوان خطب ابن نباتة**، إذ هو بحقٍّ روضةٌ أدبية ومادة ثرية للخطيب من حيث غزارة وفرادة المفردات والتراكيب وجزالة التعابير وحسن الاستعارة والتشبيه مع الحفاظ على قوة المعاني والمضامين.

غير أنه ـ ومما يندى له الجبين ـ لم يسلم من سطو هواة السرقات الأدبية، فسطا عليه بعضهم فزوّر خطباً ركيكة وسجعاً ممجوجاً نسبها لابن نباتة ـ رحمه الله ـ مستغلاً شهرته الأدبية ورواج خطبه؛ وكنتُ قد اشتغلت بادئ الأمر ببعض هذه النسخ المنسوبة لابن نباتة فكان لا ينقضي عجبي من ركاكة الخطب مع الشهرة التي حازها ـ رحمه الله ـ فوقع في نفسي أنه لا يمكن أن تكون هذه

لابن نباتة، لا سيما وقد ترجم له الفضلاء من العلماء فشهدوا لخطبه بالتفوق، ولا يمكن أن يشهد هؤلاء لمثل هذه الخطب المنسوبة بهذا التميز!

وقد دفعني ذلك لمزيد من البحث والتنقيب نقدتُ فيه تلك النسخة المزورة ووقفتُ على النسخة الصحيحة لخطب ابن نباتة ـ رحمه الله ـ[(١)].

وهذه بعض الدلائل التي تيبن خطأ نسبة تلك الخطب للخطيب ابن نباتة:

١ ـ ينقل في أحد المواضع عن الإمام النووي الفقيه الشافعي المعروف ـ رحمه الله ـ مع أن النووي توفي سنة (٦٧٦) وابن نباتة توفي سنة (٣٧٤)!

٢ ـ اتفق كل من ترجم لابن نباتة على أن خطبه حماسية تحث على الجهاد، وذلك أنه صحب سيف الدولة الحمداني فكان يخطب محرّضاً الجيوش، بينما الخطب المنسوبة إليه لا تجد فيها خطبة واحدة عن ذكر الجهاد.

٣ ـ يذكر كل من ترجم لابن نباتة أن من أهم خطبه الخطبة المعروفة بخطبة المنام، وأورد المترجمون له طرفاً منها، وأنت لا تجد لهذه الخطبة ولا لعبارةٍ مما نُقل أثراً في الخطب المنسوبة.

---

(١) من هذه النسخ المشتهرة: طبعة المكتبة الثقافية-بيروت، ليس عليها تاريخ؛ وكذلك طبعة المطبعة الشرفية المصرية سنة (١٣٠٢)؛ وكذا طبعة المطبعة المليجية بالقاهرة سنة (١٣٢٥)؛ وطبعة مطبعة النهضة ببيروت وهي طبعة قديمة ليس عليها تاريخ.

٤ ـ كما أنه اشتهرت لابن نباتة بعض الخطب، مثل: القعسرية، والصوفية، والفاتحة؛ وكل ذلك لا أثر له في الخطب المنسوبة.

٥ ـ توجد بين الخطب المنسوبة لابن نباتة خطبة تعرف بـ(خطبة النيل) يصف فيها نهر النيل بمصر، بينما لم يُذكر عن ابن نباتة أنه دخل مصر.

٦ ـ وفوق ذلك كله الأسلوبُ المبتذلُ في الخطب المنسوبة الذي يجزم معه كل عاقل ببراءة ابن نباتة منها.وسأورد هنا نموذجين من الخطب ليقف القارئ بنفسه على الفرق بين الأسلوبين:

نموذج مما ورد في الخطب المنسوبة إليه: أيها الناس: اتقوا الله يغفر لكم الذنوب والزلات، واعلموا أنّ تارك الصلاة لا تجوز له شهادات، ولا يجوز عليه السلام في محضر الجماعات، فإن سلّم عليكم تارك الصلاة فلا تردوا عليه السلام، هكذا نقله النووي في بعض الروايات، تارك الصلاة ليس له أمانات، تارك الصلاة كثير الخيانات في جميع الأوقات، تارك الصلاة إذا حضره الموت واشتدت عليه الغمرات والسكرات، تُجذب روحه كما يُجذب الحرير الناعم على الشوكات المهلكات ...... إلخ.

وقارن ذلك بالخطب الصحيحة إذ يقول في خطبة يحث فيها على الجهاد: **وكونوا ممن أطاع الله وشمّر في مرضاته، وسابقوا بالجهاد إلى تملّك جناته، فإنّ للجنة باباً حدوده تطهير الأعمال، وتشييده إنفاق الأموال، وساحتُه زحف الرجال إلى الرجال،**

وطريقه غمغمة الأبطال، ومفتاحه الثبات في معترك القتال، ومدخله من مشرعة الصوارم والنبال ..).

وفي خطبة أخرى: (**أيها الناس: قلقلوا القلوب عن مراقد غفلاتها، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها، وتخيلوا فضائحها يوم تُعرف بسماتها، وترقبوا داعياً من جو السماء تُنشر به الرّمم، وتُحشر له الأمم، وتزول معه التهم ...**).

٧ ـ حصلتُ على نسخة قديمة لخطب ابن نباتة بشرح الأمير طاهر الجزائري، وكنتُ قبل أن أتصفّحها أجزم أنه لا يمكن لمثل الأديب طاهر الجزائري أن ينطلي عليه الأمر، فلما تصفّحتها وجدته يشرح خطباً محكمة متينة مما أكّد لدي الجزم بصحة هذه ونفي تلك المزورة على الخطيب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٨ ـ وأخيراً مما يُستأنس به، وحصل لي به مزيد اطمئنان كلامُ العلامة الأديب محمد رجب البيومي في كتابه (**مجالس العلم في حرم المسجد**): " وبين أيدي الناس كتاب يُعرف بخطب ابن نباتة مدلّس عليه، وليس له، إذ أن بعض الوصوليين أراد أن يستغل سمعة ابن نباتة التاريخية، فوضع للعامة خطباً رديئةً عزاها لابن نباتة كي تروج، والعامة المعاصرون لايرتفعون إلى مستوى ابن نباتة البياني، فزوّر لهم ما يألفون، وهو عمل لا يقرّه الضمير الأدبي، ولكننا نشير إليه آسفين "[١].

---

(١) مجلس العلم في رحاب المسجد/ محمد رجب البيومي /ص ١١٢.

ومن العجب أنّ هذه الخطب المزورة يُخطب بها على كثيرٍ من المنابر خاصة في المناطق النائية، وقد ترتّب على شيوع هذه الخطب المزورة فتاوى بحرمة الخطب بها لما تحتويه من خرافات وأساطير، كذكر بكاء السماء على الحسين، وغير ذلك من التهويل والخرافات؛ فمن مثل تلك الفتاوى فتوى الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ بتجنّب أن يُخطب بخطب ابن نباتة(١)، وذلك أن ـ رحمه الله ـ وقف على تلك النسخة المنحولة، بينما لا تجد في هذه الخطب التي بين أيدينا شيءُ يُنكر!

أضف إلى ذلك مايجرّه انتشار هذه الخطب المنحولة من تشويه لصورة صاحبها ـ رحمه الله ـ.

عملي في الكتاب:

يتلخص عملي في الكتاب في ثلاثة محاور:

الأول: التهذيب

الثاني: الترتيب

الثالث: شرح الغريب

أما التهذيب: وهو قليل، حيث قمتُ بحذف فصول في الأدعية، لكونها عبارة عن أدعية لبعض السلاطين والأمراء مما

(١) سؤال وجه إلى سماحته بعد تعليقه على ندوة في الجامع الكبير بالرياض بعنوان: (الجمعة ومكانتها في الإسلام) بتاريخ ١٤٠٢/٥/١٦ هـ ـ وضمن مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزءالثاني عشر.

لا يحقق كبير فائدة للقارئ اليوم؛ وكذلك حذفت خطبةً من الخطب الثواني (وهي التي تصلح أن تكون ثانيةً في الخطبة) لكونها مجرد دعاء لفلان بن فلان من الأمراء، وهو لا يحقق مقصداً مفيداً للقارئ اليوم.

وأما ماعدا ذلك فقد حافظت على نص ابن نباتة كما هو من غير زيادة أو نقص أو تحريف أو تعديل.

أما الترتيب: فقد رتبتُه ترتيباً جديداً تقريباً يسهل معه الوقوف على المراد؛ فابن نباتة ـ رحمه الله ـ رتّبه كالتالي: (خطب المعاد) وذكر ضمنها خطباً عن الزهد والفتنة والعيد ومواضيع أخرى؛ثم (خطب المواقيت) ثم (خطب الجهاد)؛ ثم (الخطب المختصرة) وذكر ضمنها خطباً عن الكسوف والخسوف والاستسقاء؛ ثم (خطب الفصول)؛ ثم (الخطب الثواني)؛ ثم (فصول في الأدعية)؛ ثم (لواحق خطب المواقيت) وذكر ضمنها خطباً عن النكاح والموت والعيد ووداع رمضان وغير ذلك.

وأما ترتيبي فعلى النحو التالي: **(خطب الشهور والمواقيت)**؛ ثم **(الخطب الموضوعية)**: الموت والمعاد ـ تصرف الزمان والمعاد ـ الموت والوباء ـ ذكر الموت ـ ذكر يوم القيامة ـ الزهد ـ ذم الدنيا ـ وفاة الرسول ﷺ ـ الفتنة والنهي عن الخوض فيها ـ احتباس المطر ـ الاعتبار بالمثلات ـ الحث على الجهاد؛ ثم **(خطب المناسبات)**: عيد الفطر ـ يوم النحر ـ الاستسقاء ـ الكسوف ـ خطب النكاح؛ **ثم (الخطب المختصرة)**؛ ثم **(الخطب الثواني)**؛ ثم**(خطبتان في ختم القرآن)**.

وأما شرح الغريب: فاعتمدت على شرح الأديب طاهر الجزائري لخطب ابن نباتة، وشرحت كل لفظ غريب، وهي كثيرة جداً.

ياسر المقداد
alathr3y@gmail.com
٢٠١١/١٢/١٨
القاهرة ـ حرسها الله ـ

ترجمة الخطيب ابن نباتة[1]

اسمه ونسبه:

أبو يحيى عبدالرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحذاقي الفارقي، وهو من أهل (ميّافارقين)، لذا يقال نسبة إليها: الفارقي. والحذاقي بضم الحاء وفتح الذال المعجمة نسبة إلى بطن من حذاقة بطن من قضاعة.

مولده:

ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة (٣٣٥ هـ) ولم يختلف في سنة ولادته، لكن اختلف في مكان ولادته بين حلب وميافارقين، ولعل الصواب الثاني، ثم سكن حلب فكان خطيبها.

---

(١) ترجمته في: مرآة الجنان/لليافعي/تحقيق خليل منصور ج ٢/ص ٣٧٤، دار الكتب العلمية، وفيات الأعيان/لابن خلكان تحقيق إحسان عباس/ج ٣٧٣/٣ دار صادر، و شذرات الذهب/لابن العماد تحقيق محمود الأرناؤوط/ج ٤/ص ٣٩٧ دار ابن كثير، و معجم المؤلفين/عمر رضا كحالة/ج ٢١١/٥ دار إحياء التراث العربي، والأعلام/للزركلي/ج٣/ص٣٤٧ دار العلم للملايين، و سير أعلام النبلاء/للذهبي/ج ١٦/ص ٣٢١ مؤسسة الرسالة، و إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء/محمد راغب الطباخ/ج ٤/ص ٦١ دار القلم العربي بحلب.

بلاغته وجودة قريحته وصلاح دينه - رحمه الله - :

كان ابن نباتة إماما في علوم الأدب، رزق السعادة في خطبه التي وقع الإجماع على انه ما عمل مثلها وفيها دلالة على غزراة علمه وجودة قريحته.

قال الذهبي - رحمه الله - عنه: " وكان فصيحا مفوها، بديع المعاني، جزل العبارة، رزق سعادة تامة في خطبه "(١).

وولي خطابة حلب لسيف الدولة ابن حمدان، وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة ابن حمدان، وقالوا إنه سمع عليه بعض ديوانه.

وكان رجلاً صالحاً - رحمه الله -، روى الشيخ تاج الدين الكندي بإسناده المتصل إلى الخطيب ابن نباتة أنه قال: لما عملت خطبة المنام، وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة السبت في منامي كأني بظاهر (ميّافارقين) عند الجبانة، فقلت: ما هذا الجمع؟ فقال لي قائل: هذا النبي ﷺ ومعه أصحابه، فقصدت إليه لأسلم عليه، فلما دنوت منه التفت إلي فرآني، فقال: مرحبا يا خطيب الخطباء كيف تقول؟ وأومأ إلى القبور، قلت: لا يخبرون بما إليه آلوا، ولو قدروا على المقال لقالوا، قد شربوا من الموت كأسا مرة، ولم يفقدوا من اعمالهم ذرة، وآلى الدهر آلية برّة، أسكتهم الله الذي أنطقهم، وأبادهم الذي خلقهم، وسيجددهم كما خلقهم، ويجمعهم كما فرقهم، يوم يعيد إليه العالمين خلقا جديدا، ويجعل

(١) سير أعلام النبلاء/ج ١٦/ص ٣٢٢.

الظالمين لنار جهنم وقودا، يوم يكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ـ وأومأت عند قولي **(تكونون شهداء على الناس)** إلى الصحابة، وبقولي **(شهيدا)** إلى الرسول ﷺ ـ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. فقال: أحسنت، ادن، فدنوت منه ﷺ، فأخذ وجهي وقبله، وتفل في فمي وقال: وفقك الله، قال: فانتبهت من النوم وبي من السرور ما يجل عن الوصف، فأخبرت أهلي بما رأيت.

قال الكندي بروايته: وبقي الخطيب بعد هذ المنام ثلاثة أيام لا يطعم طعاما ولا يشتهيه، ويوجد فيه رائحة المسك، ولم يعش إلا مدة يسيرة.

ولما استيقظ الخطيب من منامه كان على وجهه أثر نور وبهجة لم يكن قبل ذلك، وقصّ رؤياه على الناس وقال: سماني رسول الله ﷺ خطيبا، وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يوما لا يستطعم فيها طعاما ولا شرابا من أجل تلك التفلة وبركتها(١).

وفاته:

توفي ابن نباتة ـ رحمه الله ـ سنة أربع وسبعين وثلاثمئة (٤٧٣) بـ (ميافارقين) ودفن فيها، وقيل بـ حلب.

قال الوزير ابو القاسم المغربي: رأيت الخطيب ابن نباتة في

---

(١) وفيات الاعيان/لابن خلكان ج ١٥٧/٣، ومرآة الجنان/لليافعي/ج ٣٠٣/٢، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء/لمحمد راغب الطباخ/ج٤/ ٦٢.

المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: دفع لي ورقة فيها سطران بالأحمر وهما:

قد كان أمن لك من قبل ذا … واليوم أضحى لك أمنان
والصفح لا يحسن عن محسن … وإنما يحسن عن جان[(١)]

قال: فانتبهت من النوم وأنا أكررهما[(٢)].

❀ ❀ ❀

(١) وفيات الأعيان/لابن خلكان/ج ١٥٧/٣، و شذرات الذهب/لابن العماد/ج ٣٩٨/٤.

(٢) وفيات الأعيان/لابن خلكان/ج ١٥٨/٣.

خطب الشهور

شهر الله المحرم

وفيه خطبة واحدة.

خطبة
يذكر فيها استقبال السنة وفضل يوم عاشوراء

الحمدُ للهِ منشئِ أصنافِ الفِطَر، ومُحيي الأرضِ بوابلِ المطر الغالبِ على ما بطنَ وظهرَ، والعالِمِ بما بقَى ودَثر.

أحمدهُ حمدَ مَن أُوليَ جميلاً فشكَر، وأُنزّههُ عن قولِ مَن جحدَ به وكفَر. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ تعالى فقدَر، وملكَ فقهَر. وعُصِيَ فغفَر، وجُوهِرَ بالقبيحِ فستر. وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ محجةً لمن استبصر وحجةً على من استكبر. فقامَ بأمرِ ربهِ وأنذر، وجاهدَ في سبيلهِ وشمَّر، ودعا إلى طاعة اللهِ وأمَر، ونَهى عن مخالفتهِ وزجَر. حتى ابلوْلجَ قمرُ الإيمان فأَبدر، وخَبا نجمُ البُهتانِ فأدبر.

صلى الله عليه وعلى آلهِ وأكثر، كما طيّبَ جِبِلّتهم وطهّر. وسلم تسليماً.

أيها الناس: أوصيكم عبادَ اللهِ وإيّاي بتقوى اللهِ فإنّ تَقواهُ توجبُ كريمَ المآبَ، وجزيلَ الثواب، وإنّ مخالفتَهُ تُحِلُّ أليمَ العقاب، ووبيلَ العذاب. فتمسّكوا بأقوى سببٍ من تقواه، وكونوا

ممن يراقبهُ ويخشاه، ولا تأمنوا مَكرَه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

واعلموا ـ عبادَ اللهِ ـ أنَّ ممرَّ الليالِي والأيام، ومكرَّ الشهورِ والأعوام، يُنذِرانِ بانقضابِ الأعمار، ويُؤذِنانِ بخرابِ الديار، ويقَرّبانِ البعيد، ويُبليانِ الجديد، ويهدمانِ المشيد، ويوهِنانِ الجليد. حكمةً جاريةً بمقدار، وسُنَّةً ماضيةً على اقتدار. وقدرةَ تعجزُ عن تحصيلها فطنُ أولي الأفكار، فاعتبروا يا أُولِيَ البصائرِ والأبصار. وقد مضتْ ـ رحمكم اللهُ ـ من مدَّةِ الحياة، سَنَةٌ تدنِي إلى ورودِ الوفاة، فالزكيُّ من استودَعها صالحاً من عملِه، والشقيُّ مَن شهِدَتْ عليهِ بقبيحِ زَللهِ.

وإنَّ أمراً تَنقضِي بالبطالةِ أوقاتُه. وتمضِي في الجهالةِ ساعاتُه، لجديرٌ أنْ يطولَ على نفسهِ بكاؤُه، ويدومَ في طلبِ التخلُّصِ عَناؤُه. ويكثرَ ممَّن أمهلهُ حياؤُه، ما دامَ يُسعِدُهُ بقاؤُه.

وقد استقبلتم ـ رحمكم الله ـ عاماً جديداً، وافتتحتم شهراً محرماً حميداً. أوَّلُ شهورِ السنةِ في التحريم، وأحقُّها بالتفضيلِ والتقديم، خصَّهُ اللهُ في اليومِ العاشر، بثوابٍ جزيلٍ وافر. أتت بفضلِهِ الأنبياء، وصامهُ الصالحونَ والعلماء، فمن رغِبَ في اغتنامِه، وقدَّمَ النيَّةَ في صيامِه، فليصُم التاسعَ والعاشرَ استظهاراً، ولا تُعرِضوا عن تعظيمِهِ استكباراً فإنَّ صيامَ عاشوراءَ يعدلُ صيامَ سَنَةٍ مقبُولَة، والتوسِعَةَ فيهِ على العيالِ سُنَّةٌ غير مجهولة. فأوسِعوا فيهِ على العيالِ، من فضلِ اللهِ الحلال، واستقيلوا اللهَ عثراتكم، واستَغفروهُ لسيئاتكم. واسألوهُ أن يُوَفرَ من بركةِ سَنتِكم أقسامَكم،

ويُطهّرَ بها قلوبَكم وأجسامكم، وأن يُديلَ لكم من أعدائِكم بتأييدِه، ويمُدّكم بنصرهِ وجنودِه، وأن يوفقكم للتناصُفِ والتراحُم، والخروجِ من الغُصوبِ والمظالم، وأن يَعُمّكم برأفةِ وُلاتكم. وعدلِ حكّامكم وقُضاتكم، ويهديَكم لمرْضاتِه، ويُجريكم على أجمل عاداتِه، فإنَّ المنيبَ إليهِ سالم، والمتخلّفَ عنهُ نادِم.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن سابقَ إلى رضاه، واستقالهُ مما جناه، ولم يُؤثرْ على لزومِ طاعتهِ شيئاً سِواه.

إن أحسنَ ما نطقَ بهِ متكلم، وأبلغَ ما أصْغى إليهِ متفهّم، كلامُ مَن لا يقَعُ بهِ توهّم، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

❀ ❀ ❀

شهر ربيع الأول

وفيه ثلاث خطب.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي أشرقتْ بنورهِ مَصَابيحُ قلوبِ أوليائِه، وانخرقَتْ لهم بتبصيره حُجُبُ المكاشفةِ عن شواهدِ آلائه، فآنسوا بنواظرِ الفِكرِ في أنوارِ بَهائِهِ، موجوداً غيرَ معدومٍ في جميعِ صنائِعه وآيِه[1]، واسْتسْلَمُوا عندَ تَحَقّقِهم بهِ إلى ما ضَرّ ونفعَ مِن قضائِهِ، وتعلَّقَت أسبابُهم بسببٍ منهُ لا قرارَ لهم عَنْه دونَ لقَائِه، أحمَدهُ والحمدُ غايةُ مَن شَكر، وأذكرُهُ ذكراً كثيراً كما أَمَر، وأنزّهُهُ عن قولِ مَن جَحَدَ بهِ وكَفر، وأسلّمُ لأمرهِ تسليمَ مَن ابتُلى فَصَبر، ورضيَ بكلّ قَضاءٍ وقَدر.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً قامت بِها الأدلّة، وجُبلتْ عليها الجِبلَّة، محبوّاً بالبِشارة قائِلُها، مدعوّاً بالخسارةِ جاهِلُها، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله ألزمَ بإرسالِهِ الحُجّة، وقوّمَ باعتداله المحجّة، فلمْ يزل صلى اللهُ عليه وسلّمَ وعلى آلهِ لمن تابَعه سِراجاً، وعلى مَن نازعَه عجاجاً، حتى عادَ عَذبُ الكفرِ أُجاجاً، ودخلَ الناسُ في دين اللهِ أفواجاً.

---

(١) أصله [آي] وهي جمع آية.

صلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ صلاةً تكونُ لأعلى درجةٍ لهُ مِعراجاً.

أيها الإنسان عَلا نسبُكَ في المنسيِّينَ فأعْرق، وقارعتْ جسْمَكَ نُوَبُ السِنينَ فأخلَق[1]، وأنتَ على حِرصكَ تُصر، وممّا يقربُكَ إلى اللهِ تَفِر، تَطْلبُ منَ الدنيا ما لا تُدْركُه، وتثقُ من الحياةِ بما لا تَمْلكُه، لا أنتَ بمَا قسمَ اللهُ منَ الرزقِ واثِق، ولا لما حَذّرَكَ مِنَ الذنبِ مُفارِق، فلا الموعِظةُ تنفعُك، ولا الحوادثُ تردَعُك، ولا الدهرُ يزَعُك، ولا داعِي الموت يُسمِعُك، كأنّكَ لم تزل حياً موجوداً. أو كأنَّكَ لا تعود نسياً مَفْقوداً، كأنّي بكَ وقد غادرتْكَ الأيامُ صَريعاً، وألبستكَ من السُّقم ثوباً فظيعاً، فسقَطتَ لجنبكَ عليلاً، وأُلقيتَ قَلقاً ثقِيلاً، وقيلَ فلانٌ قد اعترضته عَوارضُ أَذى، وبه مرضٌ مِن كذا وكذا، فعادَكَ مَن كانَ لخيركَ راجِياً، وقضى حقّكَ منْ كنتَ لحقِّهِ قاضِياً، حتى إذا اشتدَّتْ حالُك، وقصرتْ منَ الحياةِ آمالك، أصبحتَ ذَا نظرٍ إلى الملكِ طامِح، ورُوعٍ مِنَ الإزْعاجِ جامِح، وقلبٍ في غمراتِ الموتِ سابح، وجبين من كربِ السياقِ واشح، ودمع على التفريطِ والتقصيرِ سافِح، وكلُّ شيءٍ منكَ مضطربٌ غير صالح، حتى إذا عمَّ السكونُ جميعَ الأعضاء والجَوارح، وانتشرت الحركاتُ في الباكِينَ والصوَائِح، وجُهّزْتَ بجهازِ أهل الضرائِح، وحُمِلْتَ على مركبٍ إلى دارِ الوحشَةِ جَانح[2]، وأسكنت في منزلٍ عَنِ الأنيسِ نازِح،

---

(١) أخلا وخلق: بليَ.

(٢) جانح: مائل.

مقيماً بينَ الجنادلِ والصفائح[1]، إلى ميقاتِ يومِ الفَوادِح[2]، وظهورِ المخبّآت من الفضَائِح، فمِن مَسْرورٍ بميزانه الراجح، ومغتبطٍ بمتجرِهِ الرابح، ومِنْ مثبورٍ بتخلفِهِ كالِح، غادٍ إلى الجَحيمِ وأهوالِها رائح.

فيا أيّها الغفلَةُ المطرِقُون، أما أنتُم بهذا الحديثِ مصدِّقُون، ما لَكُم مِنْهُ لا تُشفِقُون ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذّاريَات: ٢٣].

جَعَلَنا اللهُ وإيّاكم مِمّنْ خَلصَ للهِ إيمانُه، وذلّ للحقِ قلبهُ ولسانُه، وصحّ بيومِ المعاد إيقانُه، ورجحَ يومَ الحشْرِ بالحسنَاتِ مِيزانُه.

إنّ أحسَنَ الكلامِ المنثورِ والمنظُوم، وأجمعَ القولِ لأصنافِ العُلُوم، كلامُ اللهِ الحيّ القيوم، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقِعَة: ٨٣-٨٥].

❀ ❀ ❀

---

(١) الجنادل: الصخور، الصفائح: الصخور العريضة.

(٢) الفوادح: جمع فادحة، وهي المهيبة الباهتة.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الذي عُدمَتْ لهُ النظائرُ والأشبَاه، وأقرَّت بربوبيتِه الضمائرُ والأفواه، وخرَّت ساجدةً لهيبتِهِ الأذقانُ والجِباهُ، وجَرَتْ خاضِعَةً لقدرَتِهِ الرياحُ والأمواه، وأطاعَ أمرهُ الفَلَكُ الأعلى ومَا عَلاه، ونَطَقَتْ حكمتُهُ بوحدانِيَتِهِ فيما ابتدعَهُ وسوّاه، فَتبارَكَ الذِي هُوَ في كلّ شيءٍ موجُود[١]، وبكلٍ معنَى إلهٌ معبُود.

أحمَدُهُ إذ كان لا ينبغِي الحمدُ إلّا له. حمداً يواصلُ إحسانهُ وإفضَاله. وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، شهادة صادقٍ لا مُتَردد، متحققٍ غيرِ مقلّد، أنهُ اللهُ الذي لا إله إلا هوَ العالِمُ بخطراتِ الظّنُون، والمكوِّنُ بحرفِ الكافِ والنون[٢] وأشهدُ

---

(١) أي: علمه محيط بكل شيء في الأرض والسماوات لا يخفى عليه شيء مهما دق أو خفي. ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧].

(٢) هذا كناية عن (كن) وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

أنّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ أرسلهُ بالدعوة الشّامِخَة، وفضّلَهُ بالنبوّةِ الراسِخَة، وأمَدّهُ بالحُجّةِ الفاسِخَة، وسدّدَهُ بالشريعةِ الناسِخة، فأطفأ به الحُمم، وضوّأ به الظُّلَم، وجَلا به الغُمَم، وأعلى به الهِمَم، وهدَى به الأمم، صلّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ صلاةً تبلغُهم بها نهايةَ آمالِ الأمم(١)، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: فضحَ الموتُ الدنيا فازْدَرُوها لفضِيحتها، ونصَحَتكُم حوادِثها فاحذَرُوها لنصيحَتها، فكفاكم بها مِنها مُنذِرا، وبسابِقِها عنْ لاحِقِها مخْبِراً، أو ما رأيتُم إفسادَها مَن أصْلحَها، وغشَّها مَن نَصَحَها، مِمّن اتخذها أُمّا، وظن عطاءَها غُنماً، فكانت أمومتُها يُتماً، وعادَت غنيمتُها غُرماً، حينَ أقصدتهم بفجائِعها، وأرصَدت لَهُم الموت على طلائِعها، وزحفت إليهم بنوائبها، وأعنقَتْ عليهم بنيارِبها(٢) فطَنَتهَم طَحنَ الحَصيد، وغَيَّبتهم تحتَ الصعِيد، فبطونُ الأرضِ لهم أوطان، وهُم لخرابها قُطّان، عمرُوا فأخربوا، واقتربُوا فاغتربوا، وطُولِبُوا بما اكتَسَبُوا، ولم يَرجِعُوا إذْ ذَهبُوا، هيهاتَ عاقَهُم المعادُ عن العِواد، وطالَت عليهم الشُقّةُ لقلةِ الزّاد، أولئكَ أوائلُ رَكْبٍ أنتم أوَاخِرُه، ونفقاتُ موتٍ أنتم ذَخائره، ومواردُ فناء إليكم مصادرُه، وقُطبُ هلاكٍ دارتْ عليكم دَوائرُه وحصائدُ دهر فيكم بواتِرُه، وسكّانُ قَفْرٍ خُطَّت لكم مقابرُه، فحتامَ المقامُ على الغرر، وعلامَ تركُ إنعام النظر، وإِلامَ الونيةُ في دارِ السفَر، أتطمعون في خلاصٍ مُنتَظرٍ، أم

(١) الأمم: بفتحتين، البين من الأول والقصد والوسط.

(٢) أعنقت: سارت سيراً سريعاً، والنيارب: الدواهي، مفردها: نيرب.

تركنُون إلى ملجأ أو وزر، أم لكم براءةٌ في الزبر، أم لا مُعولَ لكم على هذَا الخبر، كلا لا جُنّةَ منَ القَدر، ولا بدَّ من وقوعِ الحذر، وحلولِ الحُفَر، وتَغييرِ المحاسنِ والصُّوَر، بِمباشرةِ الجنادلِ والمَدَر، والقيامِ إلى مجمعِ البشر، والحسابِ بينَ يديِ المليكِ المقتَدر، على الكبيرِ الخَطَر، والصغيرِ المحتَقَر، والحصولِ في جنةٍ أو سَقر.

إنَّ في ذلك لذكرى فهل مِن مدّكر، أعظَمَ اللهُ على مُصيبتَنا بطولِ الغفلةِ أجْرَنا، وجمعَ على الاستعدادِ للنُّقلةِ أمْرنا، وشَدَّ بعصمِ الإيمانِ أزرَنا، وجعلَ شهادةَ أن لا إله إلا اللهُ يومَ الفقرِ والفاقةِ ذُخرَنا.

إنَّ أحسنَ الإنذارِ وأَجزَلَه، وأبلغَ الأعذَارِ وأكمَلَه، وخيرَ الكلام وأفضله، كلامُ مَن خلقَ الإنسانَ فعدَّلَه. ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التّكاثر: ١-٨].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ مُرتضى الحمدِ لرزْقِهِ ثمناً، وجاعلِ الليلِ لخلقِهِ سَكناً، الذي ألبسَ من اتقَاهُ مِنْ عوافيهِ جُنَناً، وجعلَ عاقبةَ من شك فيه همّاً وحَزَناً، الذي لا يعزُبُ عنهُ حفظُ ما نأى ودَنا، وهوَ تعالى أينما كنّا مَعَنا، أحمدُهُ كما يحبُّ أنْ يُحْمَد. وأُقرُّ له بالوحدانيةِ ولا أجْحَد.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له إرغاماً لمن ألْحَدَ، وتكبّرَ عن عبادةِ ربّهِ وعَنَدَ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلَهُ مِن أفصحِ القبائلِ، وجمّله بأوضَحِ الدّلائلِ، واختصَّهُ بأكمَلِ الفضَائِل، وجَعَلَهُ إليه أكرمَ الوَسائل.

صلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ منتهى قولِ كلِّ قائلٍ، وغايةِ أملِ كلِّ آمِلٍ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: ارمُقُوا العواقبَ بمُقلِ الفِكر، وانظروا لنفوسِكم أجملَ النظر، وادّرِعُوا لأهوائكم مدارِعَ الحذر، واحتقِبُوا زاداً كافياً لبعدِ السفر، فإنكم في حلبةِ سباقِ الموتُ غايتُها، ومن صحبةِ رفاقٍ أنتم ساقتُها(١)، وحلفاء أمانيِّ الخُلفُ عادَتُها، وعُمّارُ

---

(١) ساقة الجيش: أي مؤخره.

دارٍ إلى الخرابِ نهايَتُها، فما لكم عَن الرشدِ ناكبين، وفي مواطنِ الجدِّ لاعِبين، وأحلامُ المنايا بكم صادِقه، وسهامُ الرَزَايا بينكُم راشِقه، وأعينُ الآفاتِ لكم مُسارقه، وألسنُ الشتاتِ بفنائكم ناطقه، ألا غاسلاً ذنبَهُ بفيضِ أدمُعِهِ، ألا موقظاً قلبَه بذكرِ مَرجعِه، ألا مُشْفِقاً مِن مفاجأةِ هُجومِ مَصرعِه، ألا متأهباً لركوبِ أهوالِ فزَعِه، ألا ممهداً لطولِ وحشةِ مَضجَعِه، قبل أن تخلو المنازلُ من أرْبابها، وتؤذِنَ الديارُ بخرابها، وتَهتّكَ الحلائل لِعُظم مُصابها، وتندبَ النوادبُ على فراقِ أحبَابها، وتلتحفَ الجسومُ بترابها، قبلَ أن تقبلَ الساعةُ بعُجابها، وتُنشرَالخليفةُ لحسابها، و تُرتهنَ النفوسُ باكتسابها، وتُنكِرَ القبائلُ أنسابها ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ [الحَجّ: ٢]. وتحصُلُ كلُّ مُبضِعةٍ عما أبضَعَت، وتُجازَى كلُّ موضعةٍ بما فيه أوضعت.

ذلك يومٌ زال غيسُّهُ ونفاقُه، وطال أسْره ووَثاقُه، وعسُرَ على المذنبينَ مساقُه، وتجلىَّ للحكومة فيه خلّاقه، فينصفُ الله في كل ما حَكمَ. ولا يُبعِدُ اللهُ إلا من ظَلَم.

أحلّنا الله وإياكم دار أمانه، وأعاذنا وإياكم من مخالفته وعصيانه، واستعملنا وإياكم بموجبات رضوانه، ولا أخلانا وإياكم من تفضّله وامتنانه.

إنَّ أنفع ما استُصبرَ بحكمه، وأمتنعَ ما أُخِذَ برُخَصِهِ وحَتْمِهِ، وأنجعَ ما أُنصِتَ لاستماعه وفهمِهِ، كلامُ من أنزل القرآن بحلمه. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

شهر ربيع الآخر

وفيه: خطبتان.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ العليّةِ كلمتُه، الوفيّةِ عدتُه، المخشيّةِ نقمتُه، المرجوةِ رحمته، الذي جلّ عن مشاكلةِ الضريب، وتعالى عن مشابكةِ النسيب، واستوى في علمهِ البعيدُ والقريب، لا إله إلا هو عليهِ توكلتُ وإليه أُنيب، أحمدُهُ على تظاهرُ مننهِ، وأستعينهُ على القيامِ بِفرائضِهِ وسُننه، وأعوذ به مِن مردياتِ محنه، وأستجنُّ من توحيده بأوقى جُنَنَهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةً تبلّغُ قائلها أملَهُ، وتختِمُ بالسعادة عملَه، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ عند اقترابِ الساعة، وأيّدَه باللَّسَن والبراعة[١]، وأعزّه بالزهدِ والقناعة، وخصَّهُ في المعاد بشرفِ الشفاعةَ.

صلى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ وعلى آلهِ أهلِ النجدةِ والشجَاعَة، صلاةً تعمُّ بركتُها أهلَ السنّةِ والجماعَة، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أجملوا في الطلب، واعملوا للمُنقلب، ونافِسُوا في طيبِ المكتسَب، وتمسكوا مِنَ التقوى بأقوى سَبب، فإنّكم في دارٍ

---

(١) اللسن: فصاحة اللسان.

حُلوها مُمرٌّ، وصفُوها كَدرٌ، وأحلامُها تغُرّ، وأيامُها تمرّ، وآفاتها تكُرّ، وعواقِبُها لا تسرّ، حتُوفها عتيدة، وصروفُها مُبيدة، وعِداتُها مخلفة، وحياتُها مُتلفَة، فالعاجِزُ مَن استنصَحَها، والفائزُ مَنْ اطّرَحَها. فلا تتخذوها ـ عبادَ الله ـ مقّراً، وقد جعلها اللهُ لكم ممّراً، وبادروا بلحاقِ التوبة، قبل استحقاقِ دارِ الخيبةِ.

يا لها داراً معدوماً رخاؤها، محتوماً بلاؤها، مظلمةً مسالكها، مبهمةً مهالكها، مخلّداً أسيرها، مؤبّداً سعيرها، متناهياً تغييرها، عالياً زفيرها، وكمِ يومئذٍ من شابٍ ينادي في نارِ جهنم واشباباه. وامحاسنَ وجْهَاه. وكم يومئذٍ مِنْ كَهْلٍ ينادي في جهنّم واكَهْلاه. واقلةَ حيلتاه. وكم يومئذٍ من شيخ ينادي في نار جهنم واشَيْخَاه. واكبَر سنَّاه. وكم يومئذٍ من امرأةٍ تنادي في نار جهنم وافضيحتاه وامُصيبتاه. شرابُ أهلها الحميم. وعذابُهُم أبداً مُقيمٌ. الزبانيةُ تقمعُهُم والهاويةُ تجمعُهُم. لهم فيها بالويلِ ضجيجٌ، وللهبها فيهم أجيجٌ، أمانيُّهُم فيها الهلاكُ، وما لهم من أسرها فكاكٌ، قد شُدَّتُ أقدامُهم إلى النواصي، واسودَّتْ وجوهُهُم بذلَّةِ المعاصي، يُنادُونَ من فِجاجها وشِعابها، بُكيًّا من ترادفِ عذابِها، يا مالكُ قد حقَّ علينا الوعيد، يا مالكُ قد أثقلَنا الحديد، يا مالكُ قد سالَ منَّا الصديدُ، يا مالكُ قد حميَ علينا الوقيدُ، يا مالكُ قد نضِجَتْ منَّا الجلودُ، يا مالكُ أخرِجْنَا منها فإنّا لا نعودُ، فيجيبهم مالكٌ بعدَ زمانٍ: هيهاتَ هيهاتَ لاتَ حينَ أمانَ، ولا خروجَ لكم من دارِ الهوانِ، اخسئوا فيها بغضبِ الحمن، قُضِيَ الأمرُ الذي فيهِ تَسْتَفتِيَان.

أجارنا اللهُ وإيَّاكُم من نارِهِ المُوقَدَةِ، وَأَصلَحَ لنا ولكُم

ضمائرَ الأفئِدَة، وأحلَّنا وإياكُم دارَ أمانه، وأجْرَانا وإيَّاكُم على المَعْهُودِ من إحسانه.

إنَّ أحسَن ما ما وَعظَ بهِ واعظٌ، وأنفعَ ما حفظهُ حافظٌ، كلامُ مَنْ لا تدركُهُ اللواحظُ. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزّخرُف: ٧٤-٧٦].

❁ ❁ ❁

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حاجبِ فطنِ أولي العقولِ عن تكييفه، وباهرِ أهلِ التحصيلِ بعجائبِ تأليفه، ومطمعِ الغافلين في رحمتِه لسعةِ معروفه، وموجِلِ قلوبِ العارفينَ من نقمتهِ لشدةِ تخويفه، أحمدُهُ ومتى أقومُ بحمدهِ إذا كان حمدُه على الرّفدِ من رِفده.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةً أملأُ بها أقطارَ السماواتِ والأرض، وأعِدُّها جُنّةً لنازلاتِ يوم العَرض، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ الناطقُ بوحيه، ورسولهُ الصادقُ في أمرِه ونهيه، أرسلهُ عندَ دُثور السُّنن، وظهورِ الفِتنِ، والناسُ بينَ عاكفٍ على عبادةِ وثن، أو منطوٍ لأخيهِ على حَزازاتٍ وإحَن، أو كاهنٍ يجري معَ الشيطانِ في قَرَنٍ، فأنقذهم اللهُ بنبيهِ مِن المحَنِ، وطهّرهم بهِ من الدنَسِ والدّرَن، صلى اللهُ على سيّدنا محمدٍ وعلى آلهِ أهلِ الفضلِ والمِننِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: مَن نظرَ إلى الدنيا بحقيقةِ عَينها، أومضَ لهُ صدقُ عواقبها، منْ غَمام مينها[١]، ومَن رغبَ في إعزاز نفسه

---

(١) المَيْن: الكذب.

وزينها، أعتقها بالاجتهادِ من رِقّ دينها، وإنما زهدَ في دنياكُمْ الزاهدون، لرغبتهم فيما هُم فيه غداً خالدون، اختبَروها فكانوا على حذرٍ منها، واستَصْغَرُوها فأكبروا نفوسَهُم عنها، شمّروا للسباق فأحرزوا قَصَباتِه، وأدْرَكوا بمكارمِ الأخلاق أبعدَ غاياتِه، فهُمْ في رياض الأمانيِّ يرتعون، ومِن حِياضِ المصافاة يكرعون، قد قطعُوا مفاوز الدنيا والآخرة، واقتطعُوا رُتَبَ الممالكِ الفاخرة، فوجوهُهُم مِن النعيم نضره، وأنديتُهم على الدهرِ المقيمِ خضره، وروائحُهم من طيبِ النسيم عطره، وقلوبهم بجوارِ الغفور الرحيم مُستبشرة، وقد ذهب عنهم الحزَنَ، وباينتهم المِحَن، ونُزعَتْ مِن صدورِهمُ الإِحَن، وطابَ لهم المقيلُ والوطنُ، في دار قد اتسعتْ أقطارُها، وأينعتْ ثمارُها، واطّردت أنهارُها، وتميَّدت أشجارُها، وغردّت أطيارُها، ونهَدَتْ أبكارَها، وعُلّيت مجالِسُها، وحُلّيت عرائِسُها، واختالتَ وصائِفُها، وتوالتْ لطائفُها، وأشرقَتْ قِبابُها، وأُدْهِقَت أكوابُها[1]، وحَسُنَت بدائِعُها، وأُمِنَتْ فجائِعُها، قد كاشَفهُم الجوادُ بمحضِ الوداد، وأوجبَ لهم المزيدَ على المراد، أولئكَ هُمُ الباكونَ إذا ضحكَ الغافلون، والتاركونَ لما أخذَ بهِ الجاهلون، والساهرونَ إذا رقدَ النُوَام، والمستَأنِسونَ إذا أوْحش الظلامُ، هُم أهلُ اللهِ وأولياؤُه، وخاصّتُهُ وأُمناؤُهُ، تَعِبوا قليلاً، فاستراحوا طويلاً، بذَلوا يسيراً، فحصّلوا كثيراً، جادُوا بالنفوس، فجادَ عليهم بالمنفوس.

فيا ثمرةَ خيرِ الأصولِ، ويا ذَوي الأحلامِ والعقول، ويا

---

(١) أدهقت: مُلئت.

ورَثـةَ الأحـكـام والـعـلـوم ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ [الصَّافات: ٦٢] التي تخرج في أصل الجحيم، إنها واللهِ طعامُ الأثيم، فرحمَ اللهُ أمرءاً مهّد لنفسهِ مهاداً، وأَعدَّ لسفرهِ زاداً، واقتحمَ إلى اللهِ أقصدَ الطريقين، واغتنم صحبةَ أسعدِ الفريقين، فإنه إن لا يكُن إلى ذلك النعيم المقيم اشتياقٌ! فليكن من ذلك العذاب الأليم إشفاقٌ.

سدد الله إلى أغراض الحكمِ آراءنا، وأبعدَ عن موارد النِّقَم أهواءنا، ورحم بجوده أمواتنا وأحياءنا، وجعلَ حلول الجنّةِ يومَ الجزاء جزاءَنا.

إن أجدَّ الكلامِ على الأبد، وأبعدَ القولِ عن الفند[1] وأنفسَ الذخائر والعُدَد، كلامُ الواحدِ الصّمَد، ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرّعد: ٣٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) الفَنَد: الفساد والكذب.

شهر جمادى الأولى

وفيه خطبة واحدة.

خطبة شهر جمادى الأولى

الحمدُ للهِ الذي ليسَ مُلكهُ منتقلاً إليهِ عن سالفٍ، ولا مُتَحوِّلاً عنهُ إلى خالفٍ. الأولِ الذي لا تحيطُ بهِ صفةُ واصفٍ، والآخرِ الذي لا تحويه معرفةُ عارفٍ، جلَّ ربنا عن التشبيهِ بخلقه، وكَلَّ خلقُهَ عنِ القيامِ بكُنْهِ حَقّه. أحمدهُ على السّخطِ والرِّضى، وأُسَلم لأمْرِهِ فيما حَكَمَ وقضَى.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ العدلِ، المدّخَرَةَ ليومِ الفصلِ، إنهُ اللهُ الذي لا إلهَ إلّا هوَ وسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وأوسعَ كلّ حي نعمةً وحلماً، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ أرسله للعالمين نذِّيراً. وكانَ لهُ على الظالمينَ نصيراً، فرفعَ الحقَ وأشادَهُ، وقمعَ الباطلَ وأبادَه، حتى اتّسقَ الدينُ، وأشرقَ اليقين، وانْحسمت الظِّنَّة، وعظُمَت المنّة وعُبِدَ اللهُ جهراً، فَشُكراً لهُ على ذلكَ شُكْراً. صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ صلاةً تكونُ لهم في الدنيا ذكْراً وشرفاً، وفي الآخرَةِ ذُخْراً وزُلْفاً، وسلم وتسليماً.

أيها الناس: اتْعَبوا للراحةِ، وازْهَدُوا للإِباحَة، واعْمَلوا للرفاهَة، واخْمَلوا للنَباهَة، فقدْ أصبحتم في دارٍ أولعَ الشتاتُ بشملِها، وغَريت الآفاتُ بأهلها، وألحَّ الخَرابُ على عِمرانِها، ولَجَّ

الفناءُ بسكّانِها، فأذلَّ عزيزَها، وابتذلَ حريزَها، وفرّق أُلّافها، وامتهنَ أشرافَها، وأزالَ نِعَمَها، وأبادَ أُمَمَها، فأصبحتْ أرواحُهم مفقودةً، وأشباحُهُم مَلحودَةً، وأعمارَهُم مبتورةً، وديارُهم مهْجورةً، وأخبارُهم مستورةً، وأوزارُهم مسطورَةً، معذورةً منَ اللهِ إليكم أيّها السامعون، وأخذاً بالحجة عليكم أيها الطامون، فكما أنكم خيرُ أمةٍ أُخرجَتْ للناسِ، فكذلكَ أوزارَكم أعظمُ الأوزارِ في القياسِ، فأفيقوا ـ رحَمكمُ اللهُ ـ منْ سُكرِ الشهواتِ، واحذروا أن يستفزَّكُمُ الشيطانُ في الهفواتِ، وطَهِّروا دَرَنَ الذُّنوبِ بفيضِ العبَراتِ، ويسِّروا حَزَنَ القلوبِ بذكرِ يومِ الحسراتِ، فكأنْ قد وردتُموه غُبرَ الوجوهِ من الثرى، خُمصَ البطونِ من الطَّوى، عُراةً باديةً أجسادُكم، حفاةً ظامِيةً أكبادُكم، سُكارى مِن طولِ الوقوفِ، حَيارى مِن هَوْلِ اليومِ المخُوفِ، قد باينكُمُ العشيرُ، وأسلَمَكمُ الظَّهير، وفرَّ الأولادُ مِنَ الوالدِ، وبَرزوا للهِ الواحِدِ، فيا قِلَّةَ الحِيَلِ، عندَ انقطاعِ الأمَلِ، ويا شِدّةَ الوجلِ، عند حُضورِ الأجلِ، ويا طولَ الندامَة، عندَ الأخذِ بالظُلَامةِ، ويا عُظْمَ مَصائبِ المقصِّرين، عندَ معاينةِ مراتبِ المشمّرين. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾.

أيقظنا اللهُ وإياكُم من رقدةِ الهلاكِ، وأرشَدَنا وإياكُمْ لما يُدْني منَ الفكاك، ووفَّقَنا وإياكم لإصلاحِ إعلانِنا وإسرارنا، واسْتَعملَنا وإياكم بطاعتهِ فيما بقي من أعمارنا.

إنّ أحسَنَ ما نُظِم ونُثِر، وأتقنَ ما وُعِظَ بهِ وزُجِر، كلامُ مَن توجَلُ القلوبُ لذِكْرهِ إذا ذُكِر. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤].

شهر جمادى الآخرى

وفيه أربع خطب.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الواحدِ لا مِن عددٍ مَحْسوب، المتَفرِّدِ بعلم بواطنِ الغيوب، الذي لم تَملِكُهُ الخواطرُ فتُكيّفُه، ولم تُدْرِكُهُ النواظرُ فتَصِفُهُ، ولم يَخْلُ منه مكانٌ فيقع بهِ التأيينُ، ولم يَعدِمْهُ زمانٌ فيُطْلَقَ عليهِ التأوين[١]، ذلكَ اللهُ الذي لا إلهَ إلا هوَ ليس مُؤلَّفاً مِن طبائعَ فَيُنْقُضُ، ولا منعوتاً بآلةٍ فيتَبعَّض، بل هو سميعٌ بصيرٌ كما وُصِف، حيٌّ قديرٌ كما عُرفَ، أحمدهُ حمداً على ما ينوءُ بي حمْلُه، وأُثني عليهِ بما هو أهلُه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً يَحظى بها الشاهدُ، ويَلْظَى بتركها المنافقُ الجاحدُ، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسَلهُ وشَقاشِقُ الشيطانِ هادِرَة[٢]. وبحارُ الطغيانِ زاخِرة، وغَمراتُ الشك طافحةَ، وجمَراتُ الشِّرْكِ لافحةُ، والعربُ

---

(١) قال الكندي: أين السؤال عن المكان، وهو اسم جامد لم يُصرّف منه فعل ولا مصدر، والتأيين من كلام المتأخرين لا تعرفه العرب، وكذلك التأوين من الأوان أيضاً من كلام المحدثين لا تعرفه العرب.

(٢) الشقاشق: جمع شقشقة، وهي ما تخرج من حلق البعير عند هيجانه، ويكنى بها عن كثرة المقال.

عاكِفَةٌ على أصنامِها، مُتجانفةٌ في أحكامِها، مُستقسِمةٌ بأزْلامِها، مُنْفصِمَةٌ عُرَى أرحامِها، فألَّفَ اللهُ تعالى بمحمدٍ صلى الله عليهِ وسلم شَتاتَها، وشرّفَ ببيتِهِ أبياتَها، ورفعَ بصيتِهِ أصْواتَها، وقمَعَ بِعِزِّهِ عُزّاهَا ولاتَها(١). صلى الله على سيّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ أحيانَ الدهورِ وأوقاتَها، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: اتقوا الله وفِرُّوا إليهِ فِراراً، فإنهُ مَنْ كان الموْتُ طالِبُهُ فكيفَ يلَذُّ قَراراً، ومَنْ كان الدهرُ محارِبُهُ فكيف يُطيقُ انتصاراً، ومَنْ كان الأملُ مُطِيَّتُهُ أرْداهُ عَثاراً، ومَنْ كان راحِلاً إلى الآخرةِ فكيفَ يتّخذُ الدُنيا داراً، إنْ هي إلا غفلةٌ شاملةٌ، وأمنيةٌ باطِلة، ومنيّةٌ عالجةٌ، وسجيّةٌ عادِلة، جرى بها القلمُ، ومضى عليها الأُمَمُ، فيا فرائسَ الأحداثِ، ويا عرائسَ الأجداثِ، ويا غرضَ الأعْراض، ويا نَهَبَ الأمْراضِ، لقد صَفَّقَ الموتُ في دياركم فنَعَب، وصدَقكم صرفُ الزمان فما كَذَبَ، ووعظَكم الدهرُ بمنَ ذهبَ، وأراكم مِنْ تقلُّبهِ بكم العجبَ، فكأنْ قد أغذَّ إليكم الكرّةَ، ونَقَضَ منكم المِرّةَ، وانتهزَ فيكم الغِرَّة. فما أقالكُم العثرة، فبادروا ـ عبادَ اللهِ ـ والسبيلُ لكم هدفُ الإمكان، قبل ضيقِ الأوطانِ، وتقلُّصِ اللّسانِ، واصفرارِ البَنان، لنزولِ الحَدَثانِ، واجتماعِ الأُخوانِ، وعَويلِ النّسوانِ، وحُضورِ الجيرانِ، وتسويدِ الحيطانِ، قبلَ هُجوم الفاقرة، ولُزوم الحافِرة، وقُدوم الآخرة، والحصولِ بأرض الساهرَة، فكم يومئذٍ مِنْ وجوهٍ مُرْبَدّة(٢)،

(١) يقصد اللات والعزى من أصنام العرب.

(٢) مُربَدّة: متغيرة اللون إلى السواد.

وأعناقٍ مُمْتدة، وصحائفَ مسودّة، وأبصارٍ غيرِ مُرتدّة، قد أقلقَهُمْ رُجْفانُها، وغَشِيهم دُخانُها، وبَرزتْ لهم نيرانُها، وتجلّى للحكومةِ بينهم دَيّانُها.

فما ظنُّكم - عبادَ اللهِ - بيوم بضائِعُهُ الأعمالُ، وشهودُهُ الأوصالُ، وسِجنُهُ النارُ، وحاكِمُهُ الجبّار، إنّ ذلكَ ليومٌ لا يُقال فيه مِنْ نَدِمٍ، ولا عاصمَ فيهِ من أمرِ اللهِ إلا مَن رَحِم.

جعلنا الله وإيّاكُم ممنْ شملتْهُ مِن الله المنّة، ووجبتْ له برحمتهِ الجنّة.

إنَّ أبلغَ الوَعظِ وأجمَعَه، وأوضحَ القولِ وأنفَعَه، كلامُ مَنْ خَلَقَ الخلْقَ فأبْدَعَهُ، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٠].

❁ ❁ ❁

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الواقيةِ جُنّتُه الباقيةِ سُنَّتُه، الواجبةِ مِنّتُه، القاهرةِ حُجّتُه، العاليةِ كلمتهُ، الغالبة مُنّتهُ[١]. الذي سبق الأشياءَ فهوَ قديمٌ قدمها[٢]، وعَلِمَ كوْنَ وجودِها في نهايةِ عَدمِها، فكان موجدَها بقدرةِ الإمكانِ، ومعيدَها بصحة العيانِ، حينَ لا كونَ ولا مكانَ، ولا دهر ولا زمانَ، ولا وقت ولا أوانَ، ولا إنسَ ولا جانَّ، فسبحانه إليهِ منه الأمان، أحمده كما يجبُ وينبغي، وأعوِّل عليه فيما ألتمسُ وابتغي.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ من أبصرَ بعينِ التحقيق، وسلكَ إلى اللهِ قصدَ الطريق، وأشهدُ أنّ

---

(١) المُنّة: بالضم القوة.

(٢) وقد انتُقدت هذه الكلمة على الخطيب ﷺ، والصواب أن يقول: فهو قديم لا كقدمها، كذا قال الكندي.
قلت: وثمة مسألة أخرى، وهي أن القديم لا يطلق على الله إذ لم يثبت، وباب الأسماء توقيفي، إنما الذي ورد وصفه به (الأول) ولفظ (القديم) يحتمل معنى لا يليق، فالقديم يطلق على المغرقِ في القِدَم ولا يمنع أن يكون قبله شيء.

محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلهُ نذيراً بين يدي عذابٍ شديدٍ، ومُحذّراً مِن أهوالِ يومِ الوعيد، وآثرهُ بتملّكِ دارِ الخلودِ، وجعلَه أعدلَ شاهدٍ في اليومِ المشهودِ.

صلى الله على سيدنا محمدٍ أكرمِ مولودٍ، وأعزَّ مَفقودٍ، وعلى آله الرّكّعِ السُجودِ، المُوفينَ بالعهود، صلاةً موصولةً بالنماء والمزيد، وعلى القَدريّةِ والجبريةِ سُخُطُ الله والعذابُ الشديدُ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: تأهّبوا للقاءِ الموتِ فقد خيَّمَ بعِراصِكُم، وترقَّبوا وقوعَهُ فقد صمَّمَ لاقتناصكُم، واعملوا لوقت تغيُّبِ أشخاصِكم، عملاً يسْلُك بكم محجَّةُ خلاصِكُمْ، فقد دلّكم على سُرعةِ سيركم، ما رأيتمْ مِن وشيكِ رحلةِ غيرِكم.

وإنّ امرَءاً تُعَدُّ عليه أنفاسُه عَدّاً، ولا يستطيعُ لامسُه رَدّاً، لأَهْلٌ أنْ لا يغترّ بصفوِ حياةٍ الموتُ مكدّرُها، ولا يَستطيلَ مدةَ بقاء الفوتُ مُقصِّرُها.

فياذَا الشيبةِ المنذِرةِ باقترابِ الأجلِ ما انتظارُك، وياذا الشبيبةِ الجديرةِ باكتسابِ العمل ما اعتذارُك، فكأنّكَ بمخالبِ المنيّةِ قد عَلَقَتْكَ، وبطوالبِ الرَّزيَّةِ قد لَحِقَتْكَ، وبكواذبِ الأيامِ قد صَدَقَتْكَ، وبنوائب الأحكام قَد سَحَقَتْكَ، فأصبحْتَ غرَضَ آفاتٍ تُرْشَقُ، وأسيرَ مَمَاتٍ لا يُطلقُ، ذا بصرٍ شاخصٍ، وحَوْلٍ ناقصٍ، وشفةٍ قالصٍ[1]، وإحجامٍ ناكصٍ، لإقدامِ الملكِ

(١) لعلها: ولسانٍ قالصٍ، قال العلامة طاهر الجزائري: والظاهر أن الناصح أبدل اللسان بالشفة، وقلصت شفته أي انزوت.

المغافِصِ[١]، غايبَ الروحِ حاضرَ الجسدِ، لا تَلوي على أهلٍ ولا ولدٍ، قد شغلكَ كشفُ الغطاءِ، عن الأخذِ والعطاء، فجادَ بكَ إلى قبركَ البخيلُ، وأتبعكَ الصوتُ والعويلُ، وتضمّنَكَ السفرُ الطويلُ، وقابلكَ اليومُ الثقيلُ، وحاسبكَ الملكُ الجليل، على الكثير والقليل، فألفيتَ مَنسِيَّ عملِكَ مذكوراً، ومخفيَّ زلَلِكَ مسطوراً، ومستورَ فضائِحِكَ، مشهوراً، ولُقِّيت كتاباً تلقاهُ منشوراً، لا يَدعُ سريرةً إلا أبداها، ولا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فيومئذٍ تَفِدُ الخلائقُ على اللهِ بُهْماً، فيحاسبُهم على ما أحاطَ به علماً، ويُنفِذُ فِي كلِّ عاملٍ منهم بعلمهِ حُكماً، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١].

أمدّنا اللهُ وإياكُم بالعونِ على ما أَمَرَ، وسامَحَنا وإيّاكُم بالعَفوِ عَمّا سَتَر، وَجعلنَا وإيّاكم ممّنْ اعترفَ بنعمائهِ فشكَر، واستسلمَ لبلائِه فصبَر.

إنّ أحسنَ الكلامِ استفتاحاً وخَتْماً، وأبينَ المواعظِ نثراً ونظماً، كلامُ مَن لم يزَلِ الإقرارُ بربوبيّتهِ حَتماً. ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣].

❀ ❀ ❀

---

(١) المغافِص: آخذ الشيء مخاتلة على غفلة وغيرة.

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ الدالِّ على نفسِهِ بما خَلَقَ، المانِّ على خَلْقِهِ بما رَزَقَ، الذي خَضَعَتِ الرِّقابُ لوطأتهِ وصَوْلِهِ، وذَلَّتِ الصِّعابُ لعِزّتهِ وحَوْلِهِ، واطمأنّتِ الألبابُ إلى رحمتهِ وطَوْلِهِ، وتسبَّبَتِ الأسبابُ بمشيئتِه وقَوْلِهِ، أحمَدُهُ على خُصوصِ نعَمِهِ وعُمومِها، وحديثِ مِنَنِهِ وقديمِها، وضئيلِ قسمهِ وجسيمها، ومنسوخِ أقضيتِهِ ومحتومِها.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ القديمُ الذي ليس لأزليتهِ حدّ، العظيمُ الذي ليسَ لهُ كفؤٌ ولا ندٌّ. وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ غرسهُ في أطهرِ المناصبِ، وخصّهُ بأشهرِ المناسبِ والمناقبِ، وانتجبَهُ مِن ظهورِ النُّجباءِ وبطونِ النجائبِ، في صَميمِ قريشِ الأطائبِ، وأكرمِ بيتٍ في لؤي بنِ غالبٍ.

صلى اللهُ على سيدنا محمدٍ خيرِ ماشٍ وراكبٍ، وعلى آلهِ صلاةً يُبَلِّغُهم بها أعلى المراتبِ، ويُنيلَهم بها أقصى الرغائبِ والمطالب.

أوصيكُم ـ عبادَ الله ـ وإيايَ بتقوى اللهِ فإنّها أمنعُ المعَاقِل، وأنفعُ الوسائل، مَن لزِمَها فازَ وسَلِم، ومَنْ حُرِمَها امتازَ وندِمَ،

وأحذِّرُكم داراً دَوائرُها دائرةً، وتجاراتُها بائِرة، وآفَاتُها راشقة، وآياتُها ناطقة، المتَعَزِّزُ بها ذليل، والمُتكثّر بها قليل، من وثِقَ بها خَذَلتْه، ومَن اعتصمَ بها أسلَمَتْه، ومَن طَلبها فاتَتْهُ، ومن تجنَّبَها أتَتْهُ. سَلامَتُها مَنُوطَةٌ بالسَّقَم، وشَبابُها يعودُ إلى الهرَم، لا تَمنحُ سروراً إلا أعقبتهُ ثبوراً، ولا تَسمَحُ بصفوٍ إلا شابتْهُ تكديراً، تَنهَبُ الأعمارُ نهباً نهباً، وتُكسبُ الأوزارُ كسباً كسباً، فتأمّلوا - رَحمكم اللهُ - صنيعَها بأحبابها، وأهلِ الثقةِ بها مِن أترابِها، كيفَ كشَّرَتْ لهم عَن أنيابِها، وتكشّفت لهُم عنْ عُجابِها، أحرصَ ما كانوا عليها، وأميَلَ ما دانُوا إليها، أذافت[1] لهم قواتلَ سِمامها، وفوّقت[2] لهم صوائبَ سِهامِها، وسَلّتْ عليهم صَوارمَ حِمَامِها، وأقصَدَتْهُم بنوائبِ لياليها وأيّامِها، فصارَ نعيمُهم فيها كأحلامِها.

فما الاغترارُ - رحمكُم اللهُ - بدارٍ هذهِ صفتُها عيانا لا إخبارا، ولعلَّ أكثرَكُم قَد عاين ذلكَ مِنها في أهلها مِراراً. وقد وصفها اللهُ تعالى لمن عقلَ عنهُ بما فيها، وكشفَ في القرآنِ لمن تدَبّر عن مُساويها، فقالَ وهوَ أصدقُ قيلاً، وأحقُّ قولاً، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ [الحديد: ٢٠].

فيا أهلَ العُقولِ تفكّروا، ويا ذَوي التجاربِ اعتبرُوا، ويا أولِي الأبصارِ تبصّروا، ويا حملةَ القرآنِ تدبّروا، قبلَ أن تتضمّنَكمُ الحُفرُ، وتُغيِّرُكم الغِيَرُ، ويُستعجمَ منكم الخبرَ، ويُواريكُم التُّربُ

---

(١) أذافت: خلطت، والمشهور دافت بغير همزة وبالدال المهملة.

(٢) فوّق السهم: جعل الوتد فوقه عند الرمي، والفوق موضع الوتد.

والمَدَرُ، فلا يُرى مِنكم عينٌ ولا أثرٌ. ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢] حَجَبَنا اللهُ وإياكمُ عَنِ الدنيا بحجابِ العِصمة، وحصّننا وإيّاكم مِن قوارعِ النقمةِ، وأسبلَ علينا وعليكم ستورَ الرأفةِ والرحمة، وبلّغنا وإياكم مِن عفوهِ المُرادَ وألهمه.

إنّ أحسنَ ما رُسخَ في الضمائرِ، وأحلى المقالِ لذوي العُقولِ والبصائر، كلامُ اللهِ العزيزِ الغافر، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

❁ ❁ ❁

الخطبة الرابعة

الحمدُ للهِ المتفضِّلِ بالنّعمِ قبلَ استحقاقِها، المتكفِّل للأمَمِ بأدْرارِ أرزاقِها، الفارقِ بينَ طبائِعها وأخلاقها، الحافِظِ لها في أقطار أرضها وآفاقها، العالم بمدابِّ ذَرِّها في حنادِسِ أطباقها، المُحصِي عددَ نباتِها وأورَاقها، فكيف يعزُبُ حفظُ الخليقةِ على خَلّاقها.

أحمدُهُ على جزيلِ إرفاده، وأعوذُ به مِن وبيلِ إيعادِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً أكملَ اللهُ بها الفَرْضَ، وأقامَ بها السماواتِ والأرضَ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ بالنّورِ الساطعِ، والحقّ القاطع، والفخرِ الجامعِ، والعزِّ القامِع، والعدلِ الواسع، إلى كلِّ قريبٍ وشاسعٍ، فأفصحَ المقالة، وأوضحَ الدِلالة، وأبلغَ الرّسالة، ودفع الشركَ وأزالهُ، وأعلنَ النَذارة، وأحسنَ العِبارة.

فلم يَزل صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في اللهِ تعالى صابراً، وعلى طاعتهِ مُثابراً، ولأوليائهِ ناصراً، ولأعدائهِ قاهراً، وعن الشركِ زاجراً، حتى أنجزَ اللهُ وعدَه، وأعزَّ جُندَه، وعُبِدَ الله وحده، ثمّ اختارَ لهُ ما عِنده، صلى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ وعلى آلهِ الأئمةِ الراشدينَ بعده، وسلم تسليماً.

أيها الناس: ما للعيونِ معَ الوعيدِ جامِدةً، وما للقلوبِ عن

الآخرةِ راقدة، وما لِلهِمم عن المعالي قاعِدةً، وما للنفوسِ في الخيراتِ زاهِدةً، أعَمِيتْ البصائِر، أم خَبُثَتِ الضمائِرُ، أم نُسيتِ الكبائرِ، أم أُمِنَتِ الدَوائِرُ.

أما ترونَ انصرامَ الساعاتِ، واخترامَ اللحَظاتِ، وقيامَ الأدِلّة على الشَّتات، ولَحاقَ الأحياءِ بالأموات، وأنتم راحِلونَ في حالِ الإقامةِ، هالِكونَ من جانِبِ السَلامة، تاركونَ لما قد عرفتموه، شاكونَ فيما قد تحقَّقتُموه، حتى كأنّ غيرَكم المندوبُ، أو كأنّ سِواكُم المطلوبُ، هيهاتَ هيهاتَ أدركَ واللهِ الطالبُ مَن طَلُبَ، وهلكَ الهارِبُ إذْ هرَب، إلا صائنٌ نفسَهُ قبلَ أن تُهان ألَا دائنٌ نفسَهُ قبلَ أنْ تُدان، هذا ـ عبادَ اللهِ ـ مأتمُ المذنبين فهَلْ مِن مُسعِدٍ بنحيب، وهذا مغنمُ التائبين فهَلْ مِن مُزمعٍ مُسْتَجيبٍ، وهذا متجرُ العامِلين فهَلْ مِنْ مُقلِعٍ مُنيبٍ، قبلَ تحدُّرِ الدّمعَةِ، وتكدُّرِ الجَرْعَةِ، وتَنكُّرِ الصَّرعَةِ، وتعذُّرِ الرَجعَةِ، قبلَ حلولِ البليَّة، ونزولِ الرَزيَّةِ، ودَبيبِ المنيَّةِ، في السُّبُلِ الخفيَّةِ، هنالِكَ يَعَضُّ الظالمُ على يديهِ تحسُّراً، ويَجِدُ ما جَنَتْ عليهِ نفسهُ مُسَطَّراً، ويَرَى ما غابَ عنهُ من عملِهِ مُحضَراً، ويلقى حِسابَهُ مُسْتَقْصى محرَّراً، ويَحِقُّ له من اللهِ الوعدُ والوَعيد، فإمّا إلى عيشٍ رغيدٍ، وإما إلى عذابٍ شديدٍ، يومَ تأتي كلُّ نفسٍ مَعَها سائِقٌ وشهيدٌ، إنّ في ذلكَ لذكرى لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ أوْ ألقى السمعَ وهو شهيد.

ألهمَنا الله وإياكم حُسْنَ الاستعدادِ للعاقبة، وأنهضنا وإياكم بحقوقه الواجبة، وأيدنا وإياكم بمعونته الغالبةِ.

إنّ أحسن ما فاه بهِ الزاهدون، وأنفعَ ما نحاهُ القاصدون،

كلامُ من نحُن له عابدون، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

❁ ❁ ❁

شهر رجب

وفيه أربع خطب.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ مُنتهَى الحمد، ومبتدأِ المجدِ، الوفيِّ بالعهد، الصادقِ في الوعد، الذي ليسَ لما رفَعه خافضٌ، ولا لِما أبرمَهُ ناقضٌ، ولا لَه في مُلكه شريكٌ ولا مُعارِضٌ، أحمدُه حمدَ خاضعٍ لجلالِهِ وكرمِه، مستزيدٍ بالحمدِ موادَّ نوالِهِ ونعمِه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ المتعالى عن إحاطةِ الجهاتِ، والمتكبِّرِ عن إدراكِ الصفاتِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولهُ أرسلهُ إلى أمّةٍ شديدٍ ضلالُها، كثيرٍ جُهّالُها، فدلّها على السُنن وعرّفها، وأنقذها مِن الفتنِ واختطفها، وحذّرها المهالكَ وخوّفها، وطهّرها من الدنس وشرّفها، صلى الله عليهِ وعلى آله أطيبَ الصواتِ وألطفَها، وسلم تسليماً.

أيها الناس: أوصيكم ـ عبادَ اللهِ ـ وإيّاي بتقوى اللهِ فإنّها شِعارُ المؤمنين، ودِثارُ المتقين، ووصية اللهِ فيكم أجمعين، جعلها الله لمن لزمها واعتصم بها ذُخراً، وأحسنَ له في نَصِّ كتابهِ ذِكراً، فقالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطّلَاق: ٥] واعلموا ـ عبادَ اللهِ ـ أنّ اللهَ تباركَ وتعالى نصبَ لكم أعلامَ الرشادِ، وأوضحَ لكم سبيلَ السّدادِ، إكراماً لكم وتطوُّلاً،

وإنعاماً عليكم وتفضُّلاً، ففضّلَ الشهورَ بعضَها على بعض، وجعل فيها مواقيتَ السُّننِ والفَرْض، زيادةً في القليلِ مِن أعمالِكم، ونماءً للصالِح مِن أفعالِكم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النّحل: ١٨].

ألا وإنّ شهرَكم هذا شهرٌ حرام، فضّلتْه الجاهليَّةُ وشرَّفهُ الإسلامُ، افتتحَ اللهُ بِهِ ثلاثةَ أشهرٍ كرام، فضّلها على شهورِ السنينَ والأعوام، فرَجَبٌ أولُ شهورِ البركةِ، المنقذةِ من كلِّ فتنةٍ وهَلكة، وهو شهرُ اللهِ الأصبَّ، تُصَبُّ فيه البركاتُ على البرايا، وتُضاعَفُ فيه الحسناتُ لمن أقلعَ عن الخَطايا، فعظِّموا ـ عبادَ اللهِ ـ ما عظَّمَ اللهُ مِن حُرمة هذا الشهر، واستحيُوا من اللهِ في السرِّ والجهر، واستغفروا فيه ربّكم للسلَفِ، وكونوا على حذَرٍ منهُ في المؤتنف(١)، فإنّ المذنبَ في هذه الشهورَ لا يُمَهلُ، وعقوبتُه تتقدّم وتُعَجّل، والويلُ لمغترٍّ جاهلٍ، ساهٍ عن رُشده غافلٍ، يأملُ الفوزَ بالبطالةِ، ويرتكبُ الذنوبَ بالجهالةِ، لا يستمعُ للذكرِ، ولا ينتفعُ بشرفِ يومٍ ولا شهرٍ، حتى تصرّم أجلُه، وحُصِّل في عنقِه عملُه، فطلبَ الإقالةَ فلم يُجَبْ إليها، والتمس العَوْدَةَ فلم يقدِر عليها، هيهات حالَ الموتُ بينَه وبين ما يشتهيه، وشُغِلَ عن أحبابه بما هو فيه، يا له من نادمٍ على تضييعِه، آسفٍ على السيئ من صنيعه، حين عاينَ رُتبَ الصالحين، وأبصرَ منازلَ المفلحين، الذين قدَروا اللهَ حقّ قَدرِه، وكانوا نَصْب نهيه وأمره ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ

(١) المؤتنف: المستقبل، من قولك ائتنفتُ الأمر إذا ابتدأته.

﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النُور: ٣٧] جعلنا الله وإياكم ممن ادّرَع بالوجَلِ، وارْتَدع عن الزَلَلِ وجدٌ في إصلاحِ العمل، ولم يَملِكُهُ طولُ الأملِ.

إنّ أنفعَ الوعظِ لأهلِ التمييز، وأحرزَ كلِّ حرزٍ حريزٍ، كلامُ القويِّ العزيز. ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرة: ١٩٤].

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ رافعِ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ مُقِلَّةٍ، وبارئ البريّاتِ لا مُتكثّراً بها مِن قِلّةٍ، الذي قدَّرَ خلْقَها في مواقعها، وعرَّفها مضارّها مِن منافعها، وعَلِمَ عاصيَها مِن طائِعها، وفرّق بينَ خلقها وطبائعِها، ليدُلّ بوجودِ الصنعةِ على صانعها، أحمدُه وهو أهلُ المحامدِ، وأستعينُه على المحن القواصد(١)، وأستغفرُه للموبقاتِ الأوابدِ، وأسترفدُه إنه أكرمُ رافدٍ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةً اطمأنّتْ بها الجوارحُ، وامتلأتْ مِنها الجوانِح(٢)، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ بعثهُ إلى خيرِ أمّةٍ، وكشفَ به كلَّ غُمّةٍ وأتمَّ به كلّ نعمة، صلواتُ اللهِ وملائكتِه عليه، كما أطاعَ اللهَ ودعا خلقَهُ إليه، وسلم تسليماً.

أيها الناس: مَن نوى الإقلاعَ فهذا أوانُه، ومَن أزمعَ الاسترجاعَ فقد آنَ إبّانُهُ، ومَن رام النّزاعَ فقد حان عُدّانُه(٣)،

---

(١) القواصد: المتعمّدات.

(٢) الجوانح: الضلوع.

(٣) عُدانه: أوانه المعدُّ له.

هذا شهرُ التوبةِ والندم، والصدقةِ وصلةِ الرحِم، وأحدُ الأشهُرِ الحُرُم، المنقِذةِ مِن حلولِ النّقم، شهرٌ منزلتُهُ عظيمةٌ، وحُرْمَتُهُ قديمةٌ، الحسنةُ فيه جزيلٌ أجرُها، والسيئةُ فيه ثقيلٌ وِزْرُها، فهل مِن باكٍ على زَلَل، أو مُقلعٍ عن قبيحِ عمل، أو مُقَصِّرٍ مِن طولِ أمل، أوْ مُنْطَوٍ من اللهِ على خَوْفٍ ووجل، في شهرٍ لا يُردُّ فيه سائل، ولا يُحرَمُ فيه آملُ، ولا يخيَّبُ فيه عاملُ، ولا يُمهلُ فيه غافلُ.

أين الأجسامُ العاملة، أين الشفاهُ الذابلةُ، أين الأحشاءُ الراجفةُ، أين القلوبُ الواجفةُ، أينَ الأبصارُ الخاشعةُ، أين الأعناقُ الخاضِعَةُ، أين التَملْمُلُ مِن ثِقلِ الأوزارِ، أين الحذَرُ مِنْ مُنقَلبِ الإصْرارِ، أين الاجتهادُ في محوِ القبائح، أين الاستعدادُ للتوبيخِ بمسطورِ الفضائحِ. أتثقونَ بالحياةِ إلى عامٍ قابلٍ، أم تأمَنونَ حُلولَ الموتِ العاجلِ. كلّا لا جُنَّةَ مِن الموتِ ولا دَرْكَ بعدَ الفوتِ، وإنما هي معاذيرُ مقدَّمةٌ، ومقاديرُ مبهَمةٌ، وفُرَصٌ مغتنمَةٌ، وغُصَصٌ مقتحِمَةٌ، وآجالٌ مُنصَرِمَةٌ، وآمالٌ منفصِمَةٌ، ونفوسٌ مستسلِمَةٌ، ونحوسٌ مُحْترِمَةٌ، وقبورٌ مُظلِمةٌ، وأمورٌ مستعجِمةٌ، ومسائلُ منتظمةٌ، ودلائلُ مترجمةٌ، عن تفاقمِ الأمرِ، وأهوالِ يومِ الحشرِ، وشدةِ الفاقةِ والفقر، إلى العملِ اليسيرِ النزرِ، فمنْ شمَّرَ في السعي نفعَه، ومن اغترَّ بالبغي صَرعَهُ.

فاللهَ اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ أن تسلكوا سُبلَ المهالك، فإنها تسرِعُ بسالكها إلى مالكٍ، خازنِ النار، وصاحبِ دارِ البوارِ، وسِجنِ المنافقين والفُجّار، ومحلِّ سَخَطِ الجبّار.

صرفنا اللهُ وإياكم عن طرائقها، وسلّمنا وإياكم من بوائقها، فما أنعمَ بالَ مَن سَلِمَ منها، وأحسنَ حالَ من زُحزِح عنها.

إنّ أرصَنَ ما ثبتَ في المهارق، وأحسنَ ما سُمع مِن لفظٍ ناطقٍ، كلامُ المقتدر الخالق، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ مؤلّفِ الفِطَرِ على غيرِ مثالٍ سَبقَ، ومصرِّف القدَرِ بمشيئته في كُلِّ ما خَلَقَ، والمكَلّفِ عبادَته مَن عقَلَ مِن بريّته ونَطَق، والمحرِّف أهلَ طاعتِه عن مسلكٍ من حادَه وفسَق.

أحمَدُهُ مُدْمِناً، وأشهدُ أن لا إله إلا هو مُوقنا، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ ببوالغ الحِكَمِ، وجلّلهُ بسوابغ النِّعَم، وأوطأه رقابَ الأُمم، وبوّأه جَنابَ الحَرَمِ، فلم يَزل صلى اللهُ عليهِ بزنادِ الإيمانِ قادحاً، ولعُبّادِ الأوثانِ مكافِحاً، وفي غمراتِ الأهوالِ سابحاً، وللهِ في كل الأحوال مُناصحاً، حتى صارَ جَذَعُ الإيمانِ قارحاً، وأصبح نهجُ اليقين واضحاً، وعاد فاسدُ الشرعِ صالحاً، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ ما زَجر عائفٌ[١] سانحاً أَوْ بارحاً، وسلم تسليما:

أيها الناس: سدِّدوا آوَدَ[٢] أعمالكم بثقافها[٣]، وحدّدوا عُددَ آمائكم باستينافها، وردّدوا ذِكرَ آجالكم قبلَ إشرافها، ومهِّدوا

---

(١) من العيافة، وهي زجر الطير، وهو ضرب من التكهن.

(٢) الأود: العوج.

(٣) الثقاف: ما تقوّم به الرماح، وتثقيف القناة تقويمها.

لأنفسكم قبل اختطافها، وتزوّدوا من أيامكم قبلَ انصرافها، واجتهدوا في العمل الصالح قبلَ أهوال القيامةِ وانكشافها، واغتنموا أيامَ شهرٍ عظَّمَ اللهُ قدرَه ومحلَّه، وعمَّكم ببركته منذ أهَلَّه، وسمّاه رجباً حينَ أعلاه وأجَلَّهُ، فتزوّدوا منه فقد نفدَ إلا أقلَّهُ، واستدرِكوا ببقيته الفائتَ من ماضيه، وتقرَّبوا إلى ربكم فيه بما يُرضيهِ، ولا تجعلوا غُرورَ آمالكم، حُجُباً بينكم وبين آجالكم، فكأنْ قد سلَكْتُ بكم الظنونُ سبيلَ الخَيْبةِ، وهتكَت عليكم المَنونُ ستورَ الهيبةِ، فجعلتِ المفاصلَ حاميةً، والمقاتلَ باديةً، والمنازلَ خاليةً، والحلائِلَ باكيةً، والمتحرِّكَ ساكناً، والمقيمَ ظاعِناً، أخا سَفرٍ لا يبرحُ، وقرينَ ضَنَكٍ لا يُفْسحَ، ورَهينَ بابٍ لا يُفْتحَ، ونهْبَ فسادٍ لا يُصْلح، أسيرَ الغُربةِ، بعيدَ الأَوْبَةِ، مشغولاً بقطعِ سُبُلِه الشاقّة، إلى يوم تحقيقِ الحاقةِ، أما في ذلكَ ـ عبادَ اللهِ ـ ما كسَبَ الخشوعَ، وسكبَ الدموعَ، وأذهبَ الهجوعَ، وأوجبَ الرُّجوعَ، بلى واللهِ ولو لم يكنْ إلا الموتُ وحدَهُ، فكيف وهو أيسرُ مما بعَدهُ.

أمارَنا الله وإياكم بنوافل أُعطياتهِ، وأجارنا وإياكم بمعاقلِ توفيقاتِهِ، وأعارنا وإياكم بنوافل أعطياتِهِ، وأجارنا وإياكم بمعاقلِ توفيقاتِهِ، وأعارنا وإياكم ملابسَ تُقاتِهِ، وأصارنا وإياكم إلى طرائقِ مَرْضاتِهِ.

إنّ أحسنَ الحديثِ متلوّاً ومزبورا، وأبينَ القصص منظوماً ومنثوراً، كلامُ مَن أنزَل القرآن هدىً ونوراً، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المَائدة: ٩٧].

الخطبة الرابعة
يذكر فيها وداع رجب واستقبال شعبان

الحمدُ للهِ الذي سبَّح كلُّ شيءٍ بحمدِه، وغمرَ كلَّ حيٍّ بسعَةِ رِفدِه، وحجب موادّ الفِطَنِ أنْ تحيطَ بحدِّه، وأَخرس فِصاحَ الألسُنِ أن تنطقَ بقبلِهِ أو بَعْدِه[١]، أحمدُهُ على توالي البركاتِ مِن عِندِه، حمداً أتنجَّزُ به مضمونَ وعدِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةَ عبدِه وابنِ عبدِه، وأشهدُ أنَّ محمداً نبيُّه الوفيُّ بعهدِهِ، ورسولُه الموضحُ سبيلَ قصدِهِ، قدَحَ اللهُ شهابَ الإيمانِ بزِندِهِ، وفلَّ حَدَّ الشيطانِ بحدّه، وأيَّده بحزبِهِ وجُندِهِ.

صلى اللهَ عليه وعلى مؤمني آل جَدِّه، والمصطَفينَ مِن صحابتِه وأهلِ وُدّه، ما قَهْقَهَ سحابٌ برعْدِه، أو دارَ فلكٌ بنَحْسِهِ أو سَعْدِه، وسلّم تسليماً.

---

(١) قال العلامة طاهر الجزائري ﵀: المراد بهذه الفقرة أن الله تعالى ليس له قبل ولا بعد، إذ لو كان ذلك لكانت الألسنة الفصيحة غير خرساء عن الإفصاح عنهما، فهذا التركيب من قبيل: «على لاحِبٍ، لا يُهتدى بمناره» أي ليس له منار فيهتدى به.

أيها الناس: مَنْ عَرَف الحقَّ أنكرَ الباطلَ، ومَن أحبّ الآجلَ أبغضَ العاجل، ومن فكّر في العواقب، لم يُقدِمْ على المعاطبِ. وطلبُ الفائت عَناءٌ، والقولُ بغيرِ عملٍ هباءٌ، والجامعُ لغيرِهِ مفتونٌ، والبائعُ لنفسه مغبونٌ، والمرءُ أعلمُ بسريرته، وكلٌّ عاملٌ على بصيرته، والمصيبةُ في الأديان، أعظمُ منها في الأموالِ والأبدان.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ حقَّ تُقاتِهِ، وشمِّروا في السعي إلى مرضاته، فإنكم في شهورِ القَبول وأيام تَنْفُذُ عَن قليلٍ، تَطولُ عليها ندامةُ مَن ضيَّعها، وتدوم سلامةُ مَنْ عرَفَ مَوضعَها، قد آذنَ رجبٌ منها بالقُفول، وأظلَّ شعبانُ بعده للنزولِ.

فيا حسرةَ مَنْ لم يَفُزْ مِنْ شهره بطائل، ويا خيبةَ مَن أخَّر التوبةَ إلى عامٍ قابلٍ، لقد وثق مِن الحياة بما ليس إليه، وأمِن مِن الوفاةِ ما هو محتومٌ عليه. سُحقاً لهُ مطبوعاً على قلبه، متخلِّفاً عن صَحْبِهِ، مُصِرّاً على ذنبِهِ، مُجترئاً على سخَطِ ربّهِ، حتّى تصَرَّمتْ أيامُ شهرِهِ ولياليه، وصارَ شهيداً عليه بما اجترحَ فيه، ثم ما لبث أن نصَب له الموتُ أشراكَه، وأوردَهُ هلاكه، فعرَف حينئذٍ ما أنكَرَ، واستَكبرَ ما اسْتَصغرَ، وتحسَّر على ما قصَّر، واستعبر حين أبصر، فلم تُغْنِ حسرتُهُ فتيلا، ولا شفَتْ منه عَبرتُه عَليلاً، أنّى وقد طُوِيَ كتابُه، وعُدم إيابُه، وحُرِّر حسابُه، وحُصّلَ اكتسابُه، وحَقَّ عليه ثوابُه أو عقابُه، يا له أسيرَ جَدَثٍ لا يُؤَمَّلُ، وقرينَ شَعَثٍ لا يُرجَّلُ[1]، جارَ جيرانٍ لا يتزاورون، وأخا إخوانٍ لا

(١) الشعث في الشعرِ بُعد عهده بالدهن والتسريح، وترجيلُه: تسريحه.

يتعاشرون، فهم في حالِ الوجودِ معدومون، وعلى ظهرِ سَفرٍ مقيمون، إن خوطبوا لم يملكوا خِطاباً، أو سُئلوا أَعْيَوا جواباً، صالَ عليهمُ القضاءُ فخمَدوا، وألحَّ بهِمُ الفناءُ فنِفدوا، وغَشِيَتهُمْ سِنَّةُ الموتِ فَرقَدوا، فليتَ شِعْرِي أشقُوا أم سَعِدوا.

فرحم اللهُ امرءاً سلك المحجّةَ، وأعدَّ الحُجّةَ، فإنه لا بُدَّ مسؤولٌ، ومِن الدنيا إلى الآخرة منقولٌ.

أحسنَ اللهُ لنا ولكم المعونةَ، وجلّلنا وإيّاكُم السكينَةَ، وجعلنا وإياكم مِن حِزْبِهِ، المغتبِطين بقُرْبه.

إنّ أنفعَ القولِ في المواعظِ والإنذارِ، وأبلغَ ما أَخَذَ به أولو القلوبِ والأبصار، كلامُ الملكِ القهارِ ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [هُود: ١-٤].

❀ ❀ ❀

شهر شعبان

وفيه خطبتان.

الخطبة الأولى
يذكر فيها دخول شعبان

الحمدُ للهِ فالقِ النّوَى والحبّ، ومُخرجِ الحصيدِ والأَبِّ[١]، وقابلِ التوبِ وغافرِ الذنْبِ، الواحدِ الصَّمد الربِّ، الذي لا يُدركُه ناظرٌ، ولا يَملِكُه خاطِرٌ، ولا يفوتُه بادٍ ولا حاضرٌ، ولاَ لهُ في مُلكه مُعينٌ ولا مُوازِرٌ.

أحمده حمداً يَسْتَفرغُ وُسعَ الطاقةِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ ذخيرةَ ليومِ الفقرِ والفاقةِ، وعُدّةً إذا حقَّتِ الحاقّةُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه المبعوثُ مِن تِهامة، ورسولُهُ الموسومُ بالشامةِ، جعلهُ الله حاديَ الأنبياء في الإمامةِ، وهاديَهم المقدَّمَ يومَ القيامةِ.

صلى الله عليه وعلى آلهِ أهلِ النجدةِ والشهامَةِ، وخصَّهم بغرائبِ الفضلِ وطرائفِ الكرامةِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أقلِعوا عنِ الذنوبِ قبل أن تُقلَعوا، وارجعوا عن الحوبِ قبلَ أن تُرجَعُوا، وتمتّعوا بالعملِ الصالح قبلَ أن

(١) الأبُّ: علف الدواب.

تُمنعوا، فقد أتاحَ اللهُ لكم شهورَ التجارة الرابحةِ فتاجروه، وأنذرَكم شِدّةَ بأسِه فحاذِروه.

هذا ـ عبادَ اللهِ ـ شعبانُ ضارباً بُجْرانِه، قادماً بمعروفِ ربّكم وإحسانِه، تتشعّبُ من السماء عليكم بركاتُه، وتُزَكّي أعمالَكم أوقاتُه وساعاتُه، أطنبَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه في وصفِه، ورغَّب في قيامِ ليلةِ نِصفِه.

فتأهبوا ـ رحمكم اللهُ ـ لقصدها، وشمّروا لاغتنامِ ورِدِها، فكم طليقٍ فيها مِن وَثاق الذنوب، وحقيقٍ بنيلِ كلِّ مطلوب، يُنزل الله تعالى فيها صِكاكَ الأرزاق، ويعجّل لبركاتها فكاكَ الأعناقِ، فاهرُبوا إلى اللهِ ـ عبادَ اللهِ ـ فيها من سوءِ الاجترِاح، واطلبوا منه حوائجكم تظفروا بالنجاح.

واعلموا أنّ وراءَكم طالباً لا يَغْفُل، وسالباً لا يُمهِل، وناراً تلفَح، ومقاماً يفضح، وقضاء فصلاً وحكماً عَدلاً، وكتاباً لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وديّاناً لا يَدَعُ ظُلامةً إلا ردّها واستقصاها.

فرحم اللهُ امرءاً ذا شيبةٍ عرفَ حقَّها فأكرمها، وذا شبيبةٍ استحسن خَلقَها فرحمها، وذا بصيرةٍ خبرَ مادّةَ دائِهِ فحسَمها، وذا سريرةٍ أصلحَ فسادَها فأحْكَمَها، قبلَ أن يُنيخَ بكم الموتُ نِياقَه، ويضْربَ عليكم رواقَه، ويُمِرَّ لكم مذاقَه، ويُرهقَكُم سِياقه، ويُورِدَكم موارِد قومٍ سَلفوا، ومِنْ أموالهم وديارهم وأولادِهم اختُطفوا، فهم في منازلِ الهلكَى نازلون، وعلى ما قدموا من العملِ حاصلون، قد فصَلَ وِصالُ الثرى أوْصالهم، وغيّرتِ غِيَرُ

البِلى أحوالَهم، وغداً يصير المتخلِّفون عنهم أمثالَهم، فما لَهم لا يعتبرون بهم مالَهم.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن اطَّرح اللهوَ جانباً، واتّخذ الجِدَّ صاحباً، وكان لِهواه غالباً، ولمولاه مراقباً.

إنّ خيرَ ما نَطَقتْ به فصاحُ الألْسُنِ، ووعاهُ قلبُ كلِّ مُؤمنٍ كلامُ الإلهِ المحسِن ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدّخان: ١-٦].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية
يذكر فيها وداع شعبان

الحمدُ للهِ الذي لم تَخْلُ منهُ غايةٌ فيُحاز، ولم تَنْأَ عنه نهايةٌ فيُجَاز[١]، ولم يُجانِسِ الجواهرَ فتُشاكِلُه، ولم يمازجِ الأعراضَ فتداخلُه، بل هو مالئُ الأشياء مِن غيرِ حُلولٍ، والمطّلعُ عليها بغيرِ أُفولٍ، والمحيطُ بقاصيها ودانيها بتحصيلٍ، والدائمُ بلا زوالٍ ولا تحويلٍ، أحمدَهُ وهو وليُّ الحمدِ، وأُقِرُّ بربوبيته إقرارَ العبدِ. وأشْهدُ له بما شهد به لنفسه، والملائكةُ المسبِّحةُ بقُدسِه، حيث يقول ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ المختارُ مِنَ الخلائقِ، وأمينُه المكاشَفُ بغيوبِ الحقائقِ، ورسولُه المبعوثُ بأحمدِ المذاهبِ والطرائقِ، إلى أهلِ اللَّسَنِ والشقاشِقِ[٢]، والإلحادِ في أسماءِ

---

(١) قال العلامة طاهر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُحاز من الحوز، ويجاز من الجواز، أي ليس له مكان فيحتوي عليه، ولم يبعد عليه مكان متى يجوزه المار إليه لأن كل ذلك من صفات الأجسام.

(٢) اللَّسن: الفصاحة، والشقاشق جمع شقشقة وهي هدير الفحل.

الخالق، فمهّد الله به مِن الكفرِ كُلَّ شاهِقٍ، واستأصَلَ بسيفِه شأفةَ كلِّ فاسقٍ، وأمكنَهُ مِن ناصيةِ كلِّ منافقٍ، حتى اتَّسَقَ الحقُّ في المغاربِ والمشارقِ، وزهَق الباطلُ ـ أبعدَهُ اللهُ مِنْ زاهقٍ ـ صلى الله عليهِ وعلى آلهِ ما لاح وميضُ بارِقٍ، ونَضْنَضَ لسانٌ(١) بنُطْقٍ ناطقٍ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ليس الأسفُ كلّ الأسفِ على فوْتِ ما إدراكُهُ فَوْتُ، ولا اللّهَفُ كلُّ اللَّهَفِ على فقدِ حياةٍ آخرُها الموتُ، ولكنِ الحزنُ الطويلُ، والحسرةُ التي لا تزول، عندَ التخلُّفِ إذا برَّزَ السابقون، والإبعادِ إذا قُرِّبَ الصادقون. والتعبِ إذا استراح العاملون، والخمولِ إذا نُبِّه الخاملون. يا لها حسرةً لا يَغبُّ كَمَدُها(٢)، ومصيبةً لا ينتهي أمَدُها.

هذا ـ عبادَ اللهِ ـ شعبانُ قد لَجّ بهِ مُحاقُه(٣)، وأظلّكم عمّا قليلٍ فراقه، راحلاً بأعمالكم إلى ربّه، شاهداً على كلِّ امرئٍ بكسبِه، فيا نضارةَ وجوهِ العاملين، عندَ توفيةِ أجورِهم، ويا حرارةَ قلوبِ الغافلينَ، عندَ معاينةِ تقصيرهم.

فاستَنْهِضُوا ـ رحمكم اللهُ ـ العَزَماتِ على عزِّ الأبَدِ، واغتنِمُوا التَشميرَ في فَسْحةِ المَدَدِ، قبلَ هجومِ ما هو لكم بالرصد، مِن الموتِ الذي لا يُبقي منكم على أحَد، فكأنْ قد

---

(١) نضنض لسان: تحرك.

(٢) غبّ عن القوم يغبّ: إذا أتاهم يوما وترك يوما، والمعنى: أن الحسرة لا تفارقهم أبداً.

(٣) محاق الشهر تضاؤل القمر في آخره.

ثوَّبَ بكم داعيه، وقام فيكم مُناديه، فانتزع الأرواحَ من أجسادها، وأسكنها ظُلَمَ ألحادِها، وفَرَّق بين الآباء وأولادِها، ولم يُغْنِ عنها كثرةُ بُكائها وتَعدادِها، بل شُغِلَتْ بطول وَحشتها وانفرادِها، واستسلمتْ لضَيْمِها واضطهادها، وآذَنَتْ بتلاشيها وإنفادها، إلى يومِ مرجِعها ومَعادِها، فرحِم اللهُ أمرءاً فكّر في العواقبِ، واعتبَر بالتجارِب، قبلَ أن تكونَ العِبرةُ فيهِ لا لهُ، كما عاينَ مِن قبلِه أمثالَهُ.

جعلنا الله وإياكم ممن خصَّته عنايتُه، وشملتْه رحمتُهُ وكفايتُهُ، فأبصَرَ بنوره، ما أظلم عليه مِنْ أمورِه.

إنّ أحسنَ النّثرِ وأتقنَه، وأنْوَرَ النَّظم وأبيَنَه، كلامُ مَن خَلقَ كلَّ شيءٍ فأحسنَه، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

شهر رمضان

وفيه أربع خطب.

الخطبة الأولى
يذكر فيها دخول شهر رمضان

الحمدُ للهِ المبيدِ الوارثِ، المعيدِ الباعثِ، الذي قَهر بالفناءِ ما دُونَه، وعَلِمَ مِنَ الغيبِ مكنونَه، وأنجزَ مِن الوعدِ مضمونَهُ، واختارَ مِنْ خلقِهِ محمداً أمينَه، وجعلَ الحنيفيّةَ شريعتَه ودينَه، أحمَدُهُ وهو بالحمدِ جدير، وأستنصِرُهُ وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً سالمةَ العاقبةِ، قائمةً بحقوقِ اللهِ الواجبة، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسله بِأسَدِّ الطرائقِ والمذاهب، واختاره مِن صفوةِ النُّجباءِ والنَّجائب وابتَعَثه مِن أطهرِ المنابتِ والمناصبِ، وأحلَّهُ مِنْ صميمِ العربِ في أعْلَى الذوائب، مِنْ شجرةِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيّ بنِ غالب.

صلى الله عليه وعلى آله الأطهرينَ الأطايبِ، ما وَخَدتْ قلوصٌ براكب(١)، ودارَ فلكُ المشارقِ والمغاربِ، وسلم تسليماً.

---

(١) القلوص من النُّوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعُها قُلُصٌ بضمتين، وقلائص، ووخَدَتْ: أسرعت.

أيها الناس: اقتحِموا حَلْبَةَ السِباقِ إلى الفوزِ الأكبرِ، واغتنموا صُحْبَةَ الرِّفاقِ في الشهرِ الأزْهرِ، وتسببّوا لادّخارِ الزادِ في العمرِ الأقصرِ، وتأهّبوا للمعادِ إلى يومِ المحشرِ.

فقد عمّتْكُمْ - رحمكم اللهُ - مِن شهرِ رمضانَ النِّعمةُ السابغةُ، ولزمتْكُمُ مِن الله الحجةُ البالغةُ، ألا وإنّه شهرٌ جعله الله مصباحَ العام، وواسطةَ النظام، وأشرفَ قواعدِ الإسلام المشرقةِ بنورِ الصيامِ والقيام، أنزل اللهُ فيه كتابَه وفتحَ فيه للسائلين أبوابه، فلا دعاءَ فيه إلا مسموع، ولا عملَ إلا مرفوع، ولا خيرَ إلا مجموعٌ، ولا ضيرَ إلا مدفوعٌ. الظافرُ الميمونُ من اغتنمَ أوقاتَه، والخاسرُ المغبونُ من أهمله ففاتَهُ.

فيا أيُّها العاملُ هذا أوانُ ازديادِك واستمتاعِك، ويا أيُّها الغافلُ هذا شهرُ تيقُّظِك وإقلاعِك، شهرٌ فيه ليلةُ القدرِ التي هي خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَا سألَ اللهَ فيها سائلٌ إلا أعطاه، ولا استجار به مستجيرٌ إلَّا أعزَّهُ وكَفاه، ولا أنابَ إليهِ مُنيبٌ إلا قَبِلَهُ واجتباه، ولا تعرَّضَ لمعروفهِ طالبٌ إلّا جادَ عليه وحَباه، ولا استقالَهُ مستقيلُ إلا أقالَهُ، ولا لَجأ إليه لاجئٌ إلا أجارَهُ وأصلحَ باله.

فالغنيمةَ الغنيمةَ أيّها المشمِّرون، والعزيمةَ العزيمةَ أيُّها المقصرون في شهرٍ لياليهِ أنورُ مِنَ الأيام، وأيامُهُ مُطهَّرةٌ مِن نجسِ الآثام، ومَرَدَةُ جِنّهِ مغلولةً، والرحمةُ فيه من الله لملتمِسها مبذولة، وحبالُ التوبةِ بالقبولِ موصولةً، وساعاتُه بالمغفرةِ مأهولةً، قبل أن تستوعبوا شهرَكم فتنفِقُوه، وتطلبوه فلا تَلحقوه، فلو عايَنْتُم سرعةَ

مسيرِ آجالِكم، لبايَنْتُم خُدعةَ غُرورِ آمالِكم، ولو كُشفتْ لكم حقيقةُ مآلكم، لكان الاستعدادُ له جُلَّ أشغالِكم.

فاللهَ اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ أن تمحَقوا أوقاتَ شهرِكُم بالتسويف، أو تَرْكُنوا مِن أعمالكم إلى البخسِ والتَّطفيفِ، فترِدُوا المعادَ بغيرِ زادٍ، وتندَموا على قِلّةِ الزرعِ عند معاينةِ الحصاد، وتؤولُوا إلى شرِّ مآلٍ من الاعتذار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

أنهضنا الله وإياكم بأداء النوافل والفرائض، وسلَّم قلوبنا وقلوبكم من الشكِّ المعارض، ووفَّقنا وإياكم للعمل بما يرضاه، وخارَ لنا ولكم فيما قدَّرهُ وقضاه.

إنّ أحسنَ ما أفصحتْ به الألْسُنُ الناطقات، وأبينَ ما انشرحتْ به الصدورُ المُطبقات، كلامُ من لا تغيّره الآناءَ والأوقات، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية
يذكر فيها شهر رمضان وفضله

الحمدُ للهِ الذي أقرَّ في القلوبِ معرفتَه فاطمأنّتْ بذِكْرِهِ، وأسبغَ على الخلائقِ نعمتَه فارتُهِنَتْ بشكره، وأمرَ السمواتِ والأرضينَ فاستَجْبنَ لأمره، ولم يَؤُدْهُ حفظُ ما ذَرَأَ في برِّه وبحرِهِ، أحمُدُه على نِعَمِهِ الفُرادَى والتُّؤام، ومِنَنِهِ المجلّلةِ الجِسامِ، حَمداً يكونُ لموادّ قِسَمِه مارياً[1]، ولعوامُ كرمِهِ متقاضياً.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً تبرِئُ سَقَمَ القلوبِ، وكلمةً تُضْوي ظُلَم الذنوب، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسلهُ بكتابٍ منير، مُهيمنٍ على التوراةِ والإنجيلِ والزبور، شرح به مبهماتِ الصدور وأوضحَ به مشكلاتِ الأمور، فدعا إلى اللهِ بالترغيبِ والتحذيرِ ونهى عن التخلُّفِ والتقصيرِ، وشمَّر في طاعةِ ربِّه أيّ تشمير.

---

(١) الماري: المستخرج، من مريت الضّرع إذا استخرجت لبنه.

صلى الله عليه وعلى آله ما سَمَر ابنا سمير[١]، وأبَنَ حِراءٌ مُناوِحَ ثبير[٢] وسلم تسليماً.

أيها الناس: تأهَّبوا للرحيل فقد وقع بكم الإزعاجُ، وعالجوا أدْواءكم فقد أمْكنكمُ العِلاجُ، هذا سيدُ الشهورِ، الفاتحُ لإغلاقِ الصدورِ، المنقذُ مِن وَرَطاتِ الثّبورِ، والمخصوصُ بليلةِ كلِّ أمرٍ مقدورٍ، اختارها الله على ألفِ شهر، وجعلها سلاماً إلى مطلع الفجر، ما أدركها داعٍ ذو إنابة، إلا ظفر بتعجيلِ الإجابةِ، فأينَ النظرُ بعين الاعتبار، وأين التدبُّرُ بحقائق الاستبصار وأينَ التفكُّرُ في تصاريفِ الليلِ والنهار، أنسيتُم قولَ عالم الأسرارِ ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

فيا أيها المغرورُ بطولِ أمَلِه، الغافلُ عن حُلولِ أجلِهِ، هذا أوانُ جِدّك واجتهادك، وتزوُّدِك ليومِ معادِك، في أيامٍ لعلَّ مثلَها لا يؤول إليك حتى يُعاجلَك المماتُ، وفي شهرٍ لعلّ نظيرَه لا يحولُ عليكَ إلا وأنتَ رُفاتٌ.

فرحم اللهُ امرءاً أيقظَ قلبَه مِن سِنة هواه، واختار لنفسه ما يحمَدهُ مِن سِواه، قَبلَ أن تترامى به الأقْدارُ، ويَحُلَّ به الحِذار، وتوحِشَ منهُ الديارُ، ولا يُسمعَ منه الاعتذار، قبل أن يصيرَ مستقبلُ أملهِ ماضياً، ومَشيدُ أجله واهياً، وجديدُ جسده خَلَقاً بالياً، ورفيعُ صِيتِهِ منسياً مُتلاشياً، أُسْوَة من عاينه ممَن مَضى، وسبيلَ مَن صار حديثاً فانقضى، هذه واللهِ سبيلكم أيّها المغرورون

---

(١) سمر: تحدث في ضوء القمر، وابنا سمير: الليل والنهار.

(٢) أبنَ: أقام، وحراء وثبير: جبلان بمكة، ومناوح: مقابل، وتناوح الرجلان تقابلا.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥] ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

جعلنا اللهُ وإياكم ممن لا يقتحمُ مَورداً حتى يتحقّقَ مصدَرَهُ، وألبسنا وإياكم مِن لباسِ التقوى أفخَرَهُ، ولا جعلنا وإياكم مِمن يخالف خَبَرُه مَخبَرَه.

إنّ أحسَن ما جرَتْ بِه الأقلامُ، واتّسَق به النثر والنظام، كلامُ مَن له المنُّ والإنعام، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثالثة
يذكر فيها وداع شهر رمضان

الحمدُ للهِ المَخُوفِ مَكرُهُ، المألوفِ الكثيفِ سِترُه، العنيفِ زجرُه، الذي ضوَّأَ قلوبَ الخائفينَ بمصابيحِ أُنسِه، وبوَّأَ هِمَمَ العارفينَ مَقاعدَ العزِّ مِن قُدسِه، فهو الشاكرُ على ما له الشكر عليه، والقادرُ الذي لا مَلْجأَ منه إلّا إليه، أحمَدُه على حُسْنِ نَظَرِهِ، وأسلّم لقضائه وقدَرِه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له رُحمانُ الدنيا والآخرَةِ، العزيزُ ذو القوة القاهرة، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولهُ أرسلهُ حينَ ضربَ الكفرُ بجرانِه(١)، ونَدَبَ الضلالُ إلى شيطانِهِ، وجَمحَ الشركُ في عِنانِه، وتمادى الجاهلُ في طُغيانه، واستبدّ لعبادةِ أوثانه، فأذلَّ اللهُ رِجزَ شيطانها بعزِّ سلطانِهِ، وأنارَ ظُلَمَ بُهتانها بنورِ بُرهانِه، وأقرّ الحقّ على قواعدِ أركانه، صلى الله

(١) ضرب الكفر بجرانه: مثل يضرب للشيء المتمكّن، وأصله أن البعير يضع جرانه على الأرض عند قصد المكث، والجران: هو مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، والجمع جرن وأجرنة، مثل حِمار وحمر وأحمرة.

عليه وعلى آلهِ وأعوانه، الموفينَ بعقدِ ذِمَّتِهِ وإيمانه، صلاةً يُحلُّهم بها دارَ أمانِهِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ما لِمن أظلَّهُ الرحيلُ عن التزوُّدِ راغباً، وما لِمن وَضُحَ له السبيلُ عن المحجةِ ناكباً، أخَوَرٌ في البصائرِ، أم كدَرٌ في الضمائرِ، أم شكٌّ فيما وقع به العِيان، أم تَرْكٌ لما صَدَعَ به القُرآن، أم يَظُنُّ تاركُ الارتيادِ لنفسه، أنه يَقْدِرُ على ردِّ أمسْهِ، كلّا ليجدَنّ البطّالون غِبَّ البطالةِ، وليرِدُنَّ مَوْرداً لا يُجابون فيه إلى الإقالةِ، ولَيَبلُغَنَّ الكتابُ أجلَه، ولَيلْقينَّ كلُّ عاملٍ منكم عملَهُ.

هذا ـ عبادَ الله ـ شهرُ رمضانَ قد أزمعَ للرحيل، وأجْمَعَ على النُّقلةِ عمّا قليل، فيا ذوي الفِطنِ والعقول أين أنوارُ خِلَعِ القبولِ، مِن العَبَرات السواكبِ، والزفرات الغوالب، والخطراتِ الثواقب، في سُتراتِ الغياهب، أين شواهدُ الامتحان، في تحوّلِ الأبدانِ، واصفرار الألوان، للجِدّ والاجتهاد في شهرِ رمضان.

ألا وإنّه راحلٌ لا محالةَ فشيِّعوه، وتَمتّعوا بما بقيَ من أيّامه وودّعوه، فما مِن شهرِ رمضانَ في الشهورِ عِوَضٌ، ولا كمُفْترضِه في غيره مُفتَرَض، شهرِ عماراتِ القلوب، وكفّاراتِ الذّنوبِ، واغتِصاصِ المساجدِ بالازدحام والتحاشد، وهُبوطِ الأملاكِ، بصكاكِ العتقِ والفَكاك، ولعلّ كثيراً منكم لا يُدْرِكُه بعدَ عامِه، ولا تؤخِّرُه المنونُ إلى اسْتكمالِ تمامِه، فيا حسرةَ مَن كانَ في أيام شهرِ مفرِّطاً، وعن رُفقةِ السابقين متثبِّطاً، لقد بانَ خُسرانُه غداً عندَ أرباحِ العاملين، ونُسِخَ اسمُه في دواوين الغافلين، وأنّى له بشهرٍ مثلِ شهره، هيهات إنّ ساعةً منهُ لخيرٌ لهُ من دهرِه.

فبادِرُوا ـ عِبادَ اللهِ ـ وأقلامُ العملِ مُطلقة، وأيامُ المهلِ مُشرِقَةٌ، وفي النفوسِ مُنَّه[(١)]، وفي مُدّة شهرِ رمضانَ تُلنَّه[(٢)]، قبل أن يستوعبَ المحاقُ هلالَه، ويُوجبَ الفراقُ زِيالَهُ[(٣)]، قَبلَ أن تطلبوه فلا تجدُوه، وتَودُّوا أنكم لم تَفقدُوه، قبل وَلوعِ الأسقامِ، ووقوعِ الأحكامِ، وهُجومِ الأيام، بمحتوم الحمام، قبلَ عوق العوائق، وبَوقِ البوائقِ، وقطع العلائق، لكشفِ الحقائقِ، هنالك تُخرَسُ الألسُنُ الفصيحةُ، وتُطمَسُ الأعينُ الصحيحةُ، وتَظهرُ المخبّآتُ القبيحةُ، ويكثرُ العارُ والفضيحةُ، وتَطولُ الرقدةُ في بطونِ الألحادِ إلى يومِ المحشر والمعاد، فمن عارضه شَكٌّ في هذا التعداد، فسيذكرُ ما أقولُ له ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

آجرنا الله وإياكم على المصيبةِ بفقدِ شهرِ البركة، وأجْزَلَ أقسامَنا وأقْسامَكم مِن رحمته المشتركة، وأمْتعَنا وإياكم بالاجتهادِ في بقَيّتِه. وسلك بنا وبكم طريقَ تَقيّتِه.

إن أحسنَ الكلامِ الجَزْلُ، وأبينَ القولِ الفصلُ، وأبعَد الجِدِّ مِن الهزْل، كلامُ الحكَمِ العدل، ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦].

❀ ❀ ❀

---

(١) المُنة: بالضم القوة.

(٢) التلنة: البقية، والتاء والنون أصليان، ولا يأتي منه فعل.

(٣) الزيال: الزول.

الخطبة الرابعة
وداع شهر رمضان

الحمدُ لله الواسعةِ أُعطيتُه، الواقعةِ أَقضيتُه، القامعةِ سطوتُه، الجامعةِ رحمتُه، السابغَةِ نعمتُه، البالغةِ حُجّتُه، الواجبةِ مِنَّتُه، الغالبةِ مُنَّتُه(١)، الذي تفرّدَ بالوحدانية، وتعالى عن مشابكة الذريّة، وأعلى دينَ الإسلامِ على سائر الأديان، وأوضحَ بنبيّه محمدٍ صلى الله عليه نهجَ الإيمان، وهدى به إلى سبيل الحق والإيقان وجلا به سَدَفَ(٢) الباطلِ والبهتانِ، فوجبَ حمدُه إذعاناً، وثبتَتْ معرفتُه إيقاناً، فإياهُ نحمَدُ وبنور هدايته نَسْترشدُ، ونرْغبُ إليه وهو غايةُ الوسائلِ، ونَطْلبُ مِن خزائنهِ الهنيئةِ الماهلِ، ما هو عائدٌ برِضاهُ، ومِنْه أوّلُهُ وإليه مُنتهاهُ، أن يُبلّغَ محمداً عنّا السلامَ الكثير، ويُبيحُه الحِباءَ الخطيرَ، فقد بلّغ إلى الخلق رسالتَهُ، وأدّى إليهمْ أمانَته، وكان على إيمان العالمين حريصاً، وبالرأفةِ بالمؤمنين مخصوصاً.

---

(١) المُنة: بالضم القوة.

(٢) السَدَف: بفتحتين سواد الليل، وبضم ففتح جمع سدفة وهي كالسدف تطلق على ظلمة الليل وقد تطلق على الضوء، وهما من الأضداد.

اللهم فكما جعلتَ محمداً صلى الله عليه للحقّ مناراً، وأظهرْتُ به للهداية أنواراً، واصْطَفيْته واجْتَبيته اختياراً، وأَدْنَيتَهُ وقرّبته إيثاراً.

فصلِّ يا ربّ عليه وعلى آله ما طَرَدَ ليلٌ نهاراً، وما قصَدَ سيلٌ قراراً، صلاةً تُحِلُّهم بها أعلى جناتِكَ داراً، وسلِّم تسليماً.

اعلموا ـ عبادَ الله ـ أنّ اللهَ تبارك اسمُهُ، ونَفَذَ حكمُهُ، لطَفَ لكم مِن حيثُ لا تحتسبون، ورزقكم وأنتم مذنبون، فتحَ للتائبين أبوابَ التوبةِ، وأزالَ بندم النادمين كَبيرَ الحَوْبَةِ، وأمْهلَ مَن عصاه تكرّماً، وسترَ القبيحُ تطوّلاً وترحُّماً، إثباتاً للحُجّةِ وإلزاماً، وابتداءً بالتطوُّلِ وإتماماً، بما أبان لكم مِن فضلِ المواقيت والأيام، ونَدَبكم إليه مِن اغتنام شريف الشُّهور والأعوام، فخصّ بالتفضيلِ والتكريم شهرَ الصيامِ، حيثُ يقولُ ذو الجلالِ والإكرام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

ألا وإنّ شهرَكم هذا أعظمُ الشهور عند الله قدراً، وأعلاها لديه عزَّ جلالهُ ذِكْراً، جَعله الله غَرّة الأيام والشّهور، وزينه الأعوامِ والدُّهورِ، له فيه عتقاءُ مِن النارِ، وأولياءُ مُطَهّرونَ مِنْ دَنَسِ الأوزارِ، يفتحُ اللهُ فيه أبوابَ السماء للداعينَ، وتَحقَّقُ فيه آمالُ الراجين، جعل اللهُ ليلَهُ بالصلاةِ مُنيراً، ونَهاره بالصيام معموراً، وقمعَ فيه جميعَ

الشياطينِ والمرّاد، ومنع فيه فَسقة الجنِّ مِن الغيثِ والفساد، ويسّرَ فيه للطالبين هنيئَ الأرزاقِ، وأخْلَفَ على المُنفِقين فيه طَيِّبَ الإنفاق، وقد تقضّتْ أيامُهُ ولياليهِ، وحصلَ لكل امرئٍ منكم ما قدَّمه فيه. فطوبَى لمن نال فيه سبقَ الفائزين، وأحْرزَ قصباتِ المُبرزين الذين لم يشُب صيامَهم لغوُ الكذبِ، ولم يُفسِدْ قيامَهم دَنَسُ الرِّيَبِ، قَصَدوا اللهَ فوجدوه، وأمّلوه لطلباتهم فأفردوه، حاذروا عظيمَ الرغائب، ونالوا جسيمَ المطالبِ، أولئك حِزْبُ اللهِ ألا إنّ حزبَ الله همُ المفلحون، وبُعْداً لمنِ انصرفَ عنه شهره المأمولُ فيه قبولُ توْبته، المرجُوُّ فيه غُفرانُ حَوْبَتهِ(١)، وهو مشغولٌ بالبطالات، مخْدوعٌ بالأمانيِّ الكاذباتِ، غافلٌ عنِ انقضاءِ الصيامِ، وانصرامِ الأيامِ، وهو لا يَعْلَمُ ما عليه مِنْ كبير الآثامِ، والأوزارِ العِظامِ.

فيا أيُّها الماطِل بتوْبَتِهِ طُولَ دَهْرِه، والمُؤخِّرُ لها حتى تقضّتْ أيامُ شهْره إنّه لَمْ يبْقَ مِنْ شهْرِ الفضائلِ، ومَبْلَغِ الوسائلِ غيرُ ليلةٍ ويَوْمٍ، ثم تُعْدَمُ سائِرَ سَنَتِكَ شهرُ الصومِ.

فيا ليت شِعري من المقبولُ منا فنُهنِّيه، أمْ مَنِ المطرودُ مِنّا فنُعزّيه، يا لَه مِنْ مَفتونٍ بالخُدع لاهٍ، ومغرورٍ بالأملِ ساهٍ، ومتخلِّفٍ أرداهُ تخلُّفه، ومُتَأسّفٍ لا يُغني عنه تأسُّفُه.

فاللهَ اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ لا تُوبقنّكم الغفْلَة، ولا تَغرّنكمُ المُهلةُ، فهذا شهرُ التوبةِ والإقلاعِ، ووقْتُ الإنابةِ والنزاعِ، وما أبعدَ أملَ من قدّر بلوغَ شهر رمضان إلى عام قابلٍ، وأشدّ اغترارَ مَن وُثِقَ مِنَ الحياة الدنيا بفانٍ زائلٍ، فكم مِنْ صائمٍ لم يصُمْ بعدَ

(١) الحَوْب: الإثم.

عامِهِ عاماً، واخترمته المَنونُ قبل بلوغِ حولِهِ اخترام، فندِمَ على ما ضيّعَ مِنْ أيامِ شهرِهِ، وأسِفَ على ما فاتَهُ مِنَ امتدادِ عُمُره، فطلبَ الرَّجعة، واستقالَ الصّرْعَةَ، وهو مِنَ وراءِ برزخٍ سحيقٍ، وبين أطباقِ قبرٍ عميقٍ، مفرَداً بأعماله، مباعَداً عن ذخائرِهِ وأموالِهِ، قد طال تلهُّفُه، ودامَ تأسُّفُه، حين لحقَ بالقُرون الماضية، وحصل في جرائدِ الأممِ الخالية. غنيّاً عما خَلَّفَ فقيراً إلى ما أسْلفَ، مفَرَّقةٌ أوصالُهُ، مطَوَّقةٌ في عنقِه أعمالُه، مُقيماً في الثَّرى، حيث لا يُحِسُّ ولا يَرى، فبادِروا أيّها الناسُ بالتضرُّعِ إلى عالِمِ الخفِيَّات، وغافِرِ الخطيئات، في التفويق لما يُحبُّ ويرضى، والتسديدِ إلى طريقِ الهدى.

وإياكم والمجاهرةَ في الأعياد، بقبيحِ الإثمِ والفسادِ، ومصاحبةِ أهلِ البدعِ والمنكرِ، وشُرْبِ كلِّ خبيثٍ من المُسْكِرِ. واحذروا طاعةَ الشيطان، فإنها مقرونةٌ بغضبِ الرحمنِ، واستقبلِوا التكبير والإعلان بالذكر، عند رؤية هلالِ الفطر وفي صلاة المغرب والعشاء والفجر، حتى تجبُ صلاةَ العيد فإنها آخرُ أوقاتِ الإعلانِ والجهرِ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وأَخْرِجوا مِن خالِصِ الأموال، وطيِّبِ الكسبِ الحلال، الفطرةَ عَنْ جميعِ العيالِ البوالغِ منهم والأطفالِ. عن كل واحدٍ منَ العددِ، صاعاً مما يُقتاتُ في البلدِ، وأديموا في أيامكم هذه وفي سائر الأيامِ الاستغفارَ، وجانِبوا الإقامةَ على الذُنوبِ والإصرارَ، وفضِّلوا يومَ العيد بالتكبير والتحميد والتهليلِ والتمجيدِ فإنه عيدُ الأبرارِ، ومَن يَخشى الله مِنَ العلماء والأخيار.

ففي يومِ العيد تَجِبُ تفرقةُ الجوائزِ، ويحوزُ ثوابَ الأعمالِ كلُّ حائزٍ، فيا خيبةَ مَن حَبِطَ عملُهُ المأمولُ، ويا مُصيبةَ من انسلخَ عنه شهرُه بغير قَبولٍ، لقد حرمه العصيانُ حلاوةَ نَيلِ المُنيل، وطردَهُ الحِرمانُ عن باب الملِكِ الجَليلِ، بإيثاره فانياً لا تبقى لذّتُه، واستصغارِهِ باقياً لا تفنى حسرتُه، شمَّر لدنياهُ وأهمل مآلَهُ، فأولى له ثم أولى له ثم أولى له.

فافزعوا ـ رحمكم اللهُ ـ إلى تقوى مَنْ هو لكم ملاحظٌ، ولصغيرِ أعمالكم وكبيرِها حافِظٌ، ولْيَنظرْ كلُّ امرئٍ ما هو فيه ساعٍ وبه لافظٌ، واعلموا أنه ليس أحدٌ أولى بالوعظ ممن هو لكم واعظٌ، إقراراً منه بالتقصير على نفسِه، واعترافاً بتفريطهِ في يومِه وأمسِه، وإني وإياكم لفُقراءُ إلى رحمةِ مولىً سَبَقَ إفضالُه، وعمَّ كرمُهُ وإجمالُهُ، فوا أسفاً على التقصيرِ في طاعتِه، وواحذراً مِنْ حلولِ نقْمته، وواحُزْنا مِنَ تَوْبيخِهِ إيّاي في محْفَلِ القيامةِ، على رؤوس الخلائق عامّة.

وما أحقَّ مَن عرف سريرة نفسِه، وعَلِمَ نيتهُ في يومِه وأمسِه، أن ينوحَ على ذنْبِهِ، ويعْمَلَ في الخلاصِ منَ ربّهِ ويهرُبَ من نارٍ سعيرُها لا يَخمَدُ، وحرُّها لا يبرُدُ، ودموعُ أهلها لا تجمُدُ، وعذابُهم أبداً لا ينفُذُ، فكم من جلودٍ تُمَزَّقُ بين أطباق الجحيم، لم تَذَكُّرْ ذلك عند تقلُّبِها في النعيم. وكم مِنْ وجوهٍ يلفَحُها حَرُّ السَّموم، طالما واجَهَتْ معْصيةَ الحيّ القيومِ، وكم مِنْ بطونٍ مُلئَتْ مِنَ الزَّقُّومِ والحميمِ، جزاءً بما أكلَتْهُ مِنَ المحظور بالتحريمِ.

اللهُمّ فعُدْ على خليقتك، برأفتِكَ وبرحمتِكَ. فقديماً ستَرْتَ،

وعظيماً غفرْتَ، وكثيراً أفضلتَ، وطويلاً أمهلْتَ، وأنت أحقُّ مَنْ تَمَّمَ، وأوْلَى من جادَ وأنعمَ.

اللهمَّ إنا نتوسل إليك، بأوجَهِ الشّفعاءِ لديك، وأكرَمِ مَن أقسمَ بحقّهِ عليك، نبيِّك الطاهرِ النّسب الكريم الحسَب، خيرِ العجمِ والعربِ، محمدِ بن عبدِالله بنِ عبدِالمطلّب، فنسْأَلُكَ اللهمَّ ببلاغِهِ عنكَ، وقُرْبِهِ مِنْك، وجاهِهِ المقبولِ لدَيْك، وحقّه الذي لا يخيبُ مَنْ توسَّل به إليكَ، أن تتقبّل دُعاءنا، وتسْمعَ نِداءنا، وتَصلَ رَجاءنا، برحمتك يا أرحمَ الراحمين(١).

اللهمّ اختِم لنا شهرَ رمضانَ بالعفوِ والغفرانِ، واجمعْنا على طاعتك في مواطن الإيمانِ، وتغمَّدْنا منك بالفضل والإحسان، إنك أكرمُ مُسْتَجار وأفضل مُستعانٍ.

عبادَ الله: هذا آخرُ أوقاتِ اجتماعنا لنوافلِ شهرِ رمضانَ، فليكُنْ أوّلَ ساعاتِ إقلاعِنا عَنِ الزَّللِ والعِصيانِ، واجأرُوا بضجيجِ

---

(١) إنَّ التوسّل بجاه النبي ﷺ يقصد من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه وهذا أمرٌ لا يُدرك بالعقل، بل لا بد فيه من النقل الصحيح الذي تقوم به الحجة، فإن الأحاديث الواردة في التوسل الصحيحُ منها لا دلالة فيه على جواز ذلك، كحديث توسلهم به ﷺ في الاستسقاء، وكحديث توسل الأعمى به ﷺ فإنه توسل بدعائه لا بجاهه وذاته، فالمقصود من قوله: (اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة) دعاؤه ﷺ، ويدل على ذلك قوله: (اللهم فشفّعه فيّ) أي: اقبل شفاعته ودعاءه فيّ، لذا فإن الصحابة في زمن عمر رضي الله عنه لمّا استسقوا توسلوا بالعباس عمّ النّبي ﷺ، ولم يتوسلوا به ﷺ، لأنّ المقصود بالتوسّل الدعاء، أي التوسّل بدعاء مَن تُرجى إجابته لا التوسّل بجاهه وذاته، وإلا لما عدل الصحابة عن التوسل به ﷺ إلى عمّه العباس رضي الله عنه.

الأصوات، ونشيجِ الإخْباتِ، وصِدقِ الطوِيّاتُ، وإسْبالِ العَبَراتِ، وتوالي الزَّفَراتِ، إلى ربِّ الأرض والسمواتِ، في فَكَاكِ أعناقِكُم، وإدْرارِ أرْزاقِكم، وقَمعِ أعدائِكم، وبُلوغِ آمالِكم، فإنّه يقبَلُ التّوبةَ عنْ عِبادِهِ ويعفو عن السيئات، ويعلَمُ ما تفعلون، وهو القائلُ سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]

سمع الله دعاءنا ودعاءكم، وأجابَ نِداءَنا ونِداءَكم، وغفرَ لنا ولكم، وتاب علينا وعليكم، وبارك لنا ولكم في انقضاءِ شهرنا، وحضورِ عيدنا، وأستغفِرُ الله العظيمَ لي ولكم، ولسائرِ المسلمينَ، والحمدُ للهِ ربّ العالمينَ.

❁ ❁ ❁

شهر شوال

وفيه خطبة واحدة.

خطبة شهر شوال

الحمدُ للهِ الذي خضَعَتْ لهُ رِقابُ الجَبابرة صُغْراً، وأحاطَ بحوادثِ الدنيا والآخرةِ خُبراً، وجعلَ لكلِّ ما ذرأَ مِن خليقتهِ قدْراً، وأسبلَ على الكافّة من رعايتِهِ سِتْراً، أحمَدُهُ على نَعمائِهِ شُكْراً، وأُسلِّمَ لقضائِه صَبراً.

وأشهدُ أنّ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً أُعِدّها لِلقائِهِ ذُخْراً وأسْتَمِدُّها على أعدائِهِ نصراً، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسلَهُ إلى البرية عُذْراً ونُذْراً، وأنْزلَ عليهِ بأمرْهِ ونهيهِ ذِكْراً، فدعا إلى اللهِ تعالى سِرّاً وجهْراً، ونَشرَ رحمتَهُ على العالمينَ نَشراً، حتى صارَ قُلُّ الإيمانِ كُثراً وعادَ ليلُ البهتانِ فَجْراً، ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ طَوْعاً وقَسْراً.

صلى الله على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأعْظَمَ لهم أجراً.

أُوصيكُمْ ـ عبادَ اللهِ ـ وإيّاي بتقوى اللهِ فإنها عُرْوةٌ ما لها انفصامٌ، وذِرْوةٌ ما لها انْهدام، وقُدوةٌ يأتمُّ بها الكرامُ، وجُذوةٌ[1] تُضيءُ بها الأفهامُ، مَن تعلّقَ بحبْلِها حَمَتْهُ مَحْذورَ العاقبةِ، ومَن

---

(١) الجذوة: مثلثة الجيم، وهي الشعلة من النار.

تحقّق بحمْلها وقتْهُ شُرورَ كلٍّ نائبة، وأُحَذّرُكم دارَ فُرقةٍ ما لها ائتلافُ، وقَرارَ حُرْقةٍ ما لها انصرافُ، وأمانيَ رَجْعَةٍ ما لها إسعافٌ، وأحاظِيَ[1] فُجْعةٍ أوْجَبها الإسرافُ، ومقاماتِ هَوانٍ يذِلّ بها الأشرافُ، وظلماتِ أحزانٍ تتباينُ لها الأُلاَّفُ[2].

فارفُضُوا ـ عبادَ اللهِ ـ مِنْ أعمالِكمْ ما قرّبكم منها وانهضُوا في استعمالِ ما باعدكم عنها، فإنها المصيبةُ الجامعةُ للدوائر، والعقوبةُ الواقعةُ بأهلِ الكبار، يا لها داراً انقطعَ مِنَ الرخاء رجاء حُلّالِها، وامتنعَ منَ الفناءِ بقاءٌ نِكالها. شِعارُ أهلِها الويلُ الطويلُ، ودِثارُهم البكاءُ والعويلُ، وسرابيلُهُم الخِزْيُ الوبيلُ، ومَقيلُهُمُ الهاويةُ فبِئسَ المقيلُ، يُقطعُ الحميمُ منهم أمعاءً طالَ ما أُولعَتْ بأكلِ الحرام، وتُضعْضِعُ الجحيمُ منهم أعضاءً طالَما أسْرَعَتْ في اكتِسابِ الآثام، قد أُبهَمتْ عَليهمُ الأوقاتُ وحلّتْ بهمُ المَثُلاتُ، فجلودُهم مجدَّدَةٌ للعذابِ، ووجوهُهم مُسودّةٌ بسوءِ الحساب، والزبانيةُ يدخلونَ عليهم مِن كلِّ باب، يقولونَ لا مرحباً بكم أُبْتُمُ شرَّ مآبِ، يُنادونَ إلهاً غرَّهم في العاجلة حِلمُهُ فخالقُوه. وحقَّ عليهم في الآجلةِ حُكْمُهُ لمَّا آسفوه، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فيجيبُهم الجبّار بَعْدَ حينٍ إجابةَ ذي قوّة متينٍ

---

(١) أحاظ: جمع أحظ: بوزن أشد، وأحظ جمع حظ، والحظ النصيب والجد، وقال بعضهم هو خاص بالنصيب من الخير والفضل، ومنه قول الشاعر:

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قسمت وجدود

(٢) الألّاف: جمع آلف، من الألفة.

﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، انقطعَ واللهِ عندها تأميلُ المُذنبين، واجتمعَ التنكيلُ على المكذّبين، وارتفعَ في النارِ عويلُ المُعَذّبينَ، فإن يصبرُوا فالنارُ مثوىً لهم، وإن يستعتُبوا فما هُمْ مِنَ المعْتبين.

أبعدنا اللهُ وإياكم عن دارِ غَضَبِه، وأسعَدَنا وإيّاكم بإتيانِ ما أمر به.

إنَّ أحلَى ما أُنْصِتَ لترديدِه، وأولى ما أُخذ بوعدِهِ ووعيده، كلامُ مَن جعلكم مِن خيرِ عبيدِه، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾ [فَاطِر: ٣٦].

❀ ❀ ❀

شهر ذي القعدة

وفيه خمس خطب.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الناطِقِ في كلِّ مُعاينٍ آثِرُه، السابقِ بكلّ كائنٍ قَدَرُه، الدالَّةِ عليهِ صنائِعُهُ، الداعيةِ إليهِ بدائِعُهُ، الذي جلّ أنْ يوصَفَ بتكْييفٍ. وتَعالى أنْ يُنعَتَ بتأْلِيفٍ، بَلْ هُوَ اللهُ سبحانَهُ المتعرَّفُ قبلَ حروفِ التَعْريف، المتصرِّفُ قبلَ عللِ التَصْريف، المحسنُ البَرُّ اللطِيف، الحَكَمُ العَدْلُ الذي لا يَحيفُ، أحمدُه والحمدُ مِنْ نِعَمِه، وأعوِّلُ في القَبولِ على كَرَمِه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ مَن أوجَدَهُ بعدَ عدمِه، وامتزجَ توحيدهُ بلحمِهِ ودمِه، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، أرسلَهُ عندَ تلاطمِ أمواجِ الضلال، وتزاحُمِ أفواجِ المحال، وخَلَلِ طرقاتِ الحلال، ودُولِ غلباتِ الرِّجال، فشمّر في اللهِ بالقولِ والفعال، وأدالَ بسيفِهِ للحقِّ المُذال، وآل بِهِ الباطِلُ وأهلُهُ شرّ مآل، صلى الله على سيّدِنا محمدٍ وعلى آله خيرَ آل، صلاةً دائمةً على مَمرِّ الشهورِ والأحوالِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ الدهرَ ذو عَجبٍ، يتقلّبُ بأهلهِ كلَّ مُنقلبٍ،

عِداتُه خُدَعُ، وهِباتُهُ لُمَعٌ[(١)] منه وآفاتُهُ دُفعْ، وكَرّاتُه قُرَعٌ[(٢)]، لا يدَعُ جديداً إلا أخلقهُ، ولا عَتيداً إلا أنْفَقَهُ، ولا مَريداً إلا وَهَّقه، ولا عديداً إلا فرّقَه. أدارَ رحى المنون على مَنْ سَلَف، وسيوردُ موارِدَهُمْ مَنْ خَلَف، حتى يُلحقَ بعضاً ببعض، وإبراماً بنقْضٍ، ورَفعاً بخفْضٍ، ويُخلِي منهم جديدَ الأرض، حتماً مِنَ اللهِ تعالى سابقاً في أقضيته، وتفرُّداً بالبقاءِ دونَ بريّتهِ.

فيا مغروراً والخطابُ للجماعةِ واقعُ، يدخلُ فيهِ الواعظُ والسامع، ماذا تزوَّدتُ من عمرُكَ المُضْمَحِلِّ، أم ماذا أعْدَدت لأجلِكَ المظِلّ[(٣)]، كأنكَ بغطائكَ قد كُشِفَ، وبفنائكَ قد أَزِفَ، وبِروحكَ قد اختُطِفَ، وبضريحكَ عليكَ قد وُصِفَ، وبباب عُمركَ قد رُتجَ[(٤)]، وبروحكَ إلى السماء قد عُرجَ، فَبَعُدْتَ وإنْ حللتَ قريباً، وجُفيتَ وإن كنتَ حبيباً، مُسْلَماً لطولِ البلى، مُتغيِّرةً منكَ المحاسنُ والحِلى[(٥)]، لهوامِّ الأرض في جسمكَ مَجالٌ[(٦)]، ولحوادِثها عليك مَصالٌ[(٧)]، حاضراً كغائبٍ، مسافراً غير آيبٍ،

---

(١) جمع لمعة، وهي في الأصل القطعة من النبت تأخذ في اليبس، ثم استعملت في الشيء القليل مطلقاً.

(٢) جمع قرعة، أي كرّاتُه لا يُدرى متى تأتي ولمن تأتي، وفي نسخة قزع بالزاي، والقزع بفتحتين قطع من السحاب رقيقة.

(٣) المظل: القريب.

(٤) رتج: أغلق.

(٥) الحلي: بفتح الحاء وكسرها، جمع حِلية.

(٦) من المَجْل: وهو أثر الشيء في اليد أو الجسم، كالندبات في اليد من أثر العمل.

(٧) المصال: الصول وهو البطش والهجوم.

أسيرَ وحشةِ الانفرادِ، فقيراً إلى اليسيرِ منَ الزاد، جارَ مَن لا يُجيرُ، وضيفَ مَن لا يَمير[١]، في معشرٍ حُملوا ولا يُرونَ رُكباناً، وأنزلوا ولا يُدعونَ ضِيفاناً، واجتمعوا ولا يُسمَّون جيراناً، واحتشدوا ولا يُعَدُّونَ أعوانا، يَنتظرونَ كرّةَ الكرَّاتِ، ومَعَرَّةَ المشكِلاتِ، وإنشارَ الرُّفاتِ، والحشرَ إلى الميقات.

فتأهَّبُوا رحمكم اللهُ لليلةٍ تتمخضُ بيومٍ لا ليلةَ بعده، ولمحاسبةِ مُناقشٍ على النقيرِ والقطمير لا ظلمَ عِنده، هنالكَ تكشفُ الساعةُ قِناعَها، وتكنفُ الطامةُ أتباعها[٢]، ولا يتحققُ الندمُ إلا بمن أضاعها، ولا يُجابُ إلى الإقالةِ مَن باعها، فشمِّروا لهذا اليومِ العظيمِ أيها المقصِّرون، وانظروا لمعادِكم فيما تنظرون، واغتنموا مِن أعمالكم ما تُقدِّمون، ولا تموتُنَّ إلّا وأنتم مُسلمون، فإنّ الأمرَ واللهِ أعظمُ مما تتوهّمون، ولكلٍّ نبأ مستقرٌّ وسوفَ تعلمون.

عَمَرَ اللهُ قلوبَنا وقلوبَكم بذكر المَرِدّ إليه، ووفَّقَنا وإياكم للعمل بما يُزلِفُ لديه، وجَعَلَنا وإياكم مِنَ المتوكلين عليه، الوَجلين مِن الوقوفِ بينَ يديه.

إن أشفى الدواء لداء الضمائر، وأجلى الجلاءِ لصدأ البصائرِ، كلامُ العالم بخفيّاتِ السرائرِ، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النَّازعَات: ٤٢-٤٦].

---

(١) يمير: يعطي الميرة، وهو ما يتزوّد به الإنسان.

(٢) كنفه: أحاط به من أكنافه وجوانبه.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المدرِكِ المُقيتِ[١]، المُهلِكِ المُفيت[٢]، المُنشرِ المميت، مالكِ أَزِمّةِ الجَمْعِ والتشتيتِ، الذي فاتَ حدودَ الأوصافِ والنعوتِ واحتجبَ عن الأبصارِ بعزِّ الملَكوتِ، سبحانهُ لهُ الخلقُ خضوعٌ قُنوتٌ، وهو الواحدُ الحيُّ الذي لا يموت، أحمَدهُ حمداً يمري[٣] سبَلَ[٤] عِهادِ[٥] رِزْقِهِ، ويُوري شُعَلَ زنادِ الشُّكرِ في خَلْقِهِ. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً كَرَّ على اللسانِ لفظُها، وقرَّ في مقرِّ الجنانِ حفظُها، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ بوجهٍ طَلْقٍ، ولسان ذَلْق[٦]، وشرْعِ صِدْقٍ، ودين حقٍّ، فصدَّ عن سبيلِ الهَلكة، وأمدّ باليُمنِ والبرَكَةِ، حتى صارتِ الكلمةُ سَدُداً، والأمّةُ في الحقِّ شَرْعاً أحداً[٧]، صلى اللهُ على

---

(١) المقيت: المقتدر القائم على الأشياء بحفظهما.

(٢) المُفيت: من الفوات، وهو ذهاب الشيء وزواله.

(٣) يمري: يحتلب، من توليهم مريت الضرح الشاة إذ أمسحته ليدر.

(٤) السَبَل: بفتحتين المطر والسحاب.

(٥) العِهاد: بالكسر السحب، لأنها تتعهد الخلق بأسباب الخير.

(٦) اللسان الذلق: الفصيح المنطلق.

(٧) أي واحداً.

محمدٍ وعلى آلهِ صلاةً لا تنقطعُ عَدداً، ولا تنقضِي أبداً، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنَّ ضياءَ نهارِ المَشيبِ في ظلامِ ليلِ اللُّحى والرؤوس، حقّقَ عند الفَطِن اللَّبيبِ قُرْبَ انهدامِ القُوى واخترامِ النفوس، ذلكَ صباحٌ ما بعدُه ليلٌ يُنتظرُ، واجتياحٌ لا مَلجأَ منْه ولا وَزر، وضيفٌ على رغمِ المضيفِ واغِلٌ، وسيفٌ لموصولِ الحياةِ فاصلٌ، ونورٌ طالعٌ بأُفولِ النَّسم، ومنشورٌ بالأشخاص إلى محلِّ الرِّمَمِ.

فلا تَحرقوا ـ رحمكم اللهُ ـ نورَ مَشيبكم بنارِ ذنوبكم، وارمُقوا غِيرَ الحوادثِ بأبصارِ قلوبِكم، تُرِكُم ما خَفي عَليكم مِن عيوبكم، فكما حَلّ بكم من المشيبِ ما تكرهون، كذلكَ يَحِلُّ بكمُ الموتُ أفلا تنتبهونَ، ألا وإنّ المشيبَ ثَغْرُ الحياةِ الذي لا يُمكِنُ سِداده، وكَسرُ القَناةِ الذي لا يَصلُحُ الدهرَ فسادُه.

فيا معشرَ الشيوخِ هل بعدَ ابيضاضِ الزرعِ إلّا حصادُه، ويا معشرَ الكُهولِ ما نصّفَ[1] من الثمارِ فقد آنَ جِدادُه[2]، ويا معشرَ الشبابِ كم مِن زرعٍ أباده قبل البلوغ قُمَّلُهُ وجَرادُه[3]، إنْ هي إلا ترجمةُ الأجداثِ عن حَتْمِ الفناءِ، آثارُها في الأجسامِ آثارُ الهدْمِ في البناءِ، فما بقاءُ مَنْ صِحَّتُه في دنياهُ سُقْمُه، وغنيمتُه مِن الحياةِ غُرْمُه، ومُقامُه فيها سَفرٌ، وأيامُه بتقَلُّبِها غِيرٌ، تُريهِ عطاءً ما تَسلِبه،

---

(١) نصّف النخل بلغ الإرطاب نصف بسره، وهي بمعنى نضج.

(٢) جِداده: قطْعُه، والجيم تفتح وتكسر.

(٣) قمّل الزرع: نوع من الحشرات يأكل الزرع كالجراد.

وبناء ما تُخرِّبهُ[(١)]، وبعيداً ما تُقرِّبُه، وعَتيداً ما تُجنِّبهُ، فيا عجباً لمأمورٍ بالتزوُّد قد حان سفرُه، وأقامَ مَن تَقَدُّمُه عليه ينتظرُه، وهو خليٌّ مِنَ التأهُّبِ لرِحْلَةِ تذَكُّرِهِ معَ صحةِ عِلْمِه أنّ المنيةَ لا تُؤخِّرُه، فرحم الله أمراً أهمَّه مَعادُه، وتَقدَّمَه زادُه، وكان إلى التقوى انقيادُه، ولهواهُ جهادُه، قبل إخلاقِ الجِدَّة، وإنفاقِ المُدّةِ، وانهدام العُدّةِ، واقتحامِ الشدَّةِ، قبل هُطلانِ الرُّحَضاءِ[(٢)]، وبطلانِ الأعضاءِ، وضيقِ رَحَبِ القضاء، وحِيرةِ الفُتور والأعضاءِ، لورود حَتْم القضاء، هُنالكَ صالت عليكَ بصَوْلتها شَعوبٌ[(٣)]، وحالَتْ عن سَجِيَّتِها اللّعوبُ[(٤)]، ورقَّت لكَرْبِ سياقِكَ القُلوبُ، وشُقَّت على قُرْبِ فراقِكَ الجُيوبُ، وَطلَعَتْ سافِرَةً عن صَفْحَتِها المخَدَّرَةُ العَروبُ[(٥)]، إذْ حان منك في ظُلماتِ التُّربِ غُروبٌ.

فأنيبوا أيها الغافلون إن كنتم موقنين أنكم صائرون إلى هذا المصيرِ، وأذيبُوا جامدَ الدمُوعِ بنيرانِ الزَّفير، وأطيبُوا التزوُّدَ لِوَا شَكِ المسير ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الشورى: ٤٧]

جعلنا اللهُ وإياكم ممن أدَّبَتْهُ العِبَرْ، وهذَّبتْهُ الفِكَرُ، فأمْلَتْ عليه غُرَرُ الأمورِ أنباءَ عواقبِها، وتجَلَّتْ سُتُرُ المحذورِ عن لألاء

---

(١) المعنى: تعرية الأخذ إعطاءً والأحزاب بناء فكأنها ساحرة.

(٢) الرحَضاء: عرق الحمّى.

(٣) شعوب: عَلمٌ على المنيَّة، سُميت بذلك لكونها تُشعِّبُ الناس، أي تفرِّقهم.

(٤) صيغة مبالغة من الأمس، والمراد هنا الدنيا، وفي بعض النسخ بالكاف، والكاعِبُ من النساء في الناهد.

(٥) العروب: المرأة المعربة بجمالها عن عفّتها. وجمعها عُرُب.

قَواضِبها(١)، فاسْتَغْنَم في بقية عُمُره ادِّخارَ الحسناتِ، واسْتَعْصَمَ بِهَضَبةِ(٢) الحقّ مِنَ شرٍّ ما هو آتٍ.

إنّ أحسنَ نظْم اللافظِ ونثْرِهِ، وأبلغَ وعْظِ الواعظِ وزجْرِه، كلامُ مَنْ تطمئنَّ القلوبُ بذكره. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النّحل: ٧٠].

❀ ❀ ❀

---

(١) القواضب: السيوف القواطع.

(٢) الهضبة: الموضع العالي يُعتصم به، وهي دون الجبل.

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ الذي ليس مُتَجزِّئاً فتَجتَذيهِ موادُّ العناصر، ولا مُتكيفاً فيُنسبَ إلى الأعراضِ والجواهِرِ، ولا مُجَسَّماً فيُدرَكَ بإيناسِ النَّواظرِ، ولا مُتوَهَّماً فيُتَخَيَّلَ بإيجاس الخواطر، ولا مُحدَثاً فيؤولَ إلى النقصِ والتغايُر، ولا محدوداً فتُحيطَ بهِ فِكَرُ أولي البصائرِ، بل هو الأزليُّ قبلَ سوابقِ القِدَمِ، والأبديُّ بعد لواحِقِ العَدَم، الواحدُ الصمدُ الحيُّ القديرُ، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورى: ١١]، سبحانهُ لا إلهَ إلا هوَ إليه المصير، أحمَدُهُ على إكرامنا بتوحيده، وتنزيهنا عن قولِ مَنْ جعلَ لهُ أولاداً مِنْ عبيده.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً وافقَ الإقرارَ بها الإخلاصُ، ووجبَ بها لقائلها الخلاصُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ المبعوثُ في خيرِ آلٍ، ورسولُهُ المخصوصُ بالفضلِ والكمال، بعثهُ عندَ ظهورِ الجُهَّالَ، وغلبةِ الكفرِ والضلالِ، فنصحَ لأمتهِ في القولِ والفِعالِ، وأوضحَ لهم مناهجَ الحلالِ وجاهدَ في اللهِ على كلِّ حال، حتى عادَ بحرُ الباطلِ كالآلِ[1]، واعتدلَ الحقُّ بسيفهِ أيَّ اعتدالٍ.

(١) الآل: شبه السراب.

صلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ أهلِ الفضلِ والكمال، ما رتعتْ بصحْصَحِها[١] عِفَرُ الرِّئالِ[٢]، وضوَّءَ الحَندَسَ وبيصُ الذبال[٣]، صلاةً دائمةً بالغُدوِّ والآصال، ناميةً على كُرورِ الشهورِ والأحوال، وسلّم تسليماً:

أيها الناس: قيِّدوا ألسنَتَكُمْ عنِ الخوضِ في الباطلِ، واقطَعُوها عن النُّطقِ بغِيبةِ كلِّ مسلم غافِلٍ، واعلموا أنّ اللهَ تعالى عندَ لسانِ كلِّ قائِل، وأنّ العاقلَ مِنْ نفسِهِ لفي شُغْلٍ شاغلٍ، ألا وإنَّ عَثْرةَ الرجلِ سريعٌ اندمالُها، وعثرةَ اللسانِ فظيعٌ وبالُها، ومَن أبصرَ عيوبَ نفسِه عَمِيَ عمّنْ سواهُ، ومَن ملّك هواهُ قيادَه أرداهُ، ومَنْ خَبُثَ مشهدُه خبُث مُنتماهُ، ومن انتهكَ عِرْضَ أخيهِ المسلم بغِيبةٍ كانَ خصْمُه الله، وذلكَ لصحةِ الآثارِ المجمعِ عليها، أنَّ النبي ﷺ نهى عن الغيبةِ والاستماعِ إليها. فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ في كلمةٍ صغيرٍ أمْرُها، كبيرٍ وِزْرُها، فكم كَبَّتْ حصائدُ الألسنِ وُجوهاً في الجحيم، وأسْلَمتهُم إلى تجرُّعِ الحميم، وأسْكَنتْهم دارَ الأحزانِ وُجوهاً في الجحيم، وأسْلَمتهُم إلى تجرُّعِ الحميم، وأسْكَنَتْهم دارَ الأحزانِ والهُموم، داراً لا يُفَكُّ أسيرُها، ولا يُجبرُ كسيرُها، ولا يوقَّرُ كبيرُها، ولا يُرْحَمُ صغيرُها، ولا يَخْمُدُ سعيرُها، لباسُ أهلها الحديدُ، وشرابُهم

---

(١) الصحصح: الصحراء الواسعة.

(٢) الرئال: أولاد النعام، والعفر: هي الظباء التي يعلو بياضها حمرة، وليس ذلك من أوصاف النعام، وقال بعضهم تطلق العفر على غير الظباء، يقال شاة عفراء إذا خالط بياضها حمرة.

(٣) الوبيص: البريق، والذبال: فتائل المصابيح.

الصديدُ، وعذابُهم أبداً جديدُ، والفرَجُ منهم بعيدُ، قد شمِلهم الإياسُ، وحلَّ بهم الإبلاسُ[١]، لا يُرحمون إن بَكَوا، ولا يُنظَرون إن شَكَوا، قد أعرضَ اللهُ بوجهِه الكريم عنهم غَضَباً، واشتدّت النارُ عليهم كَلَباً[٢]، وطحَنتْهُم بتغيُّظِها عليهم زفيراً ولَهباً، فالويلُ لهم شِعارٌ، والخِزيُ لهم دِثارٌ، والخذلانُ لهم مُرابطٌ، والرحمنُ عليهم ساخطٌ، لا ملجأ لهم منها إلا إليها، فبُعداً لهم ما أصبرَهم عليها.

فَفُكُّوا ـ رحمكم اللهُ ـ نفوسَكم مِنْ أَسْرِ هذهِ الدارِ بصَوْنِ ألسِنَتِكُم وحِفْظِها، ولا تحرِموها منَ الجنّةِ جزيلَ حَظّها، فإنَّ النّدمَ لا ينفعُ عند الفَوْت، والاعتذارَ لا يُسمع بعد الموْتِ.

جعلنا اللهُ وإياكم ممّن طهّر قلبَه ولسانَه، وأخلصَ للهِ سرَّه وإعلانه، وجعل المسلمين إخوانه وأخْدانه، وأعطاه يومَ الفزعِ الأكبرِ أمانَهُ.

إنّ أحسن القولِ وأصدقَه، وأبلغَ الإنذارِ وأوفقَهُ، وأجزلُ الوعظِ وأرْفقَهُ، كلامُ مَن خلق الإنسانَ فأنطَقَهُ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرَات: ١٢].

❀ ❀ ❀

---

(١) الإبلاس: اليأس من السعادة.

(٢) الكَلَب: الحدّة في الشر.

الخطبة الرابعة

الحمدُ للهِ وارثِ الأرضِ ومَن عليها، ومُعيدِ مَن خَلَق منها إليها، الذي سَلَّطَ الموتَ على كلِّ ذي جسمٍ وروحٍ، واستَرجَعَ به كلَّ مُعارٍ وممنوحٍ، وأذلّ بهِ خدّ كلِّ جبارٍ جَمُوحٍ، أحمُدُه على ما نزلَ بهِ القضاء، حَمْداً يضيقُ بِنشرِهِ الفضاءُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ أفرِّج بها كُرُباتِ السياقِ، وأخْرَجَ بها مِن ظُلُماتِ يومِ التّلاق، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسَله اللهُ بشيراً ونذيراً. وكانَ لهُ على مخالفي الحق نصيراً، فَقَمَعَ الأضدادَ، وشرعَ الرشادَ، وأماطَ الفسادَ، وحاطَ العبادَ، حتى انفجرَ عمودُ الإسلامِ فسطعَ، وانحسرَ عَنودُ الطِّعَامِ[1] فانقشعَ، والْتَأَمَ شَملُ الإيمانِ فاجتمعَ، وانتقضَ حبلُ البهتانَ فانقطعَ، صلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ صلاةً يُنيرُ لهم بها المضطجعَ، ويُشَفَعَهُ بها فيمن فيه شَفَعَ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنا قد أصبحنا في دهرٍ مَذيقٍ محضُهُ[2]، مضيقٍ

(١) العَنود: الإعراض عن الحق. والطغام: الأوغاد.

(٢) المحض: اللبن الخالص، والمذيق الممذوق: وهو المشوب بالماء، والمعنى: أن من جرَّب الأيام وذاقها يظهر له أن الخالص بها في الظاهر غير خالص في الباطن.

خفضُهُ، سريع نقضُهُ، منيع قرْضُهُ، ثقيلٍ علينا فرْضُهُ، كأنا فيه زَرْعٌ قد قلَّبَتْهُ أرْضُهُ، نقولُ ما لا نفعلُ، ونفعلُ ما لا نعقِلُ، ونَتْبَعُ مَن يَجْهَلُ كأنّا فيه عنِ الأعمالِ والأقوالِ لا نُسْألُ. قد أبْطَرَنا الرِّيُّ والشَّبَعُ، وعدا على السُبَعُ فينا الهُبَعُ والرُّبَعُ[١]، وصالَ على الحسيبِ المِدَرَه[٢] اللُّكَعُ[٣]، وأُهْمِلَتْ بيننا المواقيتُ والجُمَعُ، فلا الحقوقُ بالأبرارِ تُحاطُ، ولا الفسوقُ بالإنكار يُماطُ، ولا خُروقُ الدِّين بالاستغفار تُخاطُ، ولا طُرُقُ اليقين بالأفكار تُناطُ، وقد جَنَحَتْ كواكب، الأعمارِ لغروبها، وانسَرَحَتْ عقاربُ الأقدارِ في دبيبها، وترنَّمَتْ غُربانُ الفناء في نَعيبها، وتهدَّمَتْ أركانُ البقاءِ بمعاولِ شعوبها، ونادى منادي الرحيلِ في أهلِ الإقامة، ألا فاقتحِموا بالصفارِ محجَّةَ القيامَةِ، تتلو الأوائلَ منهم الأواخرُ. ويحدو الأكابرَ منهم الأصاغرُ، ويلحق الغوامرَ[٤] من ديارهم العوامرُ، حتى تبتلعُ جميعَهم الحفرُ والمقابرُ.

فتأهّبوا ـ رحمكم الله ـ للصوتِ السميع والمَوْتِ الذريع، والخَطْبِ الفظيع، والحسابِ السريع، إذا انشقّتِ السماء فمارَتْ، وتمزَّقتِ الجبالُ فسارَتْ وبُعْثِرَتِ الضرائحُ فثارَت، ونُشِرَتِ الصُّحُفُ فطارَتْ، وشَخَصَتِ الأبصارُ فحارَتْ، وخَسِرَتْ تجاراتُ

---

(١) الهُبع: الفصيل، المولود في الصيف، والرُّبَيع: المولود في الربيع وهو أول النتاج، والمعنى: أنه غلب الحقير على الرفيع.

(٢) المِدَرَه: بكسر الميم المتكلم عن القوم والمدافع عنهم، وقال بعضهم: الهاء هنا بدل الهمزة، والأصل الأول. مدرأ من درأ عنه إذا دفع.

(٣) اللُّكع: الضعيفُ العقل والدنيء من الرجال، ولَكُع لَؤُم.

(٤) الغوامرَ: الخراب المعطل عن الزراعة.

المسيئين فبارَت، واشتدّت رَحى القيامةِ على المذنبين فدارَت، وسقطتْ قُوى المتجبّرين فخارَتْ، وأُزلفتِ الجنَّةُ للمتقينَ فنارَتْ، وسُعِّرَتِ النارُ على الكافرين ففارَتْ، هنالك يَفِرُّ الولدُ من والديهِ، ويعضّ الظالمُ على يديه، وتُوضعُ موازينُ الحقُ لوزنِ أعمالِ الخلقِ، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

ثقَّل اللهُ موازينَنا وموازينكم بالحسنات، وبيّضَ دواوينا ودواوينكم منْ ظُلَمِ الشُبُهاتِ، وخفّفَ ظهورُنا وظهورَكم مِن أثقالِ التبعات.

إنَّ أحسنَ ما أدارتْهُ اللهَواتُ، وأدَّتْهُ إلى الأسماعِ الأدواتُ، ورُويَتْ بهِ القلوبُ الصاديات(١)، كلامُ عالمِ الخفِيّات، ومَن لا تُغَيّرُه الأوقاتُ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

❀ ❀ ❀

---

(١) الصاديات: العطاش.

الخطبة الخامسة

الحمدُ للهِ الذي لا يموتُ ولا يَفْنَى، القيومِ الذي يُسَمّى إلا بما سمّى بهِ نفسَه ولا يُكْنَى، العزيزِ الذي لا يدنُو إليهِ إلا مَنْ أدنى، الواحدِ الذي هو إلهٌ بكلِ معنى، العدلِ الذي خلقَ الذكرَ والأنثى مِن نطفةٍ إذا تُمْنَى، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النّجم: ٣١].

أحمَدُهُ على الإسعافِ بمُوجباتِ الحمدِ، وأسألُهُ العفوَ عنِ اقترافِ الخطأ والعَمْدِ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادة مَنْ راق مِن التوحيدِ شِرْبُهُ[١]، والْتاقَ بالتحميدِ لسانهُ وقلبُه[٢]، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسوله أرسلهُ حينَ تلاطَمَ من بحر الضلالِ أمواجُه، وتراكَمَ على ألبابِ الرجال عَجَاجُهُ، وعَذُبَ في لَهواتِ الجُهَّالِ أُجَاجُهُ، وعَزُبَ على أُساةِ الأعلالِ عِلاجُهُ، وشُرِعَ إلى غيرِ الرّشادِ مِنهاجُه، وطُبعَ على قلوبِ الأضدادِ رِتاجُه، وصعَّر خدّ الكافرِ

(١) راق: صفا، والشِرب بالكسر النصيب من الشراب.

(٢) التاق به: صافاه حتى كأنه لزق به.

المستكبِرِ لَجاجُهُ، وغرَّهُ بالله حِلمُهُ واستدراجُهُ، فاستقام بمحمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلم مِن الدين اعوجاجُه، وأضاءَتْ بنورِ اليقين مسالكُه وفِجاجُه، وأبطلَ حُجَجَ الملحدينَ برهانُه واحتجاجُه، وتزاحمَتْ في سُبُلِ الإسلامِ رغبةً فيه أفواجُه، ولاذَ بحرمِ اللهِ معتمروه وحجّاجُه، صلّى اللهُ على محمدٍ على آلهِ صلاةً يدومُ بها جَذَلُه وابتهاجُه، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ لكم فيما سلَفَ مِنَ الأمواتِ عِبَراً، وإن لكم فيما ترونَ من الآياتِ فِكَراً، ولَهِنَّكُم[1] لَتَمُرُّنَّ على الآفاتِ زُمَراً، ولَتَكْرَعُنَّ مِن حياضِ الموتِ كدَراً، وكفى بذكرِ الموتِ للأحزانِ جالباً، وللأفراحِ سالباً، وللقلوبِ مُعاتِباً، وبالإقلاعِ عن الذنوبِ مطالِباً، ألا وإنَّ الموتَ عارفٌ مَنْ جَهِلَه، خاطفٌ مَن أغفلهُ، ذاكرٌ مَنْ نسيَه، آسِرٌ مَن لَقيه، لِغُربانهِ على الديارِ نَعيبٌ، ولنيرانِهِ في الأعمارِ لهيبٌ، ولحُدثانهِ في الأبْشارِ دبيبٌ، ولِجَولانِهِ في الأقطارِ وجيبٌ، لهُ في كلِّ مُهجةٍ سهمٌ مُصيبٌ، ولكلّ نفسٍ من مراراتِه نصيبٌ، وبكلِّ مخلوقٍ منهُ يومٌ عَصيبٌ.

بينما المرءُ رافلاً في أذيالِ مَرحِه، جائلاً في مجال فرحِه، جاهِلاً بمواقعِ مِنَحِهِ، غافلاً عَن مصارعِ مُجتَرحِهِ، إذ قَعَدت بهِ ناهضاتُ قُواهُ، وعَمَدَتْ لجسمِه ناقضاتُ عُراهُ، وحالَتْ أحوالُهُ في عين مَنْ يراهُ، ولم تنفعْهُ صفاتُ الطبيبِ ولا رُقاهُ، فَقَرُبَ

---

(١) ولهنكم: أي ولئنّكم، أبدلت الهمزة هاء، واللام هنا هي التي تكون في جواب القسم. وأصل العبارة: والله لئنكم، واللام في (لتمُرُّن) هي التي تكون في خبر إن.

خَطْوُهُ، وغرُبَ سَطْوُهُ، وذَهَبَ زَهْوُهُ، وعَزبَ لهْوُهُ، فأصبحَ أسيراً في رِبْقَةِ المَنون، تَسِحُّ عليهِ سجالُ العُيون، وتُرجم في مستقرّه خواطرُ الظنون، عندَ سلوكهِ سُبُلَ مَن سلفَ مِن القرون، لا يُفْصِحُ بخطاب، ولا يَسْمَحُ بجوابٍ، مُخْتَطَفاً مِن الأحبابِ، مُرتَهَناً بالاكتساب، وحيداً في منزلِ الاغتراب. مواجِهاً يومَ الحساب، أدنى الأهلِ إليهِ وأقربُ الأصحاب، مَنْ حثى على قبرهِ حَثياتٍ منَ التراب، ومِن وراء ذلكَ الصيحةُ المستورُ عنكم أمرُها، والساعةُ المهجورُ بينكم ذِكْرُها، التي قد حانَ حينُها، وبانَ يقينُها وبدَتْ أشراطُها، ومُدّ لكم على متن جهنم صراطُها، فما بينكم وبينها إلا أن يأمرُ المأمورَ آمِرُهُ، ويَزْجُرَ الصورَ زاجرُهُ، حتى يلحقَ أولَ الخلق آخِرُهُ، ووردتُم مَوْرِداً إلى الجنةِ أو إلى النارِ مصادِرُه، فرحمَ اللهُ امرءاً أغارَ(١) عَزْمَهُ فأبرَمَه، وأزارَ قَلْبَه صحيحَ الفِكْرِ فألهَمَه، وبادرَ بزادِ سفرهِ فقدَّمهُ، وأخَذَ لنفسهِ فإنَّ صاحبَ الصُّورِ قد الْتقمَهُ.

جعلنا اللهُ وإياكُم ممن أعدَّ للقيامةِ عُدّتَهُ، وأنفَقَ في طاعتِهِ جدتَهُ، وأخذَ للموتِ قبلَ حُلولِهِ أهبَتَهُ.

إنَّ أحسن ما اتَّسَقَ نِظامُه، وأولى ما اتُّبعَ حلالُه واجتُنبَ حرامُه، كلامُ مَن خَيرُ الكلام كلامُه، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النّحل: ٧٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) أغار الحبل أحكم فَتْله.

شهر ذي الحجة

وفيه خطبتان.

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي أمَّتِ الوجوهُ وجهَهُ أينما توجَّهَتْ، وعَدِمتِ البصائرُ شِبهه كيفما شبَّهَتْ، وأُفحِمَتِ الفصحاءُ عن تحصيلِ صفتِه بكلِّ ما تفوَّهَتْ، وأَحْجَمَتِ العقولُ عن الإحاطةِ بكيفيّتِه فوقفَتْ حيثُ انْتَهَتْ، أحمدُهُ والرابحُ الحامدُ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا هو الصَّمَدُ الواحِدُ، لا شريكَ له ولا ولدُ ولا والد، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُهُ أرسلهُ حجّةً للحُججِ قاطعةً، ومَحَجّةً إلى الفُلجِ[1] شارِعَةً، ونَقمةً على الملحدين واقِعَةً، ورحمةً للموحِّدين جامعةً، فدَرَسَتْ بكتابهِ الكُتُبُ، وخَنَسَتْ بشهابهِ الشُّهُبُ، ونَطَقتْ بفخره العربُ، وأشرَقَتْ بذِكْرِه الخُطَبُ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ صلاةً تُرفعُ لهم بها الرُّتبُ، وتُوسَّعُ لهم بها المنازلُ والرُّحُبُ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: إنَّ اللهَ وله الحمدُ اختارَ مِنَ السَّنةِ أيّاماً شرّفها، ومواقيتَ بيَّنَها لكم فعرَّفها، جعلها اللهُ لزللكم مَمْحاةً، ولصالِح أعمالِكم مَنماةً، دلالةً على قصدِ السبيل إليه، وكفالةً بالمزيدِ لمن

---

(١) الفُلج: بضم الفاء، الغلب والظفر، وشارعة: مؤدية وموصلة.

رغب فيما لديه، فمَنْ شَكَرُ كُتب من الآمنين، ومَن كفَر فإن الله غنيٌّ عن العالمين.

وهذه الأيام ـ رحمكم اللهُ ـ أيامُ العشرِ، المقدّمُ بها ذو الحِجّةِ على كلّ شهر، ختمها الله بيوم النَّحر، وأتْبَعها بأيام النّفرِ، وجعل فيها لأهل طاعتِه مشهداً جامعاً، يكونُ لدعائهم فيه مُجيباً سامعاً، يسعى إليه وفدُ اللهِ من كلِّ فجٍّ وإقليم، مُلبِّين دعوةَ أيهم إبراهيم، عليهِ أفضل الصلاةِ والتسليم، إذِ ابتلاهُ اللهُ في مثلِ هذا العشرِ بذبحِ ولدِه، وأمَرَه أن يتولّى ذلك بيدِه، فانتهى إلى أمرِ ربّه، وأطفأ بنورِ رضوانهِ نارَ قلبهِ، وخَرج بابنهِ إلى حيثُ أُمِرَ، وأعلمه بالأمرِ الذي قُدِرَ فاستسلما لحَتْمِ القضاءِ، وعَزَما مِنْ أمرِهما على الإمضاء، حتى إذا تَلَّه للجبين، وأخذ الشَّفرة باليمين، فأهوى بها إلى نحرِهِ، مُعْلِناً بحمدِ اللهِ وشُكْرِه، والملائكةُ بالدعاء لهم تَضِجُّ، والوحشُ وَجْداً بهما تَعِجُّ، والسماءُ مِن فوقِهما تُثُجُّ، والأرضُ مِن تحتهما تَرُجُّ، واطّلع اللهُ من كلٍّ على صدقِ نيّته، وقوةِ صبرِه عندَ بليّتِه، فناداه أرحمُ الراحمين، أنْ يا إبراهيمُ قد صدَّقْتَ الرُؤيا إنّا كذلكَ نَجْزي المحسنينَ، وأتاهُ جبريلُ بالفِديةِ، فعمدَ إليها الخليلُ بالمُدْيةِ، فنحرَها قُرباناً، وجهر باسمِ اللهِ والتكبيرِ عليها إعلاناً، فأبقاها اللهُ في عَقِبِهِ سُنَّة، أكمل بها عليكم المِنّة.

فعظّموا ـ عبادَ اللهِ ـ ما عظّم اللهُ مِن حُرمةِ هذه الأيام باجتنابِ المحارِمِ والآثامِ، ولْيُقَدِّم النيّةَ في الأُضحيةِ مَن كانَ لها واجداً، ولا يُغفِلِ التزوُّدَ من كان إلى الآخرةِ وافداً، وفِرّوا إلى اللهِ جميعاً مِن مصائدِ الذّنوبِ، وعَظِّموا شعائرَ اللهِ، ومَنْ يُعظّمْ شعائرَ اللهِ فإنها مِنْ تقوى القلوب.

وفّقنا اللهُ وإياكم لِما يُرضيه عَنّا، ومَنَّ علينا وعليكم بقبولِ اليسيرِ منّا، ولا أخلانا وإياكم مِنْ حُسْنِ نَظَرِهِ حيثُ ما كُنّا.

إنَّ أحسنَ ما أخذَ به الآخذون، وأنفعَ ما لاذَ به اللائذون، كلامُ مَن نحن له عابدون. ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ مشرِّفِ الأيام بعضِها على بعضٍ، ومصرِّفِ الأحكامِ بالإبرامِ والنَّقْضِ، ومُكَلِّفِ الأنامِ بالقيامِ بأداءِ الفَرْضِ، ومؤلِّف الأجسامِ باعتدالِ الطولِ والعرْضِ، الذي لم يتقدَّم علمَه بالأشياء جَهالةٌ، ولم تُفِدْهُ حقيقةُ الأنباءِ دلالةٌ، ولم تَجْرِ بماهيَّتِه مَقالةٌ، ولا لربوبيتِه تغيُّرٌ ولا إزالةٌ.

أحمَدُه على استخلاصِنا لإيداعِ ذِكْرِهِ، واختصاصنا بإيزاعِ شُكْرِه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةَ من أبصرَ اليقين بعينِ البصيرة، فآثرَ سلوكَ محجّته المنيرة، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه عند انتشارِ الفساد، في أقطارِ البلادِ واستعار العِناد[١] في أفكارِ العبادِ، فأبرمَ من الإيمانِ سحيلَهُ[٢]، وأوضحَ مِن البرهانِ سبيلَهُ، وأرغمَ حِزبَ الشيطانِ وجِيلهُ[٣]. صلى الله عليهِ وعلى آله صلاةً يشرِّفُ بها مَقيلَهُ، كما شرَّف وكرَّم إبراهيمَ خَليلَهُ، وسلّم تسليماً.

---

(١) العِناد: المبالغة في الإعراض.

(٢) السحيل: الخيط يُفتل فتلاً.

(٣) الجيل: القبيل.

أيها الناس: إنَّ التشميرَ بالإدراكِ ضَمينٌ، كما أنّ التقصيرَ بالهلاكِ قَمينٌ.

فشمِّروا ـ رحمكم اللهُ ـ لاغتنامِ الأجرِ، في بقيّة أيامِ العَشر، فإنها الأيامُ المعلوماتُ، الممحِّصاتُ المعظَّماتُ، وفي غدٍ يجتمعُ إخوانُكم بعرَفاتٍ، ويرتفعُ الدعاءُ بضجّةِ الأصواتِ، ويَطَّلعُ اللهُ مِن فوقِ سبعِ سمواتٍ، لتفريقِ الجوائزِ والصِّلاتِ، يُباهي بجمعِهم الملائكَةَ المقرّبين، ويجُلّلُ رحمتَه كافّةَ الحاضرين، فيقولُ: ملائكتي أما تَرَوْنَ عِبادي قد فارقوا خَفضَ[1] المعاش، وأَمُّوني[2] مِن بينِ راكبٍ وماشٍ، يَحنُّونَ إليّ حنينَ الطيرِ إلى أوكارِها، ويَفِدون عليَّ مِن فِجاجِ الأرضِ وأقطارها، انْضاءً على الأنضاء[3]، خُوّاضاً لُجَجَ الرّمضاء[4]، قد مَلأوا البلادَ تكبيراً وتهللاً، واتّخذوا الإخلاصَ بالوحدانيّة إليّ سبيلاً، يضِجُّون بالتلبيةِ (لَبّيكَ اللُهمّ لَبّيك)، ها نحن عبيدُك الوافدون عليك، الراغبون فيما لديك، الهاربون منك إليك، أُشهدُكم لأُمَهِّدَنَّ لهمُ الضّيافَةَ، ولأُحسِننَّ على مُخْلَفيهِم الخِلافَةَ، ولأُعَظِّمَنَّ عليهم المِنّةَ، ولأجْعَلنَّ قِراهمُ الجَنةَ، وكفَى باللهِ مُنيلاً للعباد، وكفيلاً بإنجازِ الميعادِ.

وإذْ أبعدكم التعليلُ عن شرفِ ذلكَ المقامِ، وأقعَدَكم التأميلُ

---

(١) خفض المعاش: لينه وطيبه.

(٢) أموني: قصدوني.

(٣) الأنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من السير ونحوه، والمعنى: مهزولون على جمال مهزولة من السير.

(٤) الرمضاء: الأرض الحارة من شدة وقع الشمس.

مِن عامٍ إلى عام، فطِهّروا السّرائرَ مِنْ دَنَس التَّبِعاتِ، وأعمِروا الضمائرَ بذكْرِ يومِ الحسراتِ، وانتَشِروا غداً في بقاعِ الأرضِ ويَفاعِ الفَلواتِ، وأكثروا استغفارَ عالِمِ الخفيّاتِ، يَشْملُكم ببركاتِ تلكَ الدعواتِ، وبَرِّزوا كما بَرَّز أولياؤُه السابقون، ولا تكونوا كالذينَ نسُوا اللهَ فأنساهُم أنفسهم أولئكَ هم الفاسقون.

جعلنا الله وإياكم ممنِ استمع للوعظِ فوعاهُ، وقام بحقوقِ ربه في جميع ما استرعاه، وعمّنا وإياكم ببركةِ دعاء مَن دعاهُ.

إنّ أحسنَ ما تضَمَّنَتْهُ السطورُ، وانشرحَتْ بتلاوته الصُّدورُ، كلامُ من لا تُغالبُه الأمورُ، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجّ: ٢٧-٢٩].

❀ ❀ ❀

الخطب الموضوعية

الموت والمعاد

وفيه: تسع خطب.

الخطبة الأولى

الحمد لله المسبَّحِ باللغاتِ المختلفةِ، المعروفِ بإتقانِ صنائعِهِ المؤتَلِفَةِ، المنعوتِ بما نعتَ به نفسَهُ، الموصوفِ بما عظَّمَ به قدسَهُ، أحمَدُهُ حمداً يقومُ بشكرِهِ، ويُؤمن من سطوته ومكره، ويقود إلى عفوه وغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً سالمةً من غوائل الشك، خالصةً من شبه الباطل والإفك، وأشهد أن محمداً عبده الشريف، ورسوله المنيف، وأمينه الذي كان عدلاً لا يحيف، أرسله بالرأفة والرحمة، وأيده بالثبات والعصمة، وكشف به غَيابةَ الغُمَّةِ(١)، فهو خير نبي بُعث إلى خير أمة، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً يبلِّغُهم بها نهايةَ المرادِ والهِمَّةِ، وبَيَّضَ بها وجوه أوليائهم يومَ القَتَرِ والظُّلمةِ، وسلَّم تسليما.

أيها الناس: ما هذه السِّنَةُ(٢) وأنتم منتبهون، وما هذه الحيرةُ وأنتم تنظرون، وما هذه الغيبةُ وأنتم حاضرون، وما هذه السكرةُ

---

(١) غيابة الجب قعره، وكل ما غيَّب شيئاً فهو غيابة، والغمة الغم.

(٢) السِّنة والوسن النعاس.

وأنتم صاحون، وما هذه الطمأنينةُ وأنتم مطلوبون، وما هذه الإقامةُ وأنتم راحلون.

أما آن لأهلِ الرّقدةِ أن يستيقظوا !؟ أما حانَ لأبناءِ الغفلةِ أن يتّعظوا !؟ أما أَزِفَ لأولي العقولِ أن يتفكّروا !؟ أما رَدِفَ لذوي التجاربِ أن يعتبروا !؟

لقد صدقَكُمُ الموتُ عن الخبرِ، وأراكم تصاريفَ الغِيَرِ، وآذنكم بالرحيل وقدّمكم جيلاً بعد جيل؛ فما للقلوبِ لا تتصدّعُ خشوعاً، وما للدّموعِ لا تجري بدلَ الدّموع نَجيعاً !؟[١]

أتحسبونَ أنَّ الأمرَ صغيرٌ، أم تتوهَّمونَ أنَّ الخطبَ يسيرٌ!؟

كلا لَتَرِدُنَّ الصَّمَّةَ الصَّمَّاءَ، والداهيةَ الدهياءَ[٢]، المُكْفَهِرَّةَ الشنعاءَ[٣]، المدلَهِمَّةَ السوداءَ[٤]، التي لا يُنادى وليدُها[٥]، ولا تُكَذَّبُ شهودُها؛ فكأنَّكم بالساعةِ قد رجَفَزلزالُها، واشمخرَّ وبالُها[٦]، واقمطرَّ نَكالُها[٧]، وترادفَتْ أهوالُها، وتحقَّقَتْ

---

(١) النجيع: الدم الذي يضرب للسواد، قال الأصمعي: هو دم الجوف خاصة، والأكثر استعماله في الدم مطلقاً.

(٢))الصمّة: الداهية، والصماء: الشديدة، والداهية المصيبة التي لا تُطاق.

(٣) اكفهرَّ الليل: اشتد ظلامه، واكفهر الرجل عبس، وادلهمّ الليل اشتدّ ظلامه، والمدلهمات الشدائد.

(٤) اكفهرَّ الليل: اشتد ظلامه، واكفهر الرجل عبس، وادلهمّ الليل اشتدّ ظلامه، والمدلهمات الشدائد.

(٥) أي لشدتها لا يُنادى بها الصغار.

(٦) اشمخرّ: طال.

(٧) اقمطرّ: اشتد، ومنه (قمطرير) أي شديد البؤس.

أوجالُها[1]، وكَشَفَ العيانُ أحوالَها، وقال الإنسانُ مالها، فيومئذٍ تبرُزُ المخبّآتُ، وتبدو المكتّماتُ، وتظهَرُ الفضائحُ، وتكثُرُ الجوائحُ، وترعِدُ الجوانحُ، وتشهَدُ الجوارحُ، وتُبَعْثَرُ الضرائحُ، وتُعَدَّدُ القبائحُ.

فيا خجلَ المقصِّرينَ من التوبيخِ في محفلِ القيامةِ، ويا حيرةَ أولي التفريطِ من زلزالِ يومِ الطامَّةِ، ويا سوءَ منقلبِ الظالمينَ عند حلولِ النَّدامةِ، ويا حسراتِ الهالكينَ إذا عاينوا أهلَ السلامةِ، ويا هوانَ المتكبِّرينَ إذا حُرِمُوا دارَ الكرامةِ، هنالك سُدّتْ على الهاربينَ مذاهبُ السُّبُلِ، وضاقَتْ على المحتالينَ وجوهُ الحِيَلِ، وخابَتْ مِنَ الآملينَ أضاليلُ الأملِ، وحَصَلَ كلٌّ على ما قدّم من العمل.

جعلنا الله وإياكم ممن أحسن الارتيادَ لنفسه، واستعبرَ باكياً على ما فَرّط في يومه وأمسه، وأطاب الزادَ لحلولِ رمسِهِ.

إنّ أنفعَ الوعظِ وأشفاهُ، وأبلغَ الإنذارِ وأنهاهُ، وأزكى الذِّكرِ وأنماهُ، كلامُ من لا إله سواه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) الأوجال: جمع وجل، وهو الخوف.

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزلة].

بارك الله لنا ولكم بالقرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكن ولسائر المسلمين.

وكذلك القول في آخر كل خطبة.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله المجيرِ الذي لا يَذِلُّ مَن لاذَ بعزِّهِ، النصيرِ الذي لا يَقِلُّ من عاذَ بجُزْرِهِ، المطَّلِعِ على سرائر الغيوبِ المتجاوزِ عن كبائرِ الذنوبِ، الذي لا يُنقِصُ خزائنَ ملكهِ العفوُ، ولا لَهُنِدٌّ ولا كُفُوٌ.

أحمده حمد معترفٍ بالتقصير عن شكره، وأسألُهُ التوفيقَ للقيام بنهيه وأمره، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يُرغَمُ بها المنافقُ الجاحِدُ، ويُعظَّم بها الخالقُ الواحدُ، وأشهدُ أنْ محمداً عبدُهُ القائمُ بحقِّهِ، ونبيُّهُ المرسلُ إلى كافةِ خلقهِ؛ أرسله على حينِ فترةٍ من الرسلِ، ونَسَخَ بملّتِهِ جميعَ المللِ، حتى استقام الحقُّ واعتدلَ، وخام الباطلُ وبطلَ[1]؛ صلى الله عليه وعلى آلهما لاحَ نجمُ أو أَفَلَ.

أيها الناس: ما أعظَمَ المصيبةَ على مَنْ فقد قلباً واعياً، وأسرعَ العقوبةَ إلى مَنْ عدِمَ طَرْفاً باكياً.

لقد غَلَبَ على قلوبِكُمُ الطَّبْعُ فتملّكَها، واستحوذَ على

---

(١) خام: جبُن ورجع القهقرى.

نفوسكم الطَّمَعُ فأهلكها، وأنتم عما يُرادُ بكم غافلون، وبخلاف ما قد علمتموه عاملون؛ كأنكم بما قد تحققتموه جاهلون، فلاالوعظُ يَشفي منكم غليلاً، ولا الإنذارُ يَجِدُ إلى قلبكم سبيلاً، وقد علمتم أنّ وراءكم يوماً ثقيلاً، أمامكم من الموت خطباً جليلاً.

فيا عجباً لغفلةِ مطلوبٍ لا بد من إدراكه، ووا رحمتا لمغترٍ بالسلامةِ لا ريبَ في هلاكه.

ألا أذنٌ تسمع، ألا قلبٌ يخشع، ألا عينٌ تدمع، ألا هاربٌ إلى الله يهرب، ألا نادمٌ مقلع، ألا مشمِّرٌ مزمع، ألا راحمٌ لنفسه، ألا ذاكرٌ لرمسه، ألا مرتاد لنفسه في الخلاص، ألا وجل من يوم القصاص، أتظنون أنكم للدنيا عُمَّار، أم تحسبون أنها لكم دار!؟

كلا لتَرِدُنَّ وشيكاً مورداً لا صدر لكم عنه، ولتَنهِلُنَّ منهلاً مرَّ المذاق لا بد لكم منه؛ فدراك دراكِ .. قبل حلول الهلاك قبل هجوم ما لا يُدفع، وذهاب ما يُرجع، والندمِ حين لا يَنفع، والاعتذار بما لا يُسمع.

قبل شخوص الأبصار في المحاجر، وبلوغ القلوب إلى الحناجر، قبل أن لا يستطيع أحدكم حراكاً، ولا يملك لأسره فداءً ولا فكاكاً.

هنالك يبرق البصر، وينزل القدر، ويتحقق الحذر، ويقول الإنسان يومئذ أين المفر، ألا إنّ الساعة أدهى وأمر، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النّازعات: ١٣، ١٤].

جثياً على الركب، بُكيّاً من فضائح ما سُطّر في الكتب، ترتجّ بهم الأرض بأقطارها، وترميهم النار بشرارها، وتُعرض الخليقة على جبارها، فيحاسبها بإعلانها وإسرارها، وينبّئها باكتسابها في سالف أعمارها، فإما إلى جنتها وإما إلى نارها.

زحزحنا الله وإياكم عن دار البوار، وأحلنا وإياكم دار القرار، وحمانا وإياكم من حطام هذه الدار.

إنّ أنفس المغانم والفوائد، وأوضح الدلائل والمراشد، كلام العزيز الواحد، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثالثة
في الموت والمَعاد

الحمدُ للهِ السريعِ حسابُه، المنيعِ حجابُه، الوبيلِ عقابُهُ، الجزيلِ ثوابُه، الذي جَلَّ عن تمثيلِ القياسِ، وعظُمَ عن إدراكِ الحواسِّ، وتعالى عن الأنواعِ والأجناسِ، وعمَّ بفضلِهِ كافَّةَ الجِنَّةِ والناسِ، أحمدُهُ والحمدُ مِنْ نِعَمِهِ وأسْتَزيدُه مِن فضلِهِ وكرمه. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً لا لَغوَ في مَقالها، ولا انفصالَ لاتّصالها، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثهُ بأنْوَرِ مَنارٍ، وأشهر شِعارٍ، وأكثر فَخارٍ، مِنْ أطهرِ بيتٍ في مُضَرَ بنِ نزار، صَلى الله عليه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ، وعلى آلهِ المصطفين الأخيارِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس، مَن أسْوأُ حالاً ممن استعْبَدهُ هواهُ، أم مَن أكسفُ بالاً ممن أبعدَه مالِكهُ ومولاهُ، أم مَن أخْسَرُ صفقةً ممَّن باعَ آخرتُه بدنياه، أم مَن أكبرُ حَسرةً ممّن كانتِ النارُ منقلبَهُ وعُقباهُ، فما لِلغفلة قد شمِلت قلوبَكم، وما للغيرة قد سترتْ عنكم عيوبَكم، وما للطمعِ قد صغَّرَ عندكم ذنوبَكم، وما للأملِ قد ملكَ

شُبّانكم وشِيَبكم، يا سُؤرَ النوائبِ، ويا غرَضَ[١] المصائب، ويا نُصُبَ[٢] الوقائع، ويا نُهبَ الفجائعِ، أما تَرَوْنَ صوارمَ الموتِ بينكم لامعةً، وقوارعَه بكم واقعةً، وطلائعَهُ عليكم طالعة، وفجائعَه لعُذْرِكم قاطعةً، وسهامَهُ فيكم نافِذةً، وأحكامَه بنواصيكم آخذَةً.

فحَتَّامَ وإِلامَ وعلامَ التخلُّفُ والمقامُ، أتطمعونَ في بقاءِ الأبَد، كلّا والواحدِ الصمدِ، إنّ الموتَ لبالرَّصَدِ، لا يُبقي منكم على أحدِ، فكأَنْ دارتْ عليكم دوائرُه، وَدَهمَتْكُم عساكِرُهُ، وكُشِفتْ لكم سرائرَهُ، ونَزل بكلّ امرئٍ منكم ما يُحاذرُهُ، فسدَّ منكم مجاريَ الأنفاسِ، وأسكنكُم ظُلَمَ الأرماسِ[٣]، ومَضَتِ الحياةُ، وحصُلَتِ التَّبُعاتُ، وترادَفَتِ المُفظِعاتُ، وتضاعفت الحسراتُ، فما أغفلَ مَن هذه سبيلُهُ عنِ الاستعدادِ، وما أجهلَ مَن قصّر في الزادِ، ليومِ المعادِ فخذُوا ـ رحمكُم اللهُ ـ مِن شبابٍ إنْ فاتَ أعجزَكم لحاقُه، ومِن مشيبٍ فراقُ حياتِكم فِراقه، وبادِروا والقولُ يُسمَعُ، والمعذِرةُ تنفعُ، وفي الخلاصِ مَطْمَعُ، وفي العُمُر مُستمَعُ، قبل أنْ يغْلَقَ الرهنُ بما فيهِ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴿٣٧﴾﴾. جعلنا اللهُ وإياكم ممن آثرَ الدارَ الأخرى، واستقصَرَ عمُرَ الحياةِ الدنيا، وأحسنَ الاستعدادَ للمعادِ والرُّجعى.

إنَّ أجْلَى المواعظِ لدَرَنِ القلوبِ، وأمْحَى الإنذارِ لمسطراتِ

---

(١) الغرض: الهدف الذي يُرمى فيه.

(٢) النُصُب: الشيء المغصوب.

(٣) الرمس: القبر.

الذنوبُ، كلامُ علّامِ الغيوب. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

❀ ❀ ❀

الخطبة الرابعة
في الموت والمعاد

الحمدُ للهِ المؤمَّلِ لكشفِ الشدائدِ، المتفضِّلِ بتُحَفِ النِعَمِ والفوائدِ، الذي أكْرمنا بتوحيدِه، وجعلنا مِنْ خيرِ عبيدِه، أحمَدُه حمداً قاضياً لحقّه، ضامِناً لرزقِه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له كلمةً أومِنُ بها إقرارِ، وأشهدُ بها إعلاناً وإسراراً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه القائمُ بحجِجِهِ، ورسولُهُ الداعي إلى منهجِه، أرسلهُ إلى أهلِ خُلْفٍ وشَتاتِ، وإِحَنٍ وتِراتِ[1]، فدعاهم بأوضحِ البيناتِ، وجَلا عن قلوبهم صَدَأَ الشُبهاتِ، وأراهم معجزاتِ الآياتِ، صلى الله عليه وعلى آله أفضلَ الصلوات، وحياهم بأطيبِ التحياتِ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: أعْذِبوا ألْسِنتكم بحقائقِ الذّكر، وذلّلوا أسماعَكُم لمواقع الزجْرِ، وأنيروا قلوبَكم بمصابيحَ الفِكْرِ، وأكبِروا نفوسَكم عن صرَعاتِ الكِبرِ، فإنكم مِن الدنيا على رحيل عاجلٍ،

---

(١) الإحَن: جمع إحنة هي الحقد، والترة والوتد هما مصدر وترت الرجل قتلت حميمه.

ومِن الموتِ على خَطْبٍ فظيعٍ شاملٍ، منصوبةً لكم حبائِلُهُ، مُطْبقَةً بكم غوائلُه، لا يُبقي ولا يَذرُ، ولا ملجأ منه ولا وَزَر، هو مُوتِمُ الأبناء، ومُثكِلُ الأُمّهاتِ والآباءِ، وهادمُ اللّذاتِ، ومفرّقُ الجماعات، شديدٌ على الأرواحِ بأسُهُ كريهٌ مرٌّ المذاقةِ كأسُهُ، أدارَها على الأمم الخاليةِ، وجرَّعَها سالفَ القرونِ الماضيةِ، فأخرجهم مِنَ القصورِ العالية، والنّعمِ الساميَة، إلى رَدْمِ قبورٍ واهية، تشتملُ منهم على رِمَمِ عِظامٍ باليةٍ، وبقايا جُسومٍ مُتلاشيةٍ، لا تُحِسُّ منهم حاسّةٌ ولا تَرى لهم من باقية.

فانتبهوا ـ رحمكم الله ـ مِن رقدَةِ الغافلين، وتأهّبوا للعَرضِ على أسرعِ الحاسبين، في يومٍ تُنْسَفُ فيه الجبالُ، وتكِعُّ[1] منه الرجال، وتُخرِجُ الأرضُ ما فيها، وتُهطِعُ الأمواتُ لداعيها، فهنالِكَ أزِفَتِ الآزِفة، ورَجَفَتِ الراجِفةُ، وتطايرتِ الكُتُبُ، وكُشِفَتِ الحُجُبُ، وتشقّقت السماءُ، وأشفَقتِ الأنبياء، وانتثرتِ الكواكبُ، وعَظُمتِ المصائبُ، وبدَتِ العَوْراتُ، وانسكبت العَبَراتُ، وخَشِعتِ الأصواتُ، وعُدّدتِ الجناياتُ، واشتدّ اللّزامُ، واحتدَّ الخصامُ، وطاشتِ الألبابُ، وخضعتِ الرقابُ، ووُضِع الكتابُ، وحُرّرَ الحسابُ، واستوى فيه العبيدُ والأربابُ، وحشر العالمُ في صعيدٍ، وقالت جهنمُ هل من مزيد، وتعلّقَ المظلومونَ بالظالمين، وقامَ الناسُ لربِّ العالمين، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ [الرُّوم: ٥٧] فما حيلتُكَ أيها الظالمُ لنفسِهِ، بتفريطه في يومِه وأمسهِ، وأنّى لك بالخلاصِ،

---

(١) كعّ الرجل: ضعف وجبُن.

ولاتَ حينَ مناصٍ، هيهاتَ وجَبَ الحقُّ فلَزِم، وقلَّ النصيرُ فعُدِم، وحكَمَ اللهُ في خَلقه بما عِلِمَ، فلا ناجٍ من عذابِه إلا مَنْ رَحِم.

ثبّتنا اللهُ وإيّاكم في ذلك المقام، ومحَّصَ عنا وعنكم مُوبقاتِ الأنامِ، وأحلّنا وإيّاكم دارَ السلام، مع أوليائِهِ البَرَرة الكِرام.

إنّ أحسنَ ما ثبتَ في الطُّروس[1]، وأبلغَ ما وقعَ في النفوس، كلامُ الملكِ القدّوس. ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٧-٤٩].

❀ ❀ ❀

(١) الطروس: جمع طرس، وهو ما يُكتب فيه.

الخطبة الخامسة
في الموت والمعاد

الحمدُ للهِ خالقِ السمواتِ وسامِكِها[1]، وبارئ البريّاتِ ومالِكِها، الذي ليسَ له مثلٌ ولا شبيهٌ، ولا في قولِهِ بُطلٌ ولا تَمويهٌ، أحمدُه بما يوجب حمدَهُ عليه، وأبْرَأُ مِن الحوْلِ والقوةِ إليه[2].

وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ مَنْ عَرَفَ فاعتَرَفَ، وحادَّ مَن انحرَفَ عنها وصدَفَ[3]، وأشهد أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُه، أرسله بكتابٍ أوْضَحَه، ولسانٍ أفصَحَه، وشرْعٍ شرَحَه، ودينٍ فسحَه، فلم يدَعْ صلى الله عليه فساداً إلّا أصلحَّه، ولا عِناداً إلا زحزَحَه، ولا مُغْلَقاً من الدينِ إلّا فتحَه، صلى اللهُ عليه وعلى آله ما هلّلهُ مَلَكٌ أوْ سبَّحَه، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إلى كمْ تُماطِلون بالعمل، وتطمعونَ في بلوغِ الأمل، وتغترّون بفُسْحةِ المَهَل، ولا تَذكرونَ هجومَ الأجَلِ، وأنتم

---

(١) سمك الله السماء: رفعها.

(٢) إليه متعلق بـ أبرأ وعليه في الجملة قبلها متعلقة بـ حمده.

(٣) صدف: أعرض.

قَرارةُ سَيْلِ المنايا[١]، وإشارةُ نبلِ الرزايا، ومَحارةُ سبُلِ البلايا[٢]، ما وَلَدتم فللترابِ، وما بَنيتمْ فللخرابِ[٣]، وما جَمعتم فللذّهابِ، وما عَملتم ففي كتابٍ مُدّخَرٍ ليوم الحِساب.

فرحِمَ اللهُ امرأً قدَّمَ الحَذَرَ، وأنعمَ[٤] النظرَ، قبلُ أن يفارقَ الأوطان، ويَعدَمَ الإمكان، ويذرعَ الأكفان، ويَدْخُلَ في خبرِ كان، قبلَ الأخذِ بالكَظائم[٥]، والأسفِ على اكتسابِ الجرائم، قبلَ نزولِ القَدرِ اللازم، وسكونِ الحركاتِ لدخولِ الجوازم[٦]، فحينئذٍ تضيقُ الأنفاسُ، وتفتُرُ الحواسَ، ويقعُ الياسُ، ويحِلُّ بالمغرورِ الحذَرُ والباسُ، بالُهُ مشغولاً عن أقاربِهِ وأحبابِهِ، صريعاً مُسْلِماً لما به، يبسُط يميناً ويقبضُ شِمالاً، ويُعالِجُ مِن سَكَراتِ الموتِ أهولاً، يُسألُ فلا يَرُدُّ سُؤالاً، ويلتمِسُ من الإقالةِ والرُجْعى مُحالاً، قد صارَ الخبرُ عنده عِياناً، وعادَ شَكُّه في الرحيلِ إيقاناً، ثم سُلِبَ روحَه، وأسكنَ ضريحَه، وهيلَ عليه الترابُ، وعدِمَ منه الإيابُ، ومنقطعاً عن الدنياً أثرُه، مستعجماً على أهلها خبرُه، ينتظرُ نقرَ الناقور، ونفخَ إسرافيلَ في الصُورِ، ليومِ العَرْضِ والنُشورِ، يومَ يُكشفُ عن المستورِ، ويُحصَّلُ ما في الصُّدور، ويقعُ الحسابُ على الفتيلِ، والنقيرِ، ففريقٌ في الجنّةِ وفريقٌ في السعير.

---

(١) قرارة السيل: الموضع الذي يستقر فيه.

(٢) المحارة: المرجع.

(٣) اللام للعاقبة، كقوله: لِدوا للموت وابنوا للخراب.

(٤) أنعَم: أمعنَ.

(٥) الكظائم: مخارج النفس.

(٦) الجوازم: القواطع.

أيقَظَنا اللهُ وإياكم من سنَةِ الطَبَعِ، وأعاننا وإياكمْ على هَوْلِ المُطّلَعِ، وأمَّننا وإياكم يومَ الفزَعِ، وأزْلفنا وإياكم في المُرْتَجَعِ، إنّ أولى ما أُنْذِرَ به ووُعظَ، وأحلى ما تُمُسّكَ به وحُفظَ، القرآنُ المبينُ، الذي نزَلَ به الروحُ الأمين. ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٦-٣٠].

❀ ❀ ❀

الخطبة السادسة
في الموت والقبر والمعاد

الحمدُ للهِ الذي إنْ وعدَ أنجزَ ووَفا، وإنْ أوعدَ تجاوَزَ وَعَفا، أحمَدُهُ على ما خَفِيَ من نعمِه وخَفا، وعمَّ مِن آلائِهِ وضَفا[١]، وَهو حَسْبُنا في كلِّ حالٍ وكفَى.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ مَن دفعَ عن ربهِ الشُبهاتِ ونفَى، وأقرّ لهُ بالوحدانيةِ مُعترفاً، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ المجتبَى، ورسولُهُ المصطفَى، أرسلهُ ومِصباحُ الإيمانِ قد انطفى، ومنهجُ العدلِ قد دَرَسَ وعَفا، فشرَحَ الصدورَ بكتابِ اللهِ وشفى، وخَلصَ به صريحُ الحقّ وصَفا، وقامَ به الباطلُ وأهلُه على شَفا. صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ صلاةً يَزيدُهم بها يومَ القيامةِ شرَفاً، وتكونُ مِن صلاةِ مَن لم يُصَلِّ عليهم من العالمين عِوَضاً، وخَلَفا، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: حاكموا نفوسَكم الظالمةَ إليها، وتحمَّلوا بها في خلاصِها عليها، وذكّروها أهوالَ ما بينَ يديها، واعلموا أنّ الموتَ معصوبٌ برؤوسِكم، ومُنشِبٌ مخالِبَه في نفوسِكم، فالعَجَبُ كلُّ

---

(١) ضَفا: ضفا الحوض امتلأ، وضفا الثوب اتسع.

العجَبِ لمنْ تُخَرِّبُ الأيامُ عُمرَهُ وهو يُعَمِّرُ داراً، ولمن يوقِنُ بحلولِ الموتِ به وهو يلَذُّ قراراً.

فرحِمَ اللهُ امرءاً محَضَ نفسَهُ النصيحَة، وجَنّبها العارَ والفضيحةَ، قبلَ سلوكِ سُبُلِ الأوّلين، والحصولِ في جرائدِ الراحلين، الذين عَمَروا الدنيا زماناً، واتخذوها أوطاناً، واعتقدوا منها أموالاً وأعواناً، فأُخرِجوا منها وُحْداناً، وزُوِّدوا من متاعِها أكفاناً، وبُدّلوا بعزِّها هَوَاناً، ولم يَجِدوا من خوفِها أماناً، أُسكنوا بُطونَ الأرضِ بعدَ ظهورِها، وعُوّضوا قبورَها من قصورِها، فُهم في مضاجعِ الهَلَكاتِ راقدون، وفي بلاقعِ[1] الفَلَواتِ خامدون، قد نشرَتْ عليهم وحشةُ الموتِ جناحاً، وأفصحَ الدهرُ بتلاشيهم إفصاحاً، أخرَبوا ديارهم التي رَحَلوا عنها، وعمَّروا أجْدانَهم التي خُلِقوا منها، فيا وحشةَ ما آنسوه، ويا خرابَ ما عمَّروه، ويا وُجدَ ما أسلفوهُ، ويا ضياعَ ما خلّفوه، ويا خشونةَ ما أُلحِفوه، ويا صحَّةَ ما عَرَفوهُ، لقد صغَّرَ عندَهم خَبَرَ القيامةِ خُبزُها، وكُشِفَ لهم بحقيقةِ الموتِ سِتْرُها، فنظروا منها إلى المنظرِ الذي تصدّعُ منه المرائرُ، وتدورُ فيه على المذنبين الدوائرُ، وتُعْلَنُ فيه السرائر، وتحضرُ فيه الصغائرُ والكبائرُ، ولا مُقَصّرَ يومئذٍ إلّا خاسِرَ، ولا مُشَمّرَ إلّا ظافر.

أعاذَنا اللهُ وإياكم من الخُسران، وجعلنا وإياكم ممن ظِفرَ بالأمان، واستوجبَ خلودَ الجِنان، والفوزَ بجوارِ الرحمن.

إنّ أحسنَ الكلام، وأشرحَ البيانِ وأبيَنَ النظام، وأوضح البُرهان، كلامُ الملكِ المنّان، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥﴾ [الدّخان: ٢٥] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدّخان: ٢٩].

---

(١) البلاقع: جمع بلقع، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها.

الخطبة السابعة
في الموت والمعاد

الحمدُ للهِ الممتنعِ عن تمثيل الأفكارِ الخاطرة، المرتفعِ عن تحصيلِ الأبصارِ الناظرَةِ، العالمِ بوجيبِ قلبِ الذَرّة الخادِرةِ[(١)]، في غَياهِبِ[(٢)] ظُلمِ الليلةِ الماطِرةِ، تحتَ تَلاطُمِ أمواجِ البحورِ الزاخرةِ، كعلمِهِ بحركاتِ خلقِه الظاهرة، الذي جعلَ الموتَ أوَّل عَدلِ الآخرةِ، فأقام بِهِ القويّ والضعيفَ تحتَ قدر به القاهرة، أحمدُه على أياديهِ المتقاطرةِ[(٣)]، ونعمه المتظاهرةِ، حمداً أدفعُ باتصالِهِ حلولَ كلِّ فاقرة[(٤)].

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له شهادةً تصدُر عن نيَّةٍ حاضرَة وطويَّةٍ غيرِ فاترةٍ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلهُ بالآياتِ الباهرةِ، وفضَّله على المقاماتِ الفاخرةِ،

---

(١) وجب القلب رجف، والخادرة: المقيمة في خدرها، والخدر ستر يُمد للمرأة في ناحية البيت.

(٢) الغياهب: جمع غيهب، وهو الظلمة الشديدة.

(٣) أي المتتابعة.

(٤) الفاقرة: الداهية من المصائب.

فجلا به صدأَ القلوبِ الكافرةِ، ونصبَ به أعلامَ الملّةِ الناضرةِ، وألّفَ به شتاتَ الأهواء المتنافرةِ.

صلى اللهُ عليه وعلى عِتْرتِهِ الطاهرةِ، وصحابتهِ الأنجم الزاهرةِ، عددَ أنفاس ما دبَّ ودَرجَ في كَوْر الأفلاكِ الدائرةِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ سُبُلَ العافيةِ عافيةٌ لقلّةِ سُلاكها، وإنَّ عِلَلَ القلوبِ فاشيةٌ مؤذِنةٌ بهلاكِها، وإنَّ حُلَلَ الذنوبِ باديةٌ على سُوقةِ الأمةِ وأملاكِها، وإنّ رُسُلَ المنونِ قاضيةٌ أنْ لا يُفلَتَ أحدٌ من شِباكِها، فما للعيونِ ناظرةً لا تُبصِرُ، وما للقلوبِ قاسيةً لا تُفكِّرُ، وما للعقولِ طائشة لا تشعُرُ، وما لِلنفوسِ ناسيةً لا تذكُر، أغرَّها إنظارُها وإِمهالُها، أم بَشّرَتها بالنجاةِ أعمالُها، أم لم يتحقّقْ عندها من الدنيا زوالها، كلا ولكن شملت الغفلة، فاستحكمت على القلوبِ أقفالها، فكأن قد كشف الموتُ لأهل الغفلة قناعه، وأطلق على صحاح الأجسام أوجاعَهُ، وحقَّق بكل الأنام إيقاعَهُ، فلم يملك أحدٌ منك دفاعَه، فخفَقَ من المنزول به فؤادُه، وامتَحق من ناظره سوادُهُ، وقلِقَ لهولِ مصرعه عُوَّادُه، ورحمه أعداؤه وحُسَّادُه، وأزِفَ عن أهله في كُرَبِ الحشارج، مُصارعٍ لسكرات الموت مُعالِجٌ، حتى درج على تلك المدارج، وقَدِمَ بصحيفته على ذي المعارج، مستودَعاً بطنَ بَلْقَعٍ قاعٍ، رَهْنَ أربعِ أذرعٍ في ذراعٍ، في منزلٍ مبهمةٍ أبوابُه، مظلمةٍ رحابُه، مُسلَمَةٍ إلى الحوادث أربابُهُ، مُثْجَمَةٍ[١] بصوبِ المكارِهِ سَحابُهُ، أعظِمْ به منزلاً لا يبرح من نَزَلَه، حتى يلحق آخرُ الخلقِ أولَهُ.

---

(١) يقال أثجمت السماء أمطرت بسرعة.

أفيظن ظانّ أنَّ الله خلق الخلق ليهمله، أم أبدأ العالم ليغفله، كلا ليَبعثَنَّ من أماته ليسأَلَهُ عن الرسول ومن أرسله، وعن القرآن ومن أنزله، وعما قطعه عن الحقّ وشغله، وعما اجترحه في دنياه وفعَلَه، وعن الحرامِ الذي أكلهُ، ثم ليُوفيَّنّ كلُّ عاملٍ منكم عمَلَهُ، ثم ليُطالَبَنَّ بحكَم الكتاب مَن حمَلَهُ، وليُقابَلَنَّ كلَّ عبدٍ بما عليه ولَهُ، عَلِمَ بذلك مَن عَلِمَهُ أو جهله مَن جهلَه.

جعلنا الله وإياكم ممن إذا أُمر قَبِلَ، وإذا زُجِر وجِلَ، وإذا قال الخير عَمِلَ، وثَبَتَ بالقول الثابت إذا سُئِلَ.

إنَّ أبلَغَ ما التُمس به الانتفاعُ، وأحسن ما تداولته الأسماعُ، كلامُ من وقع بربوبيته الإجماع. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عِمران: ١٨٥].

الخطبة الثامنة
في الموت والمعاد

الحمدُ للهِ الذي أظهرَ حكمتَهُ للخلقِ في انتظامِ فِطَرِهِ، وأشعرَ قلوبَ أهلِ الحقّ مقاصدَ الاعتبارِ بقُدَرِهِ، ودلّ ذوي البصائرِ على إعجازِ ما أحدثَ بمشاهدةِ غُرَرِه، وجَلَّ عن مُشاكلةِ العالَمِ في أنواعِهِ وطباعِهِ وصُوَرِه، وعلِمَ خَفيَّ الإضمارِ في مكنونِ غوامضِ سُتَرِه، فتبارَكَ الذي أزِمّةُ الأمورِ مفقودَةٌ بإمضاءِ قضائهِ وقَدَرِهِ، أحمدُه على ما استأثَرَ به من نِعَمِهِ وعَوَّضَ، حَمدَ مَنْ ألجأَ أمرَهُ إليهِ وفوّضَ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ من حثّ على الإقرارِ بها وحَرّضَ، وأدارَ بلفْظِها لسانهُ ونضْنَضَ(١)، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولهُ أرسلهُ حينَ تداعَتْ مِن الحقِّ القواعِد، وشاعَتْ مِن أفعالِ الخلقِ الأوابِدُ، وهَدرَ فَنيقُ الضلالِ في شِقْشِقَتِه(٢)، وخطرَ مَزْهُواً في مَجالِ أهلِ ثقتِهِ، وظنّ السفهاء أن

---

(١) نضنض: تحرّك.

(٢) الفنيق: الفحل من الإبل، والشقشقة مصدر شقشق البعير إذا هدر.

لا رَجْعةَ لدارسِ العدلِ، ولا صرعةَ لفارسِ الجهلِ، فأحمدَ اللهُ بنبيهِ محمد صلى اللهُ عليه من الفتنةِ ضرامَها، وأغمدَ به من الجاهليةِ حُسامَها، وجَلا به عن الملةِ ظلامَها، وأعلى به في ذُرَى العزّ دِعامها، وأكمل به النبوةَ وجعله خِتامَها، صلى الله عليه وعلى آلهِ صلاةً يصل بدوامِ الأيامِ دوامُها، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ما لأنواء العيونِ مُخلفةً، وما لأدواءِ القلوبِ مُتلفة، وما للنفوس إلى موارد الهلكة مُوجفَةً، وما للأهواءِ عن مقاصِدِ البركةِ متخلِّفَةً، أسَبَبٌ يقوم به العذرُ عائقٌ، أم أدبٌ يحومُ عليهِ الفكرُ رائقٌ، أم لعِبٌ بما هو إلى محلِّ الجدِّ سائقٌ، أم طربٌ لِوِصالِ دنيا هي عمّا قليلٍ طالِقٌ، لقد أسمعَ النداءُ لولا أنّ في الأسماعِ صَمَعاً، ونجعَ الدواء لو صادفَ في النفوسِ هِمماً، وأودَعَ الليلُ والنهارُ البابَ الألباءَ حكماً، وأوسَع المقدارُ أهلَ الحقّ والباطِلِ نِعَماً ونقماً، وطمَّ الموتُ على كلّ طامّةٍ قبله، وأبانَ اللهَ في البريةِ عدلَهُ فبمَ يثقُ عبدُ الدنيا ويتعللُ طالبُها، وعَلامَ يُفرّجُ تابعُها ويعوّلُ خاطِبها، وقد كثُرَتْ عن أنيابِ الفتكِ به عواقبُها، وانحسرت عن فلقِ السُخرِيّ منه غياهبها[1]، وتفسّرت بصدقِ الخيانة لهُ كواذبُها، وتنكَرتْ عليه بأشكالِ الصورِ عجائبُها، فليثقِ المغرورُ فيها بمنيّةٍ تحضُرهُ، وميتةٍ تأسرُه، وقبرٍ يكفرُهُ ومحلٍّ ينكره وصيحةٍ تنشرهُ، ولزوم يحضره، وقدوم على من لا يعذِره. فرحم الله امرأ ذلل للحق قلباً وسمعاً، وأسبلَ على الفائتِ من زلله دمعاً، وقمع بذكرِ الموتِ جامحَ هواهُ قمعاً، ولم يألُ في

---

(١) الغيهب: الظلمة.

التزودِ لمعادهِ جمعاً، وكانتِ الموعظةُ أشدّ من السيفِ في جوارِحِهِ وقعاً، قبلَ أن يقتسم جسمه المشيّعونَ ربُعاً ربعا، ويودِعهُ المودّعونَ مِن فلاة الأرضِ صدعاً، قبلَ أن يسمعَ من القارعةِ قرعاً، وتموجَ القيامةُ بأهلها خفضاً ورفعاً، ويضيقُ المجرم بما ثبتَ في كتابه ذرَعاً، ولا يستطيعَ لما استحقّ من عقابه دفعاً، فلا تكونوا عبادَ اللهِ كمن باعَ بالضررِ نفعاً واجتثّ ليأسهِ منْ الحصادِ زرعــاً، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

هتَكَ اللهُ عَن قلوبنا وقلوبكم حجابَ الطبع، وسلكَ بنا وبكم شِعابَ الورَع، وبصّرنا وإياكم بعيوبنا وجبرَنا وإياكم بمحوِ ذنوبنا.

إنَّ أحسنَ ما هَجَسَ به خاطرُ، وأنفعَ ما وعظَ به بادٍ وحاضرٌ، كلامُ مَن هوَ الأولُ والآخرُ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

الخطبة التاسعة
في الموت والمعاد

الحمدُ للهِ الذي لا يُحيلُ معروفَهُ خُلفٌ ولا مَطالٌ، ولا يُحيلُ تكييفَهُ وصفٌ ولا مقالٌ، ولا يلحقُهُ في عظيمِ ما ابتدعَ سآمةٌ ولا مَلالُ، ولا تخلقُه الأيامُ والشهورُ والأحوالُ، أحمدُه على ما لا يُدركُ شُكرُهُ، ولا ينالُ، حمداً لا يكونُ لمتصلهِ انفِصاله. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةَ من لا يشوبُ شهادتَهُ اعتلال، ولا لخيولِ الشكّ في حلبةِ يقينهِ مجالُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسلهُ آمراً بالمعروف، في حلبةِ يقينهِ مجالُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسلهُ آمراً بالمعروف، وزاجراً عن المَخوفِ، ومُطهّراً مِن الدنس، ومُفسِّراً لما التَبسَ، فأفصحَ بتنزيلهِ، وشرَحَ مُحكمَ تأويلِهِ، وبَيّنَ عن تحريمِه وتحليلهِ، وجاهد في سبيله، مَن صدّ عنِ الإقرارِ بدليله، حتى استقام الناسُ على نهجِ تعدِيلهِ، وتمسّكوا بسننهِ وتمثيلهِ، صلى الله عليهِ وعلى آلهِ صلاةً يُبلّغُهُ بها نهايةَ تأميلهِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أنّى لكم بالقرارِ، وقد أقلقكُمْ جدُّ السِفارِ، وتداعتْ لوطءِ المَنونِ قواعدُ الأعمار، وتساعَتْ في نقضِ مِرَرِكم

صروفُ الليلِ والنهارِ، أفلا حازمٌ ترُدُّهُ إلى المحجَّةِ فِكْرَتُهُ، ألَا عازمٌ تكدُّهُ إلى محلِّ الراحةِ خِبرَتُهُ، ألا لازمٌ شأنَهُ قبلَ أن تلزَمَهُ حُفرته، ألا نادمٌ تمدّهُ بِغُروبِ الدموع عَبرتُهُ، لقد سَخِرَ مِن نفسِه مَن في الحياةِ أطعمَها، وهزِئ بها من آمنها قبلَ أن يعرِف بعد العرضِ على اللهِ موضِعَها، وإنّ امرءاً أطلقَ باللغوِ لِسانَهُ، وأنفقَ في اللّهوِ زَمانَهُ، وأكْذبَ بالظن عِيانَهُ، وملك الحِرصَ عِنانَهُ، لَفي غياطِلِ[1] غفلَةِ مَركومةِ الأرواقِ[2]، وتحتَ غوائلِ نُقلَةِ مزمومةِ النياق، ووارِدُ مناهلِ حسرةٍ مسمومة المَذاق، وطاوي منازلِ رحلةٍ معدومةِ الرّفاقِ.

فلا تجعلوا ـ عبادَ اللهِ ـ أنفسكم الضعيفَةَ لعذابِ الله غَرضاً، فإنكم لا تَجدون أنفُساً غيرها تكونُ لكم منها عِوضاً وكونُوا قوماً دُعُوا فأجابُوا وأُمِروا بالتزوّدِ فأطابو، وأُنذروا المعادَ فأنابوا، وحُذّروا الإيعادَ فلم يرتابوا.

ألا وإنّ الموتَ قد فَغَر لابتلاعِكم فاهُ، وامتدّتْ لقبضِ أرواحِكم يَداه، وأحاطَ بقاصِيكم ودانِيكم رَداه، فلا يُصوِّتُ بأحدٍ منكم إلا كانت نفسُهُ صَداهُ، وكأنْ قد تركَ الديارَ بلاقعَ من عُمّارِها، وسلكَ الوَحشَةَ في نواحيها وأقطارِها، وهتكَ الحلائلَ بعدَ طول استِتارِها، وأحلقَ طِوالَ الأعمارِ بقصارِها، فركبتُم أيّها الناسُ إلى الحُفَر مراكبَ صِعاباً، ونَزلتُم من القصورِ الآهِلةِ منازلَ خراباً، ولقيتُم عندَ الامتحانِ ملائكةَ غِضاباً، ولبِثتُم في الألحاد

(١) جمع غيطلة: وهو الغبار.

(٢) الأرواق: جمع روق وهو طائفة من الليل.

أعواماً وأحقاباً ثم بُعِثتُم للمعادِ فأتيتم أحزاباً، هُنالك يقعُ الحسابُ على ما أحصاهُ اللهُ كتاباً، وتكونُ الأعمالُ المشوبةُ بالنّفاق سراباً، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبإ: ٣٨] ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

أَرْوى اللهُ ببُخورِ الحِكمِ صوادِيَ قُلوبنا، وغطّى بستورِ النعم بَواديَ عيوبِنا وتجاوزَ بعفوهِ عن زلَلِنا وذنوبِنا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❀ ❀ ❀

تصرف الزمان والمعاد

وفيه إحدى عشرة خطبة.

الخطبة الأولى
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ الحكيم فِعلُه، العظيمِ فضلُه، الكريم بَذْلُه، المقيمِ عَدْلُهُ، الذي لا تَخْطرُ كيفيتُهُ ببالٍ، ولا تجري ماهيَّته في مَقال، ولا يدخُلُ في الأمثالِ والأشكالِ، ولا يؤولُ إلى تحويلٍ ولا انتقالٍ، أحمَدُهُ على ما أنطَقَ وألهَم، حَمْداً يقومُ بشكْرٍ ما رزَقَ وأنعَم.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلهاً دلّتْ عليه الألبّاءَ حكمتُه، وجمعَتْ الأحياء نعمتُه، ووسِعَتِ الأشياء رحمتُهُ، وقمعَت الأعداء نِقمتُهُ، لا يشتملُ عليه القياسُ، ولا تصِلُ إليه الحواسُّ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ من أطيبِ العربِ لباباً، وأثقَبَها شِهاباً، وأنجبها عِراباً، وأعذبها خِطاباً، وأمنعِها حِجاباً، وأرحبِها جَناباً، فنهضَ بما حُمّلُ مِنْ الرسالةِ، ونقضَ معالِمَ الكُفرِ والضّلالةِ، ودَحضِ شقاشِقِ[1] الزيغِ والجَهالةِ، ومحضَ النصيحةَ في المقالةِ، حتى تألّق مِصباحُ الدينِ، وأشرقَ

---

(١) الشقاشق: ما يخرجه البعير إذا هاج.

إيضاحُ اليقينِ، وعُبِدَ اللهُ في كلِّ فجٍّ، وجُهرَ باسمهِ في العَجِّ والثجِّ[١]، صلى اللهُ عليه وعلَى آلِهِ وأصحابِهِ، كما هَدانا لذلك وأمرَنا به، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: سافِروا في كَرِّ الجَديدَينِ[٢] بأفكاركم، وتأمّلوا اختلافهما بقلوبكم وأبصاركم، هل ترَوْنَ إلّا معدوماً يوجَد، أو موجوداً يُفقَد، أو آهِلاً يُخرَب، أو حاصِلاً يذهبُ، أو آمناً يُعطَبُ، أو غافلاً يلعِبُ، أو دِياراً مُمْحِلُهُ، أو آثاراً مُشكله، لو وقَفتم في عَرَصاتِها، وأصفْتُم بآياتِها، وأيَّهْتُم بساداتِها[٣]، فسألتُموها عن تصرُّفِ حالاتِها، لأجابتكم اعتباراً، إنْ لم تُجبكم حِواراً، فأنتم هؤلاء أكثرُ من الماضين عدداً، أو أغزرُ مِن الأولين مَداداً، أو أطولُ مِن الذاهبينَ أعماراً، أو أنبلُ من الغابرين أخطاراً، أنّى وأنتم سُؤرُ[٤] النوازلِ، ووَشَلُ الجداولِ[٥]، وحَبُّ رَحا المَنونِ، وبقيّةُ سالفِ القُرون، وفي كل يوم تودّعون ماضياً إلى الآخرةِ لا يَرجِعُ، وتُشيِّعون غادِياً إلى الحافرةِ لا يُزيعُ[٦]،

---

(١) الضَّجّ: الطريق الواسع بين الجبلين، والعجّ: رفع الصوت مرة بعد أخرى. والثج: سيلان الماء والدم؛ وأكثر ما يُستعمل العجّ في أذكار الحج، والثج في الأضاحي.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) أيَّه بالقوم قال لهم: يا أيها القوم، وهو استعمال بليغ هُجرَ اليوم في الخطب والكتب.

(٤) السؤر: بقية الشيء.

(٥) الوشل: الماء القليل يُتحلّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره.

(٦) أربع القوم: أقاموا في المربع عن الارتياد.

وتُرَوَّعون بفاقرةٍ لا تُقلِعُ، وتُزَعزَعون بزاجرةٍ لا تُنجعُ[1]، فما اعتلالُ مَن أوذِنَ بالرحيلِ إنْ قصَّر به زادُ سفَرِه، وما احتيالُ مَن قصَّرَ في العملِ إنْ ضاقَ به الارتيادُ لهجومِ مُحتَضَرِه.

كلّا ليَحْصُدَنّ الزارعُ، ما زرَع، وليزْهَدَنَّ الجامعُ فيما جمَع، وليجدَنّ الصانعُ غِبَّ ما صنع، وليطولَنَّ ندمُ النادمِ إن نَفَعَ، ولتبتلعَنَّ الأرضُ ما عليها، وليرجعَنَّ مَنْ خُلِقَ منها إليها، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واعملوا ليوم تقذِفُ فيه الأرضُ أفلاذ كَبِدِها، وتشقُّ السماءُ بأمرِ سيّدِها، وتَنزَّلُ الملائكةُ لموعِدِها، وتلوذُ الأمّةُ بشفاعةِ محمّدِها، فخابَ وخسرَ مَن حُرِمَ شفاعتَه، وأصاب وظفرَ مَن كانت التقوى بِضاعتَهُ، هنالكَ يكونُ المتواضعُ لله كبيراً، والمتكبِّرُ عليه حقيراً، والمَنْزِلُ جَنّةً أو سعيراً، كان ذلكَ في الكتابِ مسطوراً.

أسْعَفَنا الله وإياكم بتسديده، وأتْحَفنا وإياكم بتُحَف مزيده، وجمّلنا وإياكم بزينةِ توحيدِه، وأدْخَلَنا وإياكم في صالح عبيدِه.

إنّ أفصحَ المقالاتِ بياناً، وأوضحَ الدلالاتِ بُرهاناً، وأمحضَ المواعظِ إدْماناً، كلامُ سيدنا ومولانا. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦].

❀ ❀ ❀

---

(١) أنجع فيه الدواء أثّر، والمعنى: لا يؤثر في دفعها شيء.

الخطبة الثانية
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ الجميلِ سترُه، الجليلِ قدْرُهُ، الوبيلِ مَكرُهُ، المَقبولِ أمْرُه، الذي استوى في علمه الشاهدُ والغائبُ، وجرى بحكَمِهِ النافذُ والآيبُ، فحكَمُه بوحدانيتهِ ناطقَة، ونِعَمِهِ ببريّتِهِ لاحقَةٌ، وأقضيتُه بكلّ كائنٍ سابقة، وعِدَتْهُ بكل بائنٍ صادقَة، أحمدهُ على تيسيرِ نعمَهِ وشمولِها، وأعوذُ به مِن تغييرِها وتحويلِها.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً وطَّدَ الإيمانُ أركانَها، وشَيَّدَ الإيقانُ بُنيانَها، ومهَّدَ الإذعانُ أوطانَها، وأكَّدَ البرهانُ إدْمانَها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولهُ أرسلهُ والكفرُ زاخرٌ تيّارُه ظاهرٌ منارُه قاهرٌ جبَّارُه طائرٌ شرارُه، عامرةٌ ديارُه، متضافِرةٌ أنصارُهُ، فأخرسَ اللهُ بمحمَّدٍ ﷺ شقاشِقَها. وأخنسَ به مُنافقَها، وبوَّأهُ مغالِقَها، وأوطأَهُ مَفارِقَها، وجدَعَ بسلطانهِ معاطِسَها[١]، وقمعَ بأعوانهِ أبالِسَها، وكشفَ بغرَّتِهِ حَنادسَها[٢]،

(١) المعاطس: الأنوف.

(٢) الحنادس: جمع حِندِس بكسر الحاء والدال الليل الشديد الظلمة.

واختطفَ بأسْرَتهِ فوارسَها، حتى أطلعَ الإسلامُ رأسَه، وأوقعَ بأعدائه بأسَه، ومكَّن اللهُ له أساسَه، وسكَّن مِن الخوفِ إيجاسَه.

صلى اللهُ وملائكتُه المقربون عليه، وعلى من نصرهُ وهاجرَ إليه، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ الدنيا محال، يقتضيهِ زوالُ، يقتفيهِ مآلُ، يَحتذيهِ وَبالٌ، أوقاتُها سِهامٌ أنتم أغراضُها، وغاياتُها حِمامٌ مُفْعَمةٌ لكم حِياضُها، وعِداتَها بروقٌ مخلِفٌ إيماضُها، وكرّاتها دفوقٌ مُتْلفٌ مَخاضُها، فما بقاءُ من تَقرضُه الأيامُ قرْضاً وتَرُضَه الأسقامُ رَضاً رضّاً، وتنقضُهُ الآفاتُ نقضاً نقضاً، وتركضُ به الساعاتُ ركضاً ركضاً، حتى يلحقَ الخالفُ بالسالفِ، والتالِدُ بالطارف[1]، والجاهلُ بالعارفِ، والحاصلُ بالتالفِ، ويرثَ الأرضَ وارِثُها، ويبعثَ الخليقةَ باعثها، بصيحةٍ تنشرُ الرُفاتَ، وتحشرُ الأمواتِ، وتجمَع فِرَق الشَّتاتِ، وتُسْمِعُ أهلَ الأرضِ والسمواتِ فيومئذٍ أكدَتِ المطالبُ، وانسدّتِ المذاهبُ، وضاقَتِ الأنفاسُ، ونطقتِ الحواسُّ، وارْتجَّت الأرضُ بما عليها، ونَزَل الملائكةُ إليها، ونادى المُنادي بجمع الخُصومِ، واقتُصَّ منَ الظالم للمَظلومِ، وبُرّزت جهنَّمُ لميقاتِ يومٍ مَعلوم. ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

فيا لهُ مِن موقفٍ ما أكرَبه، ومشهدٍ ما أصعبَه، وطريقٍ ما أشقَّهُ، وصراطٍ ما أدقَّهُ، وكتاب ما أجمعَهُ، وعِقابٍ ما أفظعَهُ، ومقام ما أطولَهُ ويوم ما أثقلَهُ، وحاكم ما أعدلَهُ، وظالمٍ ما أخْذلَهً، وسجنٍ ما أكظَّه، وسجّانٍ ما أفظَّه، لا يرحَمُ مَن بكَى،

(١) التالد: المال القديم الذي وُلد عندك، وهو ضد الطارف.

ولا يسمعُ المُشتكى، قد نَزَع الله الرحمةَ مِن قلبهِ فالويلُ كُلُّ الويلِ لمن كان من حِزْبه.

فبادِروا ـ عبادَ الله ـ فَكاك رُهونِكُم قبلَ أن تَغْلق، وإدراك نُفوسكم قبلَ أنْ تَزْهَق، وشمِّروا للعمل قبلَ أن يقطعَكم الفوْتُ، فما بينَ أحدكم وبينَ معاينةِ هذا الأمرِ العظيمِ إلّا الموتُ.

سلَك اللهُ بنا وبكم سبيلَ السلامة، وبَوّأنا وإيّاكم مَقيلَ الكرامةِ، وتغمَّدَنا وإيّاكم برحمته يومَ القيامةِ، وجمَعنا وإيّاكم مع أوليائهِ في دارِ المُقامةِ.

إنَّ أحسنَ ما أدارتْهُ اللّهواتُ، وأدّتْه إلى الأسماعِ الأدَوات، ورُويتْ به القلوبُ الصادياتُ، كلامُ من لا تُدرِكُهُ الصِّفاتُ. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥] فعسى أن يكون من المفلحين.

❁ ❁ ❁

الخطبة الثالثة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ مُصَوّرِ الأجِنةِ في ظُلَمِ أرحامِها، ومُقدّرِ مُدَدِ آجالِها ومَعلومِ أقسامِها، ومُخرجِها إلى الوجودِ بعدَ إعدامِها، ومُيَسِّرِها لمنافعِها بلطيفِ إلهامِها، وكالِئِها في يَقظتِها ومَنامِها، وبارئِها تَحقيقاً لإظهارِ إكرامِها، ورافِعها على ما خَلقَ بمعارِفها وأفهامِها، ومانعِها أنْ تُحيطَ به خواطرُ أوهامِها، وجاعلِ نقصِها معقوداً بكمالِ تَمامِها، فتباركَ اللهُ الذي بيدِهِ تدبيرُ نقضِها وإبرامِها، أحمَدُه على ما هو أهله، حمداً يَتّصِلُ باتصالِهِ فَضْلُه. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً تُثبِّتُ أركانَ العملِ، وتُثبتُ بُهتانَ العِلَلِ، وتبلِّغُ مَن شهدَ بها نهاياتِ الأمَلِ، وأشهدُ أن محمداً عبدَه ورسولُهُ أرسله عندَ دُثورِ الحقِّ وخُمولِه، وظهورِ الباطلِ وشُمولِهِ، فَشدّ اللهُ بهِ مِنَ الحقِّ قواعدَه، وهَد من الباطلِ أوابِدَه، وظَهرت من الدينِ حقائقُه، وذرّت من اليقينِ شوارِقُه، فأصبحَ الناسُ بعِصَمِ اللهِ لائذينَ وبحرمِهِ عائِذين، وبأوامِرهِ آخذين ولِما نهاهم عنه نابذين؛ صلواتُ اللهِ وملائكتِه المقرَّبين عليه وعلى آله أجمعين، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ الدموعِ نِكاةُ البصَر، والخشوعَ حياةُ الفِكَرِ والتجاربَ مرآةُ العبرِ، والنياربَ آياتُ القدَر، فاستنجدوا من العيونِ دمُوعَها، وشرِّدوا بذِكرِ المَنونِ هجوعَها، وارْأبوا من القلوبِ صدوعَها، وارهبُوا خوضها في الباطلِ ووقوعَها، وذَكِّروها مَردّها إلى الله ورجوعَها، فحقيقٌ بالوجلِ مَن كان الموتُ قاصدَهُ، وجديرٌ بأعمالِ الحِيَلِ مَن كانَ الحَتفُ مُراصِدُهُ وحريٌّ بتصحيحِ العَمَلِ مَن كانَ اللهُ مناقِدَهُ، وقمينٌ بتقصيرِ الأملِ مَن كان الدهرُ مُعانِدَهُ، وأنَّ امرءاً أمَّلَ الثّوابَ بغيرِ عَمَل، وأمِنَ العِقابَ بتسويفِ العِللِ، لَخائضٌ لُجّةَ نَدَامةٍ محرومٍ سالِكُها، وتاركُ محجَّةَ سلامةٍ مذمومٍ تارِكُها.

فيا من أُخرجَ أبوه مِن الجنةِ بذنبٍ واحدٍ بعْدَ أن كانَ لها مالِكاً، كيف تطمعُ في دخولها بذنوبٍ كالجبال لستَ لها تاركاً، فأجِدَّ أيها الغافلُ مَركبك فإنَّ البحرَ عميقٌ، وأعِدَّ أيها الراحلُ زادَكَ فإنّ الطريقَ سحيقٌ، وأخلِصِ العملَ فإنَّ الناقدَ بصيرٌ، وبادِرِ المَهَلَ فإنّ العُمرَ قصيرٌ، ولا تكُنْ ممن يُعمُرُ الدنيا بخرابِ نفسهِ، ويذكُرُ يومَه بنسيانِ أمسِه، فكَأنْ قد أظلَّك من هاذم اللذات، عارضُ فناء وشتاتٍ، فانتزعَ نفسَك التي زعَمْتَ أنّكَ مالكُها، وأخْرجَك مِن دنياك التي لا تظُنُّ أنّك تارِكُها، فغودرتَ في الفلاةِ شلواً مقبوراً، وطال عهدُك فأصبحتَ مجفُواً مهجوراً، تأكُلُ الأرْضُ لحمَكَ كما أكَلْتَ مِن ثمارِها، وتشرَبُ دمَك كما شرِبْتَ مِن أنهارِها، وتسعَى إليك الآفاتُ مِن أقْطارها ويُبيد ذِكرَكَ كُرورُ ليلِها ونهارِها.

فانتبه أيها الراقِدُ مِن وَسَن الطَبَعِ(١)، والتمِسِ الأمان ليوم

(١) الوسَن: النعاس، والطبع، الدنس.

الفزَعِ، وتأَهَّب للمصيرِ إلى دارِ الموتُ بابُها، والجنةُ ثوابُها، والنارُ عِقابُها، وعلى الجبّار حسابُها، وهي كلمحِ البصرِ من اقترابِها، فكفى بِهَا لمن عقلَ واعظاً كَفَى بها.

جعلنا الله وإياكم ممن شكرَ سَعيَه، وعقَلَ عن الله أمره ونهيَه، وكانَ لطاعةِ ربهِ مغتنماً، وبحبلهِ في كلِّ حالٍ معتصِماً.

إنَّ أشرقَ الوعظِ ضوءاً ونُوراً، وأصدق اللفظِ مقروءاً ومزبوراً، كلامُ مَن لم يزَل عفُواً غفوراً. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

❀ ❀ ❀

الخطبة الرابعة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ محلي السماءِ ببديعِ مصابيحِها، ومُحِلِّ الملائكةِ في رفيعِ صفيحِها[1]، ومُغَذِيها بحلاوةِ وترجيع تسبيحِها، الذي شهِدَتْ بتوحيده عجائبُ مصنوعاتِه، ونَطَقتْ بتمجيدِهِ غرائبُ مبتَدَعاتِهِ، وخَمَدَتْ أنوارُ الفِكَرِ دونَ التعلُّق بكُنْهِ ذاتِهِ، وسجَدَتْ له أصنافُ الفِطَرِ إقراراً بمعجزِ آياتِهِ، وسبَّحَ له خلقُه باختلافِ لغاتِه، فسبحانَ مَن لا سميّ له في أرْضِهِ وسماواتِه، أحمَدُهُ وحمدِيهِ مِن فوائِدِه، على ما جَرى بهِ حسنُ عوائِدِه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً باسقة الفُروع، عَذْبَة اليُنبوع، معمورةً بالخُشوعِ، مطمَئناً بها ما تحتَ الضُلوعِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُهُ أرسله مِن أرجحِ العربِ ميزاناً، وأوضحِها بَياناً، وأفصحها لِساناً، وأسمَحِها بناناً،

---

(١) الصفيح: وجه كل شيء عريض، ويطلق على السماء.

(٢) الذِّمام: الحرمة والعهد والذمة.

(٣) الرغام: التراب. وعبَّر به هنا عن نقاء أصله ﷺ.

وأعلاها مَقاماً، وأحلاها كَلاماً، وأوفاها ذِماماً[١]، وأصفاها رَغاماً[٢]، وأمضاها حُساماً، فأوضح الحقيقية، ونصَحَ الخليقةَ، وشَهر الإسلامَ، وكسَر الأصنامَ، وأظهر الأحكامَ، وحظَر الحرامَ، وغَمر بالإنعام، صلى الله عليه وعلى آله في كلِّ محَلٍّ ومقامٍ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: شُدّوا الرحال، فقد قرُبَ الارتحالُ، وأعِدّوا المقال، فقد وَجَب السؤال، وشَيّدوا الأعمال، فقد خَربتِ الآجالُ، ومهّدوا المآل، فقد كذبتِ الآمالُ، والعموا أن للموت رحىً تعرُكُكم بثفالها[٣]، وتُهلِكُكم باغتيالها فلا حذرَ نافعً مِن قدومها، ولا وَزَرَ مانعٌ من هجومها، حتى تُشتّتَ نِظامَ شملِكم كما شتّتتْ من كان من قبلكم، فك قد رأيتم دياراً ارتحلَ عنها بالموت عُمارَها، واستولى على إقبالها إدبارها، فأصبحت مُظلمةً بالنحوسِ أقطارُها، معَلمةً بالعُبوس آثارُها، مُبْهَمَةً على الواقفِ بها أخبَارُها، مهتوكةً بأيدي الحوادثِ أستارها، خرساءَ كأنْ لم يُدعَ لها مُجيبٌ، صمّاء كأنْ لم يُسمَعْ بِها عريب، فهي على عُروشِها خاوِيةٌ، تندُبُها الذِئابُ العاوية، وتخطُبها الأصداء الباكيةُ، فما ترى مِن أعلامها باقية، تحمّل أهلها عنها فرحَلوا، وعلى أعواد المنايا حُمِلوا، وفي محال الرزايا حُصِّلوا، وبِطول البِلى شُغلوا، قد فُصلت أوصالُهم، وتُمُوّلَتْ أمْوالُهم، وكُفِّلت وحُصّلت أعمالُهم، غَيباً كأشهادٍ عُصباً كآحادٍ، هُموداً في ظُلَمِ الألحادِ إلى

---

(١) الثّفال: بالكسر جلد يُبسط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق، والثفال بالضم الحجر الأسفل من الرحى.

يومِ التّنادِ، يومَ المعاد والجمعِ، يومَ حَصادِ الزرْع، يومَ السُؤالِ العَتيدِ يوم الخَجَلِ من التعديد، يومَ يقول اللهُ لجهنّمَ هل امتلأتِ وتقولُ هَل مِنْ مَزيد.

أعاذَنا الله وإياكم لأمره مُتّبعين، وبزَجْرِهِ منتقمين.

إنّ أحسنَ الكلامِ المتّسقِ، وأبينَ النّظامِ المتّفِق، وأرْصَنَ الحديثِ النَسَق، كلامُ مَن خلَق الإنسانَ من عَلَق، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النَّمل: ٥٠-٥٣].

❀ ❀ ❀

الخطبة الخامسة
في تصرف الزمان بأهله والمعاد

الحمدُ للهِ الذي اختارَ البقاءَ لنفسِه وارتضَاه، وقدَّرَ الفناءَ على خَلْقِه فقَضاه، وحَكَمَ فيهم بعدْلِه فأمْضاهُ، ويَسَّر كُلّاً لما خُلِقَ له وأرْضاهُ، فساوَى بالموتِ بينَ القويِّ والضعيف، وجَعَلَ التُّرابَ مالاً للدَنيِّ والشّريفِ، عدْلاً منه سابقاً في أقضيتهِ، ووعداً صادقاً في بَريّته، فهو المحيطُ عِلماً بما يَجهَلون. ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبيَاء: ٢٣] أحمدُه على حُلوِ القضاءِ ومُرّه، وأسألُه التوفيقَ للقيام بشكرِه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً مطهّرةً من النفاقِ، مُدّخرَةً ليوم التلاقِ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسله بكتاب مُضيٍّ، وخُلق رضيّ، ولسانٍ عربيّ، وجنانٍ أبيّ، فدعا إلى الدينِ الحَنَفيّ، وكان لمن اتّبعه كالوالِدِ الحَفِيّ، ولمن دَفعهُ قامعاً بالمشرَفي، حَتّى مكّنه الله له بلطفه الخفيّ، وحقّق له إنجازَ وعْدِه الوفيّ، صلى الله عليه وعلى آله أكرمِ آلِ لأكرمِ صفيّ. وسلّم تسليماً.

أيها الناس: البَسُوا للدنيا جُنَنَ الاجتنابِ، واسلكوا فيها سبيلَ أُولي الألباب، فقد صَرَّحَتْ لكم بعبرها فما كَنَتْ، ولَوّحَت

إليكم بغيرها فما وَنَتْ، وأرَتْكُم مِنَ فتكها بالأمم من قبلكم ولْثاً وأنموذجاً[١] يدلّكم على فِعلها بكم، فاكتُفوا فيها بالعيانِ مِن الأثر، وكونوا مِن تمويبها على أشَدّ الحَذر، واجعلوا سِير الأولين فيها أسْمارَكم[٢]، وأجيلوا فيما صنَع الدهرُ بهم أفكارَكم.

أين أهلُ المعاقلِ المَنِيعةِ، والمنازلِ الرفيعة، والأبنيةِ العَجيبةِ، والأقنيةِ الرّحيبةِ، والوجوهِ المُنعّمَةِ، والمحالِّ المعظّمة، أين مَن أطالَ الأمَل، واستعْذَب المَهَل، وأرجأ العمل، واستكثر العبيدَ والخَوَل[٣]، أين المحجوبُ المُمَنّع، وأين المَهيبُ المُمَتَّعُ، وأين الذكيُّ الأرْوعَ، وأين الفصيحُ المِصْقعُ[٤]، أين مَن كان فيه مَنظَرٌ ومَسْمَعٌ، وخلالُ الشرفِ أجمعُ، مَطَرتَهم والله مِن الشَّتاتِ سُحُبٌ هُمّع[٥]، وحامَتْ عليهم من الآفاتِ طَيرٌ وُقّع، وعَصَفت بهم من المماتِ ريحٌ زَعْزَعٌ، وابتلعتهم القلاةُ البَلقَع[٦]، فهُم تحتَ كلاكلِ[٧] الدهرِ هُمودٌ خُشَّعْ، لا يُطيفُ بهم أملٌ ولا مَطْمَعَ، قد أصبحوا سِيراً في السلف، وعِبراً للخَلَف، محَتِ الحوادثُ مَسطورَ نِعَمِهِم، وَطَوتِ المنونُ منشور هِممهم فديارُهم موحِشةُ العرصاتِ، وأبْشارُهم[٨] نَهبُ وقائِع الآفاتِ، وآثارُهم وَقْفٌ على الحَسَرات،

---

(١) الولث: الأثر اليسير.

(٢) من المسامرة وهي الحديث بالليل.

(٣) الخَول: حشم الرجل، واحدة خائل، ويطلق على العبد والأمة.

(٤) المصقع: بكسر الميم البليغ.

(٥) جمع هامع أي ماطر.

(٦) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء فيها.

(٧) الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر.

(٨) الأبشار: جمع بشر وهو ظاهر جلد الإنسان.

وتَذكارُهم يواصِلُ مُسْبلَ العَبراتِ، فهل من مُعتبرٍ غان بالمشاهدَةِ عن الأخبارِ، أو مُفْتكرٍ في سوء عواقبلِ هذه الدار، قبْلَ أنْ يكونَ الناظرُ منظوراً، والقابرُ مقبوراً، والحَبْرَةُ عَبرة[١]، والنظرةُ حَسْرة، والمعتبِر عِبْرة، والمتفكّر فِكرة، قبل أفولِ النَّسَم، وحلولِ الرّجَم[٢]، وكُسوفِ النِعَم وجفوفِ القَلم، قبلَ علوّ الصدْر، ودنوِّ الأمر، وانتفاخِ السَحْر[٣]، وانزعاجِ السَقر لتلقاء يوم الحَشْر، فيومئذٍ لآمالٌ ينفَع ولا مآلٌ يَمْنَع، ولا حالٌ تدفَعُ، ولا مقالٌ يُسمَعُ، أُحضِروا مواقفَ القيامةِ قسراً، وأُنشروا من الأجداثِ عُراةً غُبراً، وجَثَوا على الرُّكَبِ ينتظرون أمراً، لا يهتدون سبيلاً ولا يقيمون عُذراً، قد شَمِلتهم الحَيرة فما تعرف نفسٌ نفساً، وخَشَعتِ الأصواتُ للرحمنِ فَلا تسمَعُ إلا همساً.

أعاننا الله وإيّاكم على أهوال ذلك اليوم، وأعاذَنا وإياكم من خجلِ التوبيخ واللّومِ.

إنّ أنورَ النظام تأليفاً، وأكثر الكلام ترغيباً وتخويفاً، كلامُ من لم يَزل بَراً لطيفاً، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدّخان: ٢٥-٢٩].

---

(١) الحبرة والحبور السرور.

(٢) الرجم: يُطلق على القبر وعلى الحجارة، وسُمّي القبر به لما يُجمع عليه من الأحجار.

(٣) السحر: الرئة أو الصدر، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ ورأسُه بين سحري ونحري.

الخطبة السادسة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الأرضَ لِما ذرأَ مِهاداً، وأرسى فيها مِن الجبالِ أوتاداً، وبنى فوقَها سَبعاً شِداداً، وجعلها للأنامِ مبدأً ومَعاداً، أحمدهُ حمداً يثرُّ[١] به ينبوعُ الإفضالِ، ويدرّ لهُ هموعُ النوالِ، ويتسدَّدُ فيه طريقُ المقالِ، وَيتجدّدُ معه التوفيقُ في كلِّ حال.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أبرمَ الأيمانُ سَبَبها، وأحكَمَ الأيقانُ طُنُبها[٢]، وهذّبَ البرهانُ مَذهبَها، وأعذبَ الرحمن مشربَها، وأشهدُ أن محمداً عبدَه ورسولُه، أرسله والكفرُ طام عُبابه[٣]، هام رَبابُه[٤] حام شهابُه سام[٥] ضبابُه، قد كفر[٦] الحقَّ جِلبابُه، وبهرَ الخلق عُجابُه، وسترَ الأفقَ حجابه فلم

---

(١) ثَرَّتْ العين غزر ماؤها وكثر، وعين ثَرَّةٌ كثيرة الماء.

(٢) الطُنُب: بضمتين حبل الخباء.

(٣) طما الماءُ فهو طامٍ إذا ارتفع وملأ النهر، والعُباب: كغُراب، كثرة السيل وارتفاعه.

(٤) همى الماءُ والدّمع أي سلك فهو هامٍ، والرّباب: السحاب.

(٥) من السمو وهو العلو.

(٦) أي ستر.

يزل صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ مُضطلعاً بالإبلاغ، قامِعاً كلّ باغ، مُرشداً أهلَ الارتياب، مؤيّداً بفصلِ الخطابُ، حتى قرَّ نافرٌ[١]، وكرّ ناصِرٌ، وبرّ فاجرٌ، وفرّ كافرٌ، وتمزّقَ غسَقُ البهتانِ[٢]، وتألّقَ فلَقُ الإيمان، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ ما تناوحَ صُدان[٣]، وما اختلفَ الجديدان[٤]، صلاةً ناميةً في كلِّ حينٍ وأوانٍ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: استقيموا على سننِ اليقين، واستديموا رضى ربّكم بتقواهُ في كلّ حين، واحذروا الدنيا فإنها دارُ ظمنٍ لا شكَّ فيها، وقرارُ حَزَنٍ لمصطفيها، ومدارُ محَنٍ جامعةٍ على مُقتفيها، ومَحارُ فتنٍ واقعةٍ بمعتفيها[٥]، ومتجرُ أرباحٍ لعارفيها، ومصدرُ فلاحٍ لعائفيها، مَنْ ذا وثقَ بها فلم تخنهُ، أم مَن ذا اعتزَّ بها فلم تُهِنْهُ، بقاؤُها معدوم، وفَناؤها محتوم، وسائِلها محروم، ونائلُها مسمومٌ، قد حلَّتْ مِن الأممِ قبلكم عِقَدَ النظام، وسَلَّتْ عليهم سيوفَ الانتقام، وطَحَنتهم بِرحى الأقدام، وأسْكَنَتْهم تحتَ الرّجام[٦]، فصبُ معاقِلِهم سهلُ المرامِ، ورَحْبُ منازِلِهم مُوحشُ

---

(١) من النفور.

(٢) الغسق: ظلمة الليل.

(٣) صُدان: تثنية صد، بالفتح والضم، الجبل وناحية الوادي وتناوح الجبلان تناوحا تقابلا.

(٤) الجديدان: الليل والنهار.

(٥) المعتفي: الطالب المعروف.

(٦) الرجام: الحجارة الضِّخام دون الرضام، والرضام صخور عظيمة يوضع بعضها فوق بعض في الأبنية.

الأعلامِ، وآثارِهِم عِبرةٌ للأنام، وديارُهم مُخبِرَةٌ بغيرِ كلامٍ، مُعربةٌ بألسُنِ الأيام، مُغْريةٌ بمحَنِ الأحكام، مُبْهَمةٌ لتكرارِ الأعوامِ، مُعجَمَةٌ بآثار الحِمام[1]، أزعجَ أهلَها السكونُ عن القرارِ، وأخرجَهم المَنونُ مِن الديارِ، فهُم في الفِكرِ موجودونَ، وفي الصوَرِ مفقودون قد كُوشفوا بما اقتلفوا، ووُقفوا فاعْتَرَفوا وأسِفوا على ما طفّقوا، ووُفّوا ما أسْلفوا، فيا معشَرَ مَنِ الموتُ سبيلُه، والقبرُ كفيلُه، وإلى القيامةِ تحويلُه، وفي النارِ إن حُرِم الجنّةَ مَقيلُهُ، ما الانتظارُ بطولِ الغفلةِ عما أنتم إليه موجِفونَ، وما الاعتذارُ عندَ التقريرِ بما أنتم به مُعترفون.

كلّا لتعضّنّ الأناملُ على التقصير أسفا، وليُفَضَّنّ الكتابُ عما لا تجدونَ عنه مُنصرفاً، يومَ عَطَشِ الأكبادِ وذُبولِ الشفاهِ، يومَ نُطْقِ الجوارحِ وختْم الأفواه، يوم يُعْرَفُ المجرمونَ بوشم الجباهِ، يومَ لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يومئذٍ للهِ.

أحيا اللهُ قلوبنا وقلوبَكم بودائعِ الإخلاصِ، ووفّقنا وإياكم لمشارعِ الخلاصِ، وتحمّلَ عنا وعنكم الظُّلماتِ يومَ القِصاصِ. إن أهدى ما سُلكَ سبيلُه، وأبدى ما اتضحَ دليله، كلامُ مَن القرآن قيلُه، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦].

❀ ❀ ❀

---

(١) الحِمام: بالكسر الموت.

الخطبة السابعة
في تصريف الزمان والمعاد

الحمدُ لله مسخِّرِ الكواكِبِ جاريةً في بُروجِ أفلاكِها، ومطهِّرِ السمواتِ بقُدس تسبيح أملاكِها، ومُيسِّرِ أنفُسِ المُطيعينَ للسّعي في فَكاكِها ومُنظرِ كافةِ المضيّعين حِلْماً وثقةً بإدراكِها، أحمدُه على خوالي نِعم خَوَّلها، وتوالي قِسَمِ أكْمَلها، وملابسِ آلاء خلعَها، ومعاطسِ أعداء جدَعها، حمداً يكونُ إليه واصلاً وبما وعدَ عليه كافلاً.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً تألّقُ في القلب كوكبُها، وتعلّقَ بالربِّ سَبيلُها، وأشهد أن محمداً عبدَه ورسولُه أرسَله للرسلِ عاقِباً، وللمِللِ غالباً، وبالحقوقِ طالباً، وعن الفُسوقِ ناكِباً، فلمْ يَزَلْ ﷺ لأمته ناصحاً، وعن أُسْرتهِ مُكافحاً، حتى أظهرَ كعْبَه، وسَرَّ قلبَهُ، وكَثُرَ صحبَه، ونصَرَ حِزْبَهُ، وآثَرَ قُربهُ، ثمّ قضى بعد ذلك نحبَهُ، صلى الله عليه وعلى آله ومن اتّبعه واعتقدَ حُبّه. وسلّم تسليماً.

أيها الناس: الزمُوا التقوى يَلزمْكمْ وَقارُها، واحتُموا الدنيا

يحتِمكُم صغارُها[١]، وأُمّوا سُبُلَ الهُدى فقد وَضحَ لكم مَنارُها، وحَرِّموا ظَهْرَ المُنَى فقد جَدّ بِكُم عِثارُها، وانظرُوا بعيون الهِمم، في مصارعِ الأمَمِ، الذين فَوّقَهم[٢] الزمان دَرّهُ، وجنَّبهم الحَدثانُ كَرّهُ، فعَمروا الدنيا عِمارَة آمِنٍ مِن غَدرِها، ونفَذَ أمرُهُم في بَرِّها وبحرِها، حتى إذا اقتعدوا منها مقاعدَ الشرفِ، وتمهّدوا فيها مماهدَ اللطفِ[٣]، وصَدّقوا كواذِبَ أمانيها، ولم يرمُقُوا المعاطبَ في طيّها ونواحيها، قَلبَتْ لهم عينَ فُارتها أُجاجاً، وأمَرَّتهم على آفاتها أفواجاً، أخرَستْ ديارَهم بعدَ إفصاحِها، وطمَستْ آثارَهم بعدَ اتضاحِها، أخلقْتهم بروقَ الموعدِ، وأحلفتْهُم فُتوقَ الرواعدِ[٤]، عَثَروا فقالَ لهمُ الدهرُ لالعاً[٥]، وسُقوا كأسَ الحمامَ فبادُوا معاً.

فيا أيّها الحُلّالُ منازلَ الراحلين، والوُرّادُ مناهلَ الأوّلين، لقد هَتَفَ بكم هادمُ اللّذاتِ فأسْمعَ، وجادَكم عارضُ الشَّتاتِ فما أقلَعَ، وأثْخَنَ فيكم أسيفُ المماتِ فأوْجعَ، وسعى إليكم فيْلَقُ الآفات فأسْرَعَ، وأنتم مغترون بغمائمِ الآمالِ، الساترةِ بينكم وبينَ

(١) لعل المعنى: فارقوا الدنيا يفارقكم صغارها، ومنه سمي الغراب الأسود حاتماً لأنه يحتم بالفراق إذا نعب أي يحكم. والله أعلم. انظر لسان العرب مادة (حتم).

(٢) فوّقه اللبن تفويقا سقاه إياه شيئا فشيئاً.

(٣) اللَّطف: بوزن سبب، ما أتحفت به أخاك ليعرق.

(٤) فتوق: جمع فتق وهو الخلل في الشيء، والرواعد جمع راعدة وهي السحابة ذات الوعد.

(٥) لعاً: كلمة يُدعى بها للعاثر، ومعناها: سلمت، فإذا أريد الدعاء عليه قيل: لالَعاً.

حوائمِ الآجالِ، حتى كأنّ الموتَ على غَيركم كُتِبَ، أو كأنّ الحقَّ على سِواكُم وجَبَ، وأعْجِبْ بها غفلةً شامِلة، ونُقلةً عاجلة، وأُمنيةً خائنةً، ومَنِيّةً حائنةً(١).

لقد أنذرتكُمُ الأيامُ هجومَها، وأرَتْكم في غَيرتكم محتومَها، فبادِروا عبادَ اللهِ وأبوابُ العملِ مفتوحةٌ، وفي ساحاتِ المَهلِ مَنْدوحَةٌ، قبلَ قَطْعِ الوتينِ، ورَجْعِ الأنينِ، ورَشْحِ الجبينِ، ومعاينةِ المُسَلَّطِ الأمينِ، قبلَ سَفَهِ الحليم، ووَلَهِ اليتيم، وعويلِ الحريم، لنزولِ الأمرِ العظيمِ قبلَ أوانِ الغَيبةِ وهَوانِ الشَيْبَةِ، وانخراقِ الهَيبةِ، واستحقاقِ دارِ الخَيْبةِ، فيومئذٍ تنفَطْرُ القلوبُ منَ الإملاقِ إشفاقاً، وتصيرُ الذنوبُ في الأعناقِ أطواقاً، وتتعذّرُ الأنسابُ فلا يَعرِفُ والدٌ وَلداً، ويُحرِّرُ الحِسابُ فلا يظلِمُ ربُّكَ أحداً.

فتَح اللهُ لنا ولكم أقفالَ القلوبِ، وأنْجحَ لنا ولكمْ السُّؤالَ في المطلوبِ، وجعلنا وإياكم بزواجرهِ أيقاظاً، ولنواهيهِ وأوامرِهِ حُفاظاً.

إنّ أحسنَ الكلام أثراً، وأبينَ النظام عِبراً، كلامُ مَن خلق مِن الماء بشراً، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١].

❀ ❀ ❀

(١) المنيّة: الموت، وحائنة مِن حان الأمر إذا جاء حينُه.

الخطبة الثامنة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ ناقضِ عزائِم المخلوقينَ بإبرامِ عَزْمِه، وقابضِ خزائِم[١] أنفسِ الآبقينَ لإلزامِ حُكْمِهِ، وحالّ عُقَدِ الشبُهاتِ عن بصائرِ أهلِ وُدِّهِ، وقالّ عُدَدِ ذَوي الرغباتِ عن محجّةِ قصْدِه، أحمدُه حمداً يستوجبُهُ فضلُهُ، وأعلم أن اختلافَ مقاديره عَدلُهُ. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً أُجِدّدُ بها في كلّ مقام مُقالاً، وأُمَجِّدُ بها ذا الجلالِ والإكرام تعالى. وأشْهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسله والحقّ خافيةٌ صُواهُ[٢]، واهيةٌ قواه، حلّ حرَمُه، قلّ عِصَمُهُ، طامِسةٌ أعلامُه، دارسةٌ أحكامُهُ، منكورةٌ أيامه مبتورةٌ أوذامُه[٣]، فأقدم صلى الله عليه على إظهارِه ونُصرتِهِ،

(١) خزائم: جمع خِزامة بالكسر، وهي حلقة من شعر تُجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام.

(٢) الصُّوى: الأعلام من الحجارة، الواحدة صوَّة مثل قوّة.

(٣) أوذام: جمع وَذَمة، يقال: أوذم الهديَ، إذا علّق عليه سيراً أو شيئاً يُعلَّم به فلا يُعرضَ له، ومنه قيل لسُيور الدلو - التي بين آذانه - وذم/ .انظر لسان العرب مادة (وذم)./

وأعلَمَ في أنصارِه وأُسرَتِهِ، وناصَحَ الله في تشييدِ مِلّتِهِ، وكافحَ أعداءَه على الإقرار بوحدانيتهِ، حتى دَكَّ رَعانَ البُهتانِ فأصْحرَها، وفَكَّ أركانَ الطُغيانِ فَدمَّرَها، وأطْلَعَ شمسَ اليقينِ ونَدَبَ إليها، وشرَعَ شرائعَ الدين فأوضحَها لَدَيْها، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً يسوقُ ثوابُه بين يديها، ويؤمِنُ عقابُه من أمّن من العالمين عليها، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أسيموا القلوبَ في رِياضِ الحِكَمِ وأديموا النّحيبَ على ابْيضاضِ اللِمَمِ، وأطيلُوا الاعتبارَ بانتقاضِ النِعَمِ وأجيلوا الأفكارَ في انقراضِ الأُمَم، الذين كانوا مِن قبلكم في الأرضِ قاطنين، وعلى مِهادِ الخَفْضِ[١] مستوطنين، وبعهودِ الأيامِ واثِقينَ، وإلى غاياتِ الأمانيِّ سابقينَ، ممّن تبوّأ عُرعُرَةَ[٢] دَهْرٍ أصبحتم بحضيضِهِ، وتملأَ صفْوَ زمانٍ جارَ عليكم بِقروضِهِ[٣]، حتى إذا استحكمتْ فيهم طَماعِيةُ التخليدِ، واستولَتْ عليهم رَفاهيَةُ التمهيدِ، وقادوا الخليقةَ بأزمّةِ الرَّغَبِ والرَّهَبِ، وسارَتْ بهمُ الدنيا مَسيرَ التقريبِ والخَببِ[٤]، وعَموا عن مناصبِ أشراكِ جدّها في مراعي اللّعِبِ، ولَهوا عما يَدُلُّ عليه الاعتبارُ فيها من سوء المنقلَبِ، رَغا في وَسَطِ ديارِهم سَقْبُ[٥] العَطَبِ، وأعْدى فيهمُ

(١) الخفض من العيش السعة فيه والراحة.

(٢) عُرعرة الجبل وأنفه أعلاه، يقال: نزل العدوّ بعرعرة الجبل ولهذه بحضيضه أي نزلوا في أعلاه ونحن في أسفله.

(٣) جمع قرض، وهو ما أسلف المرء من إساءة وإحسان.

(٤) التقريب والخبب نوعان من السير.

(٥) السّقَبُ ولد الناقة.

الهلاكُ إعْداءَ الجَرَبِ، وأوقعت بهم المَنونُ إيقاعَ الغَضبِ، وأدّتْ إليكم الأيامُ مِنْ إخبارِهم أنواعَ العجَبِ، سَحَبت عليهم الهوجُ أذيالَ نقائِمها، وحلبَتْ عليهم المَنونُ سِجالَ غمائِمها، فأضْحَوا رَهينَ أجداثٍ مُوصدَة، وودائعَ قُبورٍ مُلحَدةٍ، ذَهَبوا فلم يُرجعوا، ونُدبوا فلم يَسمعوا، وأُزعِجوا فلم يَمنعوا، واسْتُضيموا فلم يْدفعوا، أتراهم رَضوا بدارِ الغُربةِ داراً، أم آثروا قرارَ الوحشةِ قراراً، لا واللهِ ما اختاروا فُرقةَ الأحبابِ، والكونَ تحتَ أطباقِ التُّرابِ، ولكنْ صالَ عليهم القضاءُ فأطْرقوا، وطالَ بهم العفاءُ[١] فأخلقوا، واتفّقتْ عليم الحادثاتُ فافترُقوا، وأعْنقَتْ إليهمُ المَثلاثُ فتمزّقوا، فليت شِعري ماذا قيلَ لهم وما لَقُوا، أسَعِدوا بمكتَسبِهم في الآخرةِ أم شقُوا.

فهلمّ ـ عبادَ اللهِ ـ إلى محاسبةِ النّفوسِ قبلَ مواثبةِ النُّحوسِ ومقارنةِ الرُّموس[٢]، ومُعاينةِ اليوم العَبوسِ، يومَ غَضِّ الرؤوسِ، وفضِّ الطُّروسِ[٣]، والفحصِ عن المحسوسِ والملموسِ، بين يدي الملكِ القُدّوسِ. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمّل: ١٤]، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢].

---

(١) العفاء مصدر عفت الدار درست، ويكون بمعنى التراب، ومنه: إذا حظيت بإخوان الصفاء على الدنيا الوفاء.

(٢) الرمس: القبر.

(٣) الطرس: الكتاب.

طبّبنا الله وإياكم بطِبِّ كتابهِ، وأدَّبنا وإياكم بآدابهِ، ووفَّقنا وإياكم للأخْذِ بصوابه، ووفّقنا وإياكم عندما أمرَنا به.

إنّ أولى ما اهتديتُم بإرشادِهِ، وأحقَّ ما صدّقتُمْ بوعده وإيعادِهِ، كلامُ مَن جعلكم مِن خيرِ عبادِه. ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

❀ ❀ ❀

الخطبة التاسعة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ للهِ قاصِمِ الملوكِ والجبابرَة، وهادمِ المعاقلِ والحصونِ العامرة، ومُعَفّى رسومِها بالرياحِ الساقيةِ والسُّحبِ الماطرةِ، ورادِّ جميعِ الخلائقِ إذا شاء في الحافرةِ، أحمدُهُ والحمدُ له فريضة، حمداً تنقهُ به الأفئدةُ المريضةُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له شهادةَ مَن صدعَ بالتوحيدِ لِسانُه، ونزَعَ عن التقليدِ جَنانُهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلَه حين اصطخَبتْ مِنَ الكفرِ أو أذيّ(١) أبحُره، وخطَبَتْ مِنَ الباطلِ مَكاكيُّ أعصُرِهِ(٢)، وضَرَبَت على النفوسِ أرواقُ عثيره(٣)، وخلبتِ حبّاتِ القلوبِ أغاريدُ مِزْهَرة(٤)، فأشادَ بكلمةِ الإخلاصِ في أسودِ الخلقِ وأحمَرِهِ، وأبادَ كُلّ عاصٍ بسيفِ حَيْدَرِهِ، حتى أُنشرَ مِن الدينِ هامِدُ مُقْبَرِهِ، وأسفَرَ مِنَ اليقينِ لألاءُ

---

(١) الأواذيّ، جمع آذيّ وهو موج البحر.

(٢) المكاكيّ جمع مكّاء بوزن رمان، طائر أبيض له مكاءٌ أي صفير.

(٣) العِثير: الغبار.

(٤) المِزهر: من آلات الملاهي، وخَلَبَهُ من باب (كتب) أي خدعه بلسانه.

جَوْهَرِهِ، وصالَ معروفُ الشرعِ بأبطالِ مُنْكَرِهِ، وعُبِدَ اللهُ بمُعلَنِ الحقِّ ومُظهَرِهِ، وحُجّ بيتُ اللهِ بمقلَّدِ الهَدْيِ ومُشْعرِهِ، ثم توفاه اللهُ عند استكمالِ مدّتِهِ وانقضاءِ عُمرِهِ، وجعلَ روضةً من رياضِ الجنّةِ بينَ قبرِهِ ومِنْبَرِهِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ صلاةً يُصْدِرُهُم بها رواء مِنْ كوثَرِهِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: حَصْحَصَ الحقُّ فما مِنَ الحقّ مناصٌ، وأُشخصَ الخلقُ فليسَ لأحدٍ مِنَ الخلقِ خَلاصٌ، وأنتم على ما يُباعدُكم مِنَ أللهِ حِراصٌ، ولكم على مواردِ الهلكةِ اغتصاصٌ[1]، وفيكم عن مقاصدِ البركةِ انتكاصٌ، كأنْ ليس أمامكم جزاء ولا قِصاصٌ ولجوارح الموتِ في وَحْشِ نفوسكم اقتناصٌ، ليس بها عليها تأب ولا اعتياصٌ[2]، أفما في فتكِ الأيام عن سَلَف، عظةٌ شافيةٌ لمنْ خَلف.

ألا فقِفُوا على ديارِ الهالكينَ، واسْتخبروها عنهم إن كُنتم شاكينَ، ونادُوا في أقطارِ الرُّبوعِ الهامِدَةِ وآثارِ الجُموعِ البائِدَةِ، يا منازلَ الأُمم الخاليةِ، ومعاقلَ أُولي الهممِ العاليةِ، ما فعلَ سُكانُكِ الأوّلونَ، وأينَ حلَّ قُطّانُكِ المتحمّلونَ، فسيُجيبكم صُماتُها عبرَة، وترجعُ القولَ إليكم آياتُها فِكْرَة، أنّ القومَ عَمَروا البلادَ فشادُوا، وقهروا العبادَ فسادُوا، وجيَّشوا الجُيوشَ فقادوا، وسَمحُوا بالأموالِ فَجادوا، واصطلمُوا[3] بالنّكال مَن عادَوا وكادوا، ثمّ

---

(١) المراد هنا الازدحام.

(٢) التأبي الامتناع، والاعتياص الصعوبة.

(٣) اصطلم الشيء استأصله قطعاً.

قيدوا بخُطمِ الحِمام فانقادُوا، وجيدُوا بشآبيبِ[1] الانتقام فبَادُوا، وهَدَمَتْ صروفُ الأيام ما شادُوا، وسَلَبَتهُم يدُ الدهرِ ما أفادُوا، ولم يَبْلُغوا مِن الدنيا ما أرادُوا، فهم صَرعى بأنواعِ المثَلاتِ، هَلكى في بقاعِ الفَلَوات، لو كَشفَ لكم الغِطَا عن مَصائرهم وما حلَّ بهم، لنزّهتمُ النفوسَ مِن حُطامِ مُكتسبِهِم، ولصَرَفْتُمُ الجوارحَ عن سلوكِ مذهبهم، ولبَكيتمُ الدماءَ إشفاقاً مِن سوءِ مُنْقلبهم، لكن سَترهم عنكم حجابُ الغفلةِ، وأنساكموهُم استعذابُ المهلةِ، ولم يخطُر ببالِكُمْ اقترابُ النُّقلةِ، ولا سَنحَ لآمالكم انقضابُ الوُصلةِ.

فاهجُروا ـ رحمكم اللهُ ـ وَثيرَ[2] المراقد، وادّخروا طيّبَ المكتسبِ تخلُصُوا من انتقادِ الناقِدِ، واغتنموا فُسحةَ المهَلِ قبل انسدادِ المقاصدِ، واقتحِموا سبيلَ الآخرةِ على قلّةِ المرافق والمُساعدِ، فإنّ الأيامَ تجدُّ بِكُم وأنتم تُلعَبون، وسُبُلَ النجاةِ دراسةٌ، فأين تذهَبونَ، وقد أظلَّكُمُ الرحيلُ أفلَا تتَأهبونَ كأنّ السامعين منكم بهذا الحديثِ مكذِّبونَ، أتراهم لا يعلمون أيّ مركبٍ غداً يركبُون، أم لا يدرُون أيّ كأسٍ من الموتِ يشربون. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٠].

أعزّنا اللهُ وإياكم بطاعتهِ، ولا أذلّنا وإياكم بتركِ أمرهِ وإضاعتِهِ، وأعانَنا وإياكم على أهْوالِ الموتِ وفَظاعَتِه.

إنّ أوضحَ الوعظِ منهاجاً، وأفصحَ اللفظِ ازدِواجاً، كلامُ مَن

---

(١) الشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

(٢) الفراش الوثير: الغليظ اللين.

جعلَ البحرينِ فُراتاً وأُجاجاً، ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

❀ ❀ ❀

الخطبة العاشرة
في تصرف الزمان والمعاد

الحمدُ لله الذي لا تُفصحُ بماهيّتِه العباراتُ، ولا تلوّح بكيفيّتِهِ الإشاراتُ، ولا تَدلُّ على أيْنيّتِه الأماراتُ، ولا تكشفُ حِجابَ لاهوتيتهِ الأمثالُ المستعاراتُ، أحمَدُه حمدَ من أُوزِعَ الشكْرَ قلبُهُ، وعلِم أنّ الموَفّقَ لذلكَ ربُّهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ مَنْ وضَعَ رداءَ الكبرِ عن مِنكَبِهِ، وصَدَعَ بالتوحيدِ في نَثْرِه وخُطبِهِ، وآمنَ باللهِ وملائكتِه ورسلِه وكُتبِه، وصدَّقَ محمداً صلى الله عليهِ فيما جاءَ به وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولُهُ أرسله حينَ صرَّتِ من الكفرِ جَنادبُه[1]، وذرَّتْ بالغدرِ كواكبُه، وكَرَّت في الآفاقِ كتائبُه، وهرّت بالشِقاقِ ثعالِبُه[2]، ودرَّت بالملحِ الزعاقِ سحائبُهُ، وازبأرّت[3] في قلوبِ أهل النفاقِ عقارِبُه، فأطفأَ اللهُ بهِ شُواظَ

---

(١) جنادب: جمع جندب وهو ضرب من الجراد، وصرَّ الجندب صريراً صوَّت.

(٢) هرير الكلب صوته دون نباحه من قلّة صبره على البرد، والتعبير فيه كناية.

(٣) ازبأرّ الرجل تهيأ للشر.

الحروبِ، وألان بهِ فِظاظَ القلوبِ، حتى فشا الإيمانُ إسراراً وإعلاناً، وأصبحَ أهله بنعمةِ اللهِ إخواناً صلى الله عليهِ وعلى آلهِ صلاةً يُتبعُها رَوحاً وريحاناً ومغفرةً ورضواناً، كما أمرنا بذلكَ وأوصانا، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ الدنيا متاعُ، مُقامُكم فيها اطّلاعٌ، ووصلُها لكم انقطاعٌ، وارتفاعُها بكم اتّضاعٌ، تحلّى مذاقةَ ما تُمِرُّ خِتامُهُ، وتُصبي بالرّضاع مَن تُسرُّ فِطامَه، وتُظْهِرُ مصافاةَ مَن تُضْمِرُ حِمامَه[1]، وتختِلُ[2] بالصّغارِ من تَظهِرُ إكرامَهُ، وما نالَ أحدٌ رغَدَ مراعيها، إلا مِن بينِ أنيابِ أفاعيها، ولا ثُوّبَ بالسرورِ داعيها، إلا أجابه بالثّبورِ ناعِيها، قد أوردَتْ ابناها شَرّ المواردِ، وأرصَدت لهم آفاتها بكلِّ المقاصدِ، تخزُّهم أيامُها حَزَّ المبارِدِ، وتشوبُ لهم صفوَ الحياةِ بسُمِّ الأساوِدِ[3].

فرحمَ الله امرأ لحِظَها لحظَ المُعرضِ الصادِفِ، ولفَظَها لفْظَ المبغضِ العائِف[4]، فإنّها دارٌ أُولِعَتْ بشِتاتِ القُرَناء، وأُودِعَتْ مَنيّاتِ الآباءِ والأبناءِ، لها مِن الموتِ يدٌ غالبةٌ لا تُطاوَلُ، وقدرةٌ غاصِبةٌ لا تُصاوِلُ، وعينٌ مراقِبةٌ لا تُخاتَلُ، ورسُلٌ مطالِبةٌ لا تُماطَلُ، وسهامٌ صائبةٌ لا تُناضَلُ، وأحكامٌ واجبةٌ لا تُقابَلُ.

ألا فأسْرِحوا الأبصارَ في آثارِ معارِكها، واقْدَحوا الأفكارِ

---

(١) الحِمام: الموت.

(٢) تختل: تخدع.

(٣) الأساود: جمع أسود وهو من أسماء الحية.

(٤) العائف: الكاره.

بتِذْكارِ مُلوكها ومَمالِكِها، تُنزلُكُم ظُلَمَ أقطارِ مَسالِكها، وتُسْعِدُكم الدموعُ بمدرارِ سوافِكِها، وتُخبرْكم الديارُ بمصارعِ أقوامِها، وتَشهدُ عندكُمُ الأثارُ بقوارعِ أيامها، وترجعُ إليكمُ القولَ لو أفصَحَتْ بكلامِها، أنّ الحوادثَ أعنقَتْ على أهلها بأحكامِها، وأزعَجتِ الملوكَ عن نعمِها بإرغامَها، ومَعَكَتْهم بزلازِل أقدامِها، وطَحَنتْهُم بكلاكلِ[1] انتقامِها، وغيّبتهُم في وِهادِ الأرضِ وأكامِها، فتلكَ منازلُهُم باديةَ أعلامُها، خاطبةً على أَطلالِها أبوامُها، قد ألبسَها حُللَ العفاءِ إجرامُها، ورقَمها في طِرازِ الفناء رَقامُها، أولئكَ الذينَ أفلوا فنجمتُمْ[2]، ورَحَلُوا فأقمتُم، وأبادَهُم الموتُ كما علمْتُم، وأنتم طامعونَ في البقاءِ بعدهم فيما زعمْتُمْ، كلا واللهِ أشخِصوا لِتُقَرّوا، ولا نَغّصوا لتُسَرّوا، ولا بُدّ أن تَمُرّوا حيثُ مَرّوا، فلا شقّوا بخُدَعِ الدنيا ولا تغْتَرّوا.

وهَبَ اللهُ لنا ولكم حُسنَ الاستعدادِ للموتِ، ووفّقَنا وإياكم للعملِ الصالحِ قبلَ الفوتِ.

إنّ أفصَحَ ما نطقَ بهِ النّاطِقُ، وأوضَحَ ما جاء بهِ الوعدُ الصّادقُ، كلامُ مَن كلامُهُ لا مخلوقٌ ولا خالِقٌ، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونس: ٢٤].

---

(١) الكلاكل: الكَلّة بالفتح الشفرة، انظر لسان العرب مادة (كلل).

(٢) أفَل: غاب، ونَجُم: طلع. وبابهما (دخل).

الخطبة الحادية عشر
في تصريف الزمان وذكر المعاد

الحمدُ للهِ مُؤلّفِ الأشياء بلا اقتداءٍ، ومُصرّفِ القضاءِ بلا اعتداءٍ، وسامِكِ السماءِ بغيرِ عمدٍ في الهواءِ، وساطحِ الأرضِ طافيةً على تيارِ الماء، الذي زمّ(١) ما خلقَ بالعدِّ والإحصاءِ، وعَمّ ما رزَقَ بالبذلِ والإعطاءِ، وعَلِمَ دبيبَ النملةِ السوْداءِ، على صَفا الصخرةِ الصّماءِ، تحتَ جلابيبِ جندِسِ(٢) الظلماءِ، في قعرِ قاموسِ لجةِ الدأماء(٣)، أحمدهُ على السراء والضراءِ، حمداً يوجبُ المزيدَ من النّعماءِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً متلألِئةَ الصفاءِ، ببوئةِ قائلها منازلُ أهلِ الوفاء، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولهُ ابتعثهُ مِنَ الذِّرْوَةِ العلياءِ، في صميمِ العربِ العَرباءِ، إلى أهلِ تِراتٍ(٤) وشحناء، وذوي اختلافٍ في الآراء، يعمهونَ في

---

(١) زمّ: ضبط.

(٢) الجندس: الظلمة الشديدة.

(٣) القاموس: البحر أو أبعد موضع فيه، والدأماء: البحر.

(٤) تِرات: جمع تِرة وهي الثأر والحقد.

الجاهليةِ الجهلاءِ، ويَسْفَهونَ بالقولِ الهراء، فشرعَ لهم سبيلَ النّجاء، وقوّمهم على المحجّةِ البيضاءِ، وأتاهم بأصدقِ الأنباءِ، وأنقذهم مِنْ ظُلّةِ الشقاءِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ أهلِ العباءِ، وصحابته البررةِ الأتقياء، صلاةً تدومُ دوامَ الأرضِ والسماءِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أكرِهوا النفوسَ على مخالفةِ الأهواءِ، وناجِزوها في أداء حقِّ اللهِ مناجزةَ الأعداءِ، واصبِروها في العاجلةِ على حُلولِ البلاءِ، تُظفِروها في الآجلةِ بطولِ الرخاء، فإنّما أُكْرِهَ المريضُ على مُرّ الدواء، لما أمّل في عاقبتِهِ من إزالةِ الداء، واعلموا أن الدنيا دارٌ معدومةُ السرّاءِ، تنقلُ نعمُ أبنائها بينهم تَنقُّلَ الأفياءِ، فاقطعُوا ـ رحمكم اللهُ ـ مِن متاعها حبلَ الرّجاءِ، فقد علمتُم أنهُ لا سبيلَ فيها إلى البقاءِ، وأنّها منزلُ التعبِ والعناءِ ومَحَلُّ فُرقةِ الأحبابِ والقُرناء.

أينَ مَن كانَ قبلكم منَ القدماءِ، مِن الجبابرةِ والملوكِ العظماءِ، والساداتِ الأكابرِ والأمراءِ، من ذوي الضَبْنَةِ والضوْضاء[١]، وأولي الثروةِ والثّراء، وأهلِ الغِنى والغناءِ أينَ من نازَعَ اللهَ رداءَ الكبرياءِ، ووثقَ بصحّتهِ في دارِ الأعلاء، أينَ الذينَ ألبَسَتْهُمُ الدنيا رونقَ السناءِ، وشمخَتْ بهم العزّةُ في الشاهقةِ الشماءِ، واستطالوا بكثرةِ الأموالِ والعُبداء[٢].

انظروا كيف تَقَضقَضَتْ عليهم الحادثاتُ تَقضقُضَ

(١) الضبنة: الأهل والعيال ومن لا كفاية فيه من الرفاق.

(٢) العبداء: العبيد.

الشعواء[1]، وصرعتْهمُ الأيام بسيفِ المنيّةِ الغَلباءِ، ونزَعتْ عنهم حُللَ النضارةِ والبهاءِ، وألبستهمْ سرابيلَ الصّورِ الشنعاءِ، حينَ هدمَتْ مِن عِزّهم رفيعَ البِناءِ، وسكنَتْ منهم حرَكاتِ الجوارحِ والأعضاءِ، وغيّبتهم في بطونِ صحاصحِ الأفلاءِ[2]، ولم تُغنِ عنهم دقائقُ حيَلِ الأطباءِ، فتلكَ قبورُهم مهجورةَ الفناءِ، وتلكَ قصورُهم مُظلمةَ الأرجاءِ، موحِشةَ المقيلِ في الإصباحِ والإمساءِ، تُسمَعُ في أقطارها مِن تجاوُبِ خُطُبِ الأصداءِ، مواعظُ أبلغُ مِن مواعظِ الخُطَباءِ، فرحِمَ اللهُ امرءاً اعتبرَ بما عاينهُ مِن هؤلاء، واستحيا مِن اللهِ حقَّ الحياء، وأسبلَ على ما يعلمُ من نفسهِ سِجالَ البكاءِ، قبلَ كشفِ الغطاءِ وتقلقُلِ الأحشاءِ، وتنفُسِ الصُّعَداء، ومفارقةِ الأحباءِ، والاشتغالِ عنِ الأهلِ والخلطاء، فإنّ كلاً إلى فناءٍ، ولا بدّ مَن الجَزاءِ، يومَ يتجلّى الحكمُ العدلُ لفصلِ القضاءِ، ويُقتصُّ لِلجماء مِن القرناءِ، يومَ يقومُ المجرمُ مقامَ الأذِلّاءِ، يومَ يستظِلُّ الأولياءُ بظلّ اللواءِ، ويَحُلُّ الأعداءُ محلَّ الأشقياء، ويسمعُ الفريقانِ إعلانَ النِداءِ، يا أهلَ الجنةِ خلوداً في النعيمِ بلا انقضاءِ، ويا أهلَ النارِ خلوداً في الجحيمِ بلا انتهاء.

جعلَنا اللهُ وإياكم ممّن صدفَ عن الفحشاءِ، وصرَفَ قلبَهُ عن مواردِ الأسواءِ، والتمسَ لدائهِ مظانّ الشفاءِ، وأدخلنا وإياكم في عبادِه الصالحينَ الأتقياءِ.

---

(١) الشعواء: الغارة المتفرقة، وتقضقض، الشيء تفرق.

(٢) الصحاصح: جمع صحصح، وهو المكان المستوي، والأفلاء، جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة.

إنّ أبلغَ عِظاتِ البُلغاءِ، وأنفعَ وصاةِ الحكماء، كلامُ مَنْ هو شيءٌ لا كالأشياءِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

❀ ❀ ❀

الموت والوباء

وفيه خطبتان.

الخطبة الأولى
في الموت والوباء

الحمدُ للهِ الذي لا يُرادُّ في حُكمِهِ ولا يُراجَعُ، ولا يُضادَّ في مُلكِهِ ولا يُنازّعُ، ولا يُحادُّ في مرادِهِ ولا يُمانَع، ولا يُحاجُّ عن عبادِه ولا يُدافَعُ، أحمدُهُ على ما قَدَرَ وبسَط، حمَد من لا كَفَرَ ولا قَنطَ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له شهادةً تكونُ لقائها يومَ المآلِ الفَرَط، وتُؤمنهُ من ذي الجلالِ السَخَط، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورَسولُهُ أرسلهُ وللكُفرِ في الآفاقِ زَجَل(١)، وعلى القلوبِ من النفاقِ طَفَل(٢)، وفي أعناقِ أهلِ الشّقاقِ عن الحقِّ ميل(٣)، وفي الأقوالِ عن محجّةِ الصدقِ خَطَل(٤)، فقوَّم الله بنبيهِ صلى اللهُ عليه أوَدَ المنآد(٥)، وهزمَ به مَدَدَ الجُحّاد، وأبرمَ به

(١) الزجل: الصوت.

(٢) الطَّفل: الظلمة وما قبيل غروب الشمس.

(٣) الميَل: بفتحتين الاعوجاج خلقةً.

(٤) الخطل: مصدر خطل في منطقه ورأيه إذا أخطأ.

(٥) الأود: الاعوجاج. وأناد: على وزن (انفعل): يقال: آدَ الشيء أثقله، فانآد أي ثقل به وانحنى.

سَحيل[١] الإيمانِ، وأطفأ بنورِه نارَ الطُغيانِ وأكرمَ به قبيلَ مُضَر بنِ نزار ابن معد بن عَدْنان، صلى اللهُ عليه وعلى آله صلاةً مؤكّدَة الإدمانِ، مجدّدةً في كلّ حينٍ وأوانِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أضْلَلنا القلوبَ فلا دليلَ عليها مُرْشدُ، وأهْمَلنا النفوسَ فكلٌّ إلى عطبِهِ مُخلِد، وأثْقَلنا الظهورَ بما ليس لنا على حملهِ مُسعِدٌ، وأعْملْنا الجوارحَ فيما هو لها عن الرافعةِ مبعِد، فلا العِبَرُ عن الفسادِ ناهيةً، ولا الفِكرُ إلى الرشادِ داعيةً، ولا الهمَمُ إلى الثوابِ ساميةً، ولا الذِّمَمُ عن الأحسابِ محاميةٌ، والموتُ تنظِمكم رِماحُه، وتقْسِمُكم بأيدي الفناء قِداحُهُ، ويختَطِفُكُم بالصّغارِ اجْتياحُهُ، وتَنسِفُكُمْ إلى دارِ القرارِ رياحُهُ، وكلما قرَّبَتِ الأيامُ منكم مسافَته، أبعدَتِ الآثامُ عنكم مخافَته، حتى كأنّ ما تَرَونَ في غيركم من أثرِهِ، أمانٌ لكم مِن وقوعِ حَذَرِه، ولا بدّ لكلٍّ مِن محتَضَرٍ يرقُّ فيه الشامِتُ، ويعِظُ فيه الناطقُ الصامِتُ، ويُظهِرُ له المقْتَ الماقِتُ، ويُكثِرُ إليهِ النظر الحائرُ الباهتُ، يا له مَصْرَعاً أطفأ مصابيحَ الحيَلِ، وأنشأ مجاديحُ المُقَلِ[٢]، وأوشك مُرّ الفراقِ، وفَتْكَ مصابيحَ الحيَلِ، وأنشأَ مجاديحُ المُقَلِ[٣]، وأوشكَ مرّ الفراقِ، وفَتْكَ بأنفسِ الأعلاقِ[٤]، وحَطَّ أهلَ السرورِ والمنابرِ، إلى ظُلَمِ الحُفَرِ والمقابرِ، حتى يَدَعَ نعيمَ الدنيا زهيداً، ومنظومَها فريداً، وحديثَها وقديمَها فقيداً، ومَن عليها مِن الخلائقِ

---

(١) السّحيل: الحبل.

(٢) مجاديحُ السماء أنواؤها الدالة على المطر.

(٣) أوشك: أسرع.

(٤) العِلق: بكسر العين النفيس من كل شيء.

بسيفِ الموتِ حصيداً، فلا تجعلوا عبادَ اللهِ حُطامَ الدنيا بينكمُ دوَلاً ونُهبى[١]، وتُعْرِضوا عن الآخرةِ إعراضَ الفارِكِ[٢] الغَضبى، واهنؤوا بتقوى اللهِ عزّ قلوبكم الجَرْبى، مِن قبل أن تَشتملوا الندامةَ في مُنقَلَبِ العُقبى، حيث يستعتِبُ الظالمُ فلا يجابُ إلى العُتْبَى، وإن تَدْعُ مُثقَلَةٌ إلى حِملِها لا يُحمَلُ منه شيءٌ ولو كانَ ذا قُربَى.

كنَفَ[٣] اللهُ منا ومنكم محالّ اليقين، وصرفَ عنا وعنكم مَضالّ اللّعينِ، وجَعَلنا وإياكم بقَدَرِهِ راضينَ، وبحلالهِ عن حرامِه مُعتاضينَ، إنه أقدرُ القادرين.

إنّ أعذبَ الكلام في الأفواهِ وأحلى، وأحقّ النظام بالأسماع وأولى، كلامُ مَن هو بالمنظرِ الأعلى. ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩-٢٢].

❀ ❀ ❀

---

(١) النهبى، اسم للمنهوب.

(٢) الفارِك: المرأة التي لا تحب زوجها.

(٣) كنف: كنفه حاطه وصانه.

الخطبة الثانية
في الموت والوباء

الحمدُ للهِ مُبدئ الخلقِ ومعيدِهِن ومنشئ الرزقِ ومفيدِهِ، ومنشئ الرزق ومفيدِه، وقابلِ التوبِ ومُريدِه، وجاعلِ الحمدِ سببَ مزيدِه، أحمَدُه على نعم جللنا سِرْبالَها.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلى اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةً يفوزُ برضاهُ مَن قالها، وأشهدُ أنّ محمداً عبدٌ طيّبَ عُنْصُرَهُ، ونبيٌّ هَذُبَ جوهرَه، أكمَل به الإيمانَ فشهرَه، وأخملَ به البهتانَ فدمّرَه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ ومَنْ هاجرَ إليهِ ونصرَه، صلاةً يُرغِمُ بها معاطِسَ مَن حادَّهُ وكفَرَه، وسلم تسليماً.

أيها الناس: كيفَ يروى بماء الخفضِ(١) قلبُ مَن اشتعلَ بنار المشيبِ عِذاراهُ(٢)، أم كيفَ يسكنُ إلى دار الدنيا من السقمِ والهرمُ فيها جاراه، أم كيفَ تنسَى النفوسُ مَنْ هي عمّا قليلٍ فرانسُه وأساراه، أم كيفَ يلتذ بصفوِ حياةٍ مَن كانَ الموتُ غايتُه وقُصاراهُ.

---

(١) الخفض في العيش الراحة والسعة.

(٢) عِذار الرجل: شعره النازل على اللحيين.

ألا فأزمِعوا عن الدنيا رحيلا، فقد آذنكم أولُ لِقائِها بوداعِها، وبادِروا انتهازَ القُرَصِ بتزوّدِ ما يَنفُقُ عنكم من مَتاعِها، وأقْطِعوا النفوسَ بذكرِ هادمِ اللذاتِ عن مذمومِ رضاعِها، واستعملوا ودائعَ الأرواحِ فيما تُحمدُ مَنيّتُه قبلَ ارتجاعِها، فكأنْ قد سلككم في أيامِها سقمٌ مُفسدٌ، أو أدْرَكَكم قبلَ حِمامِها[1] هرمٌ مُنفِد، يُذهبان بهجةَ السلامةِ، ويُركِبانِ لُجّةَ الندامةِ، يُدنيانِ المرءَ مِن سفرِه، ويُفضيانِ به إلى حذرِه، يجدُ أحدٌ مِن أحدِهما بداً، ولا يستطيعُ لما نزلَ به منهما مرَدّا.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ واعملوا ليومِ لا تَرجعونَ فيه مَقالة، ولا تُوسَعونَ فيه إقالة، إذا شخصَ البصرُ فبَرِق، وغصَّ بها الحُلقومُ فشَرِقَ، ورشحَ لهولِها الجبينُ فعرِقَ، وخاضَ الروحُ بحرَ المنيّةِ فغرِقَ، ووقعَ اضطرابُ الثّكلِ في الأهلِ والجيرانِ، وقيلَ آجركم اللهُ على المصيبةِ بفَقِدِ فلانٍ يا فلان، كنايةً عن كل إنسان، فكيفَ بكَ إذا رحلتَ مُكْرَهاً عن الأوطانِ، وحصَلْتَ مما جمعَتْ يداكَ على الأكفانِ، وركبْتَ غيرَ مختارٍ مركباً مِنْ مراكبِ الحدَثانِ، وتداولتكَ مناكِبُ المشيّعينَ إلى الجبّان[2]، فنزلْتَ منزلاً لا يُفَكُّ مِن أسرهِ عان، ولا لنازِله بدفعِ حوادثِه يَدان، أيسَرُ ما فيه روعةُ الفنّان، وسعيُ البلى في تفصيلِ مفاصلِ الأبدانِ، ومحوُ محاسنِ تلكَ الوجوهِ الحِبان، ثم الخروجُ منهُ إلى العِرضِ على الديانِ، في يومٍ يُشيّبُ هَولهُ رؤوسَ الوِلدان، ويبيّنُ الربحَ

---

(١) هو الموت.

(٢) الجبّانة: بتشديد الباء المقبرة.

والخسرانَ فيه صحةُّ الميزانِ، ويزيلُ ظُلَمَ الشكوكِ أنوارُ الإيقان، ويصيرُ الخبرُ فيهِ نصبَ العيانِ. ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٣٧] وغصّ الموقِفُ بأصناف الإنس والجان، ووقعَ الجزاء على الإحسان بالإحسا، وعلى الإساءة بخلودِ دار الهوان، وأقبلَ النداءُ يخترقُ مسامعَ الآذان، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣-٣٦].

جعلنا اللهُ وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنّبنا وإياكم مواردَ الظالمينَ، وأدخلَنا وإياكم في عبادِهِ الصالحين، إنهُ أقدَرُ القادرينَ، وأستغفر اللهَ العظيمَ.

❀ ❀ ❀

ذكر الموت

وفي تسع خطب.

الخطبة الأولى
في ذكر الموت

الحمدُ للهِ عاقدِ أزِمّةِ الأمورِ بعزائمِ أمْرِه، وحاصدِ أئمةِ الغرورِ بقواصمِ مكرِه، وموفّقِ عبيدِهِ لمغانم ذكرِهِ، ومحقّق مواعيده بلوازم شُكرِه، أحمَده على إسبالِ سِترِهِ، حمداً يقودُ إلى مَحالِّ غفره.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له إعظاماً لقَدرِهِ، وإرغاماً لمن جاده بكفرِه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بميثاقِه وعُذره، ودل به على إطلاقه وحَظْرِه، وأيّده على مُشاقّيهِ بعزيزِ نصرِهِ، وأشادَ بذكرِه في بره وبحرِهِ، صلى الله عليه وعلى آله ما افترّ ظلامٌ عن فجرِهِ، ودَرّ غمامٌ بصيِّبِ قطرِهِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: أقلعوا سراعاً، وأزْمِعوا ارتجاعاً، فقد أسرع الدهر نقضَ مرركم[1] وأزمعَ تعجيلَ سفرِكم، وغداً يُفضى بكم إلى ظُلَمِ حُفرِكم، ويوضحُ لكم مُبهَمَ خَبرِكم، وما هو إلا أن يَغولَ

(١) المِرَرْ: جمع مرّة ما يكسر وهي الشدة والقوة.

الصحةَ سَقمُها، ويَدول على الجِدّة عَدَمُها، ويملّ السادةَ حشَمُها، ويُحلَّ مِن الحياةِ حَرَمُها، حتى قد عدمتم طيبَ المفاكهةِ، ونسيتُم ريحَ المشافهةِ، وقدمتُم دارَ المواجهةِ، ولم يغنِ عنكم إعوالٌ(١) الأيّم الوالهةِ، فحللتم منزلاً توجِسُ الوحشةَ عَرَصاتُه، وتكِرُّ عليكم بالآفَاتِ جهاتُهُ، وتبهرُ ساكنَهُ آياتُه، ويطولُ فيه إلى المعادِ سُباتُهُ، وأعظِم به منزلاً أولُ ورودِه الندامةُ، وآخر حدودِه القيامةُ، ذلكم اسمٌ واقعٌ على معنى جليل، وخطبٌ قاطعٌ وصلَ كلّ خليل، وإقامةٌ من سكرةِ المنَون في ساعةِ أسرعَ مِن لمح العيونِ، فكأنّ قد صرخَ بم صارِخُها وأردفَ النفخةَ إليكم نافخُها، فعلمتم حينئذٍ ما تجهلون، وأقبلتم مِن كل حدبٍ تنْسِلونَ، ووقفتُم للحسابِ وأنتم تُرْعَدون ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة: ٥].

فكيف يسر من ساء هنالك فعله، وأين مفرٌّ مَن ثقُلَ في القيامةِ حِمْله، إذا تقاذفتِ الأرضُ بصُمِّ أجبالها، وشيَّبَ العرضُ رؤوسَ أطفالها، وتزاحمتِ الأممُ باركةً لجدالِها، وعَيّتِ الألسنُ(٢) جواباً عن سؤالها، ونفَذتْ فيها الحُكومةُ بشهاداتِ أوصالها، وبُرّزَت جهنمُ بسلاسِلها وأنكالِها، وطمَّت الطامّةُ بعجائبها وأهوالها، وآلَ أهلُ الجرائم شَرَّ مآلها، ذلك يومٌ صلى(٣) بجدّه اللاعبونَ، وحظِيَ برفده التائبونَ، وشقيَ في نارِه المذنبونَ ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٤].

(١) الإعوال: وقع الصوت بالبكاء.
(٢) أي لم تُبنِ الجواب.
(٣) صلي: احترق.

آوانا الله وإياكم إلى معاقل توفيقه، وهَداناا وإياكم لنهجِ طريقه، وأعاننا وإياكم على القيام بحقوقه.

إنّ أجمعَ بدائعِ الخطابِ، وأنفعَ ودائعَ الألبابِ، كلامُ العزيز الوهابِ. ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النَّازعات: ٣٤-٤٦].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية
في ذكر الموت

الحمدُ للهِ مُيسِّرِ مشرقاتِ النجومِ ومُغَيِّرِها، ومُدبِّرِ حركاتِ الأفلاكِ ومُدَيرُها، ومقرِّرِ البسيطةِ على متلاطِم أمواجِ بحورها، ومُفجِّرِ ينابيعِ المياهِ من جلاميد صُمِّ صخورها، الذي صَوَّر أصنافَ الخليقة فأبدَعَ في تصويرها، وقَدَّر اختلافَ أجناسِها فأحسنَ في تقديرِها، ونشَرَ رحمتَهُ على قويِّها وضعيفها وصغيرِها وكبيرِها، فتبارك الذي بيده تَصاريفُ أمورها، وعنده علمُ مبتدأها ومَصيرها، أحمده على ما ستره من نعمهِ وأبداهُ وآثرَنا به من اتباعِ هُداهُ، حمداً لا يجاوزُ مخوفاً مِن النِقم الأنفاهُ، ولا يغادِرُ معروفاً من النِّعمِ إلا استوفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أطلبُ بها رِضاهُ، وأرغَبُ بها عمن سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله حين سما شِهابُ البهتانِ فأجّ، وهَما سَحابُ العُدوانِ فثجّ[1]، وطَمَا بحرُ الشيطان فعج[2]، ونمى ليلُ الطُغيانِ

(١) هَمَا: صبّ أو سال، وثجّ: الصبّ بشدة.

(٢) طَما: ارتفع، وعجَّ: صوّت، يقال: نهر عجاج أي لمائه صوت.

فدجَّ[١]، فسدّد الله به مِن أحكامِ الأديانِ ما اعوجَّ، ووطّد به مِن دعائمِ الإيمان ما ارتجّ[٢]، وأوطأ أخمَصَه من تمادَى في غيّه وَلَجّ، صلى الله عليه وعلى آله ما اعتمرَ لله معتمِرٌ أوْ حَجّ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: تجهّزوا فقد ضُرِبَ فيكم بوقُ الرحيل، وبَرّزوا فقد قُرِّبَت لكم نوقَ التحويلِ، ودَعُوا التمسّكَ بخُدَعِ الأباطيلِ، والركونَ إلى التسويف والتعليلِ، فقد سمعتم ما كرّر الله عليكم مِن قَصص أبناء القرى، وما وَعظكم به مِن مصارعِ من سلف مِن الورى، مما لا يَعترضُ ذوي البصائر فيه شكٌّ ولا مِرى، وأنتم مُعرضون عنه إعراضَكم عما يُختلقُ ويفترى، حتى كأنّ ما تعاينونَ منهُ أضغاثُ أحلامِ الكرَى[٣]، وأيدي المنايا قد فصَمتْ من أعماركم وِثاقَ العُرَى، وهَجَمَتْ بكم على هَوْلِ مُطّلَعِ كربِهِ القِرَى.

فالقَهْقَرَى ـ رحمكم الله ـ عن حبائل العطبِ القَهْقَرَى، واقطَعُوا مفاوِز الهَلَكاتِ بمُواصَلةِ السُّرَى، وقِفُوا على أجداثِ المنزَلين مِن شناخيبِ الذّرَى[٤]، المجَلّين بقوارِعِ أمِّ حَبَوْ كَرَى[٥]، المشغولينَ بما عليهم من الموتِ جَرَى، فاكشِفُوا عن الوجوه المنعّمة أطباق الثّرى تَجِدوا ما بقي منها عِبرةً لمن يرَى.

---

(١) وثجَّ: اشتد ظلامه.

(٢) وطّد: تبنّى، وارتجّ: اضطرب وتحرك.

(٣) الكَرَى: المنام.

(٤) الشناخيب: جمع شنخوب وهو أعلى الجبل.

(٥) أمّ حَبَو كَرَى: لقب للداهية.

فرحم الله امرءاً رحِم نفسَه فبكاها، وجعلَ منها إليها مُشتكاها، قبل أن تَعْلَقَ به خطاطيفُ المنونِ، وتَصْدُقَ فيه أراجيفُ الظّنونِ، وتَشرَقَ عليه بمائها مُقَلُ العُيونِ، ويلْحَقَ بمن دثرَ مِن القرونِ، قبل أن يبدوَ على المناكبِ محمولاً، ويغدوَ إلى مَحَلٍّ المصائبِ مَنقولا، ويكون عن الواجبِ مسؤولاً، وبالقُدوم على الطالبِ الغالبِ مشغولاً، هنالك يُرفع الحجابُ، ويُوضعُ الكِتابُ، وتُقْطَعُ الأسباب، ويُمنَع الإعتابُ، ويُجْمَع مَن حقّ عليه العقاب، ومَن وجَبَ له الثوابَ، فيُضربُ بينهم بسورٍ له باب باطنُهُ في الرحمةُ وظاهرهً من قبله العذاب.

أظلنا الله وإياكم في ذلك اليوم بظلّ رحمته، وأحلنا وإياكم معاقلَ عصمتهِ، وأوزَعنا وإياكم شكرَ نعمته، ولا حرمنا وإياكم رَوْحَ جنّتهِ.

إنَّ أكثرَ الكلامِ نفعاً، وأحمدَ النظامِ استفتاحاً وقَطْعاً، كلام مَن لا نستطيعَ لقَدَره دَفعا، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحَجّ: ٤٥].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثالثة
في ذكر الموت

الحمدُ للهِ البعيدِ مَداهُ، السديدِ هُداهُ العتيدِ جداهُ(١)، المُبيدِ عِداهُ، الذي قطعَ بالموتِ عُذرَ المعتذِرين، وقَمع به كِبَرَ المتكبرين، وحسَمَ به أطماعَ الطامعينَ، وحَكَمَ به على الخلقِ أجمعينَ، أحمَدُه حمداً يكون لجلالِهِ تمجيداً، ولنَوالِهِ مُفيداً، وعن نَكالِهِ مُحيداً، وعلى جميع أفعاله جديداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ مَن لا يَعرف له نديداً، ولا يتخذُ من دونِهِ معبوداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أرسلُه بالحقِّ مشيداً، وجعَلَه على الخلقِ شهيداً، فجدّدَ ما دَرس من الإيمان تجديداً، وعَبَّد السبيلَ إلى الرحمنِ تعبيداً، حتى سعِدَ بتسديده مَن كان على الطهارةِ مولوداً، وشهد بتوحيده مَن كان لآياته عنيداً، صلى الله عليه وعلى آله صلاةٌ يوجبُ لهم بها مِن فوائده مزيداً، ويقلدُهم نوافلَ مِننهِ تقليداً، وسلّم تسليماً.

---

(١) العتيد: المهيأ والحاضر، ومنه اعتدت لفلان كذا، والجَدى والجدوى العطية.

أيها الناس: مَن استَمَعَ لخطوبِ الأيام، غَنِيَ عن خُطَبِ الأنامِ، ومَن ارتدع عن ركوب الآثام، رَقيَ أعلى درجاتِ الكرامِ، ومَن قَدَح بصيرته بزِنادِ الاعتبار أنارتْ له ظُلَمَ العواقب بمصابيح الاستبصار.

فاكْبَحوا - رحمكم اللهُ - جوامحَ النفوسِ عن طَلقِ[1] الآمالِ، وأسرَحوا قرائحَ القلوبِ في طُرق المآل، وأقمَعوا طوامحَ الأهواءِ بذكرِ مُوردِ الأحزانِ، ومُفردِ الأقرانِ، ومُديرِ الحدثانِ ومُمير الجبّان[2]، حربِ أطوارِ النفوسِ وقُطْبِ مِدارِ النّحوس، ومجرّعِكم أمرَّ الكؤوسِ، وموَدِعِكم مَقَرّ الرّموس، الموتُ المذلُّ كُلَّ عزيزٍ، المُطلُّ على كلِّ حِرز حريزٍ، وكأن قد اختلفت فيكم صوارمُه، وعصَفَتْ بكم سمائمه، وأظلتكم قساطِلُهُ، وشمَلتكم غَيَاطِلُه، فشَخَصتْ لإيقاعهِ المُقَلُ، وقلّتْ لدفاعِهِ الحِيلُ، وأسلَمَتِ الأجسامُ أرواحَها، وعدِمَتْ لإفسادِهِ صلاحَها، فأُفردتم حينئذ مِن نعمِكم وأموالِكم، وقُلّدْتُمْ قلائدَ أعمالكم، وزُرِّدْتُم مِن الدنيا أكفانا، ووَفدْتُم على الله وُحداناً، ووجدتُم لديه الإسرار إعلاناً، والإخبار عياناً.

فيا أيها الغَفَلةُ المقصِّرون، بماذا إلى الملكِ الديانِ غداً تعتذرونَ، أمْ ماذا له تقولون، إذا قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصّافات: ٢٤] أعددتُم لسُؤاله جواباً شافياً، أم وجدتُم مِن نَكالِهِ حِجاباً

---

(١) يقال فلان طلق اليدين أي مطلقهما والمقصود هنا التحذير من إطلاق الآمال وعدم تقييدها بالتخوّف من عواقبها.

(٢) المقصود هنا و(مُمِير) مزوّد، والجبّان: المقبرة.

واقياً، هيهاتَ هيهات أفحم والله عن الجَواب لسانُ المجيبِ، وتكلّمَ عنِ الأفئِدَةِ إعلانُ الوَجيبِ، وشهدَتِ الجَوارِحُ بمسطورِ الرقيب، وارْتعدتِ الفرائصُ لهولِ اليومِ العَصيبِ، وحَصَلَ أهلُ الجرائم على مُواصلةِ العويلِ والنحيبِ، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سَبَإ: ٥٤].

أشعرَنا اللهُ وإياكم ذكْرَ ما أمرَ بأذكارِهِ، ويسّرنا وإياكم للسعي فيما يباعدُ عن نارِه، وأيّدنا وإياكم بالاسْتبصارِ بتصاريفِ أقدارِهِ، وأسعدنا وإياكم يومَ القيامةِ بجِواره.

إنّ أنفعَ ما وقعَ بهِ التحذيرِ، وأنجعَ ما اجتمَع عليهِ الضمير، كلامُ مَن ليسَ لهُ شريكٌ ولا نظيرٌ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعَام: ٦١،٦٢].

الخطبة الرابعة
في ذكر الموت

الحمدُ للهِ مُبْدِعِ أصنافِ البدائعِ، وموسِعِ ألطافِ الصنائعِ، الذي أوزَعَ شكْرَ نِعَمِهِ كلَّ مُنيبٍ طائعٍ، وأودعَ نورَ حِكَمِهِ قلبَ اللبيبِ الخاشعِ، أحمدُه على إحسانِه المتتابعِ، وإفضالِه الشائع. وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةً مُستكينٍ لربوبيته خاضعٍ، راغب في معروفهِ طامِعٍ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلَهُ بنورٍ ساطعٍ، وحقٍّ قاطعٍ، وعزٍّ قامعٍ، وحُكْمٍ واقعٍ، وصَوْلٍ وارعٍ[1]، وطَوْلٍ واسعٍ، فأنقذَ كلّ مُستجيبٍ سامعٍ، وأهلكَ كلّ مُوَلٍّ دافعٍ، حتى استقامَ الناسُ على أوضحِ الشرائعِ، وأمِنوا به حلولَ القوارعِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ الأنجمِ الطوالعِ صلاةً تجودُ عليهم بركاتُها، جودَ الغيوثِ المرابعِ[2]، والسُحُبِ الهوامعِ[3]، وسلم تسليماً:

ابن آدمَ: أعجبَكَ العجبُ وأنتَ أعجبُ مما أعجبَك،

---

(١) الصول: الهجوم، ووازع: مانع.

(٢) جمع مُربع: تقول أربع الغيث إرباعاً، حبس الناس في رباعهم لكثرته فهو مربع.

(٣) أي السحب الماطرة.

وأطرَبكَ منالُ ما إذا أدْرَكْتَ غايَتهُ أعطبَك، وأعتبَك من الأيامِ ما إذا استحكمَتْ ثِقتُكَ به أغضبَك، وأتْعبكَ، عمرانُ ما كلّما عَمَرْته أخرَبكَ، فأنتَ تدخرُ ما يُنفِقُكَ، وتجدُّ ما يُخلقُك، وتُكذِّبُ مَن يَصْدُقُكَ، وتتّهِمُ من يرزُقُك، كأنّ علْمكَ بالتنزيلِ جهالة، أو كأنّ هدايتَكَ بالرسولِ ضلالةٌ، أو كأنّ صحةَ المعقولِ عندَكَ إحالة، أو كأنّ حِفْظَ اللهِ عليكَ عَمَلَكَ إذالة[١].

ألم يأتِكَ نبأ سالفِ القرونِ، المتمتّعينَ بالمعاقلِ والحصونِ، الذينَ اتخذوا عبادَ اللهِ خَوَلاً، ومالَ اللهِ دُولاً، وانقادَتْ لهم صعابُ الأمورِ ذُللاً، وعبّدوا مفاوزَ البرّ والبحرِ سُبَلًا، وجُبيَتْ إليهم ثمراتُ كلّ شيءٍ قُبُلاً، وكانوا أحصنَ الناس بالإمهالِ أجلاً، وأبعدَهم في منالِ أمَلاً، وأعلاهم في مَعالٍ[٢] مثلاً، وأمضاهم في مقالٍ جدَلاً.

كيفَ ذرّبَتْ لهمُ المنونُ أنياباً عُصُلاً[٣]، وبثّتْ فيهم مِن نقضِ أجسامِهم رسُلاً، وشرعتْ لهم مكانَ شرائعِ الصحةِ عِللاً، وأبدلتهم بالنشاطِ كسلاً، حتى سقتهم من حياضِ الموتِ نَهلاً، ثم أعادت عليهم بعدَ النَهلِ عَلَلاً، فأصبحت مَعاقِلُهُم عليهم عُقُلَا وصارتْ نفوسهم لمفادِ الحِمامِ نفلاً، وأعضاؤُهم بنار الأسقام شُعَلاً، ولحومُهم لهوامَ الأرضِ أكُلاً، ورَدُوا المقابرَ وُحداناً وثُلَلاً[٤]،

---

(١) الإذالة: يقال أذال غرسه وغلامه ابتذلهما في الخدمة.

(٢) أي معالي الأمور.

(٣) العصل: الشديدة. وذرّب السيف: أحدَّهُ.

(٤) الثّلل: جمع ثُلّة بالضم الجماعة من الناس.

واستوفوا مُدَدَ آجالِهم كمَلاً، ولَقُوا تفصيلَ أعمالهم جُملاً، قد أطالَ البلَى في اللُّحودِ لهم شُغُلاً، وأسالَ على الخدودِ منهم مُقَلا، لا يهتدونَ إلى رجعةٍ حِيلاً، ولا يَشفي التأسفُ والندمُ منهم غُللاً[1]، يتوقّعونَ من القيامَةِ أمراً جَلَلاً، فكيفَ بكَ أيها الإنسانُ إذا قمتَ من سُكرِ المنُونِ ثملاً، فأجَبْتَ داعيَ الحقِّ عجِلاً، وسمعْتَ لضَوْضاء القيامةِ زَجَلاً، وبرزتَ للذي خلقكَ من ترابٍ ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، ونكسَتِ الرؤوسُ خجلاً، وصارتِ الجنةُ للمتقينَ نزلاً، والنارُ للمجرمين ظُلَلاً، ذلكَ بأنهم اتخذوا الشيطانَ وذريتهُ أولياءَ من دونِ اللهِ وهمْ لهمْ عدوٌّ بئسَ للظالمينَ بدَلاً.

جبرَ اللهُ قلوبَنا وقلوبَكم بأشعارِ مخافَتِه، وسترَ عيوبنا وعيوبكم بأستارِ رأفتهِ، وجعلنا وإياكم مِن الذينَ أيقنتْ قلوبُهم بعفْوه فاستبشرت، وأمنت وجوههم حُلولَ سَطوِه فأسفرتْ.

إن كتاب اللهِ أولى ما لزمتم حفظه، وألهمتم القلوبَ وعظَه، فإذا قُرئَ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هُود: ١٠٢، ١٠٣].

❀ ❀ ❀

---

(١) الغُلَل: جمع غُلّة وهي حرارة العطش.

الخطبة الخامسة
في ذكر الموت بخطبة المنام

الحمدُ للهِ الذي عَلا في ارتفاعِ مجدِهِ عن أعراضِ الهِمَمِ، وخلا باتساعِ رِفْدِه من اعتراض التُّهَم، وجَلا قلوبَ أوليائِه بينابيعِ الحِكم، وهداهم بنورِ اجتبائهِ لأرشد لَقَمٍ(١)، أحمدهُ على صنوفِ النِّعم، حمداً تضيقُ بإحصائهِ حروفُ الكلِمِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً تَشفي القلوبَ مِنَ السَّقم، وتكفي المرهوبَ منَ النّقم، وأشهدُ أنّ محمداً صلى اللهُ عليهِ عبدُهُ ورسولُه نَقَلهُ في أطهرِ صُلْبٍ ورَحِمٍ، واختصّهُ بأحمدِ الأخلاقِ والشِّيَم، وأرسلَهُ إلى العربِ والعَجَمِ، وجعلَ أُمّتَهُ خيرَ الأمَمِ، فشفى الأسماعَ مِن الصّممِ، ووفّى بالعهودِ والذِّمَمِ، ونفى بنوره حنادِسَ الظُّلَم، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ أهل الفضلِ والكرَم، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ما أسلسَ قيادَ من كان الموتُ جَريرَهُ(٢)،

---

(١) اللّقَم: الطريق الواضح.

(٢) الجرير: حبل يُجعل للبعير ليُقاد به.

وأبعَدَ سدادَ مَن كانَ هواهُ أميرَهُ، وأسرعَ فِطامَ مَن كانت الدنيا ظيرَهُ[١]، وأمنعَ جنابَ مَن أصبحتِ التقوى ظهيره.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ حقَّ تَقْواه، وراقِبوهُ مراقبةً مَن يعلمُ أنّهُ يَراه، وتأهّبوا لو ثباتِ المُنونِ، فإنّها كامنةٌ في الحركاتِ والسّكون، بينا يُرَى المرءُ مسروراً بشبابه، مغروراً بإعجابه، مغموراً بسعةِ اكتسابهِ، مستوراً عنهُ ما خُلقَ لهُ بما يُغرى بهِ، إذ أسعرتْ فيهِ الأسقامُ بِهابَها، وكدّرتْ لهُ الأيامُ شَرابها، وحوَّمَتْ عليهِ المنيّةُ عُقابها، وأعلقت بهِ ظفرَها ونابَها، فسرتْ فيه أوْجاعُه، وتنكّرتْ عليهِ طِباعُه، وأظلّ رحيلهُ ووَداعه، وقلّ عنهُ منعُهُ ودِفاعُهُ.

فأصبحَ ذا بصرٍ حائر، وقلبٍ طائرٍ، ونفسٍ غائرٍ، في قطبِ هلاكِ دائرٍ، قد أيقنَ بِمُفارَقةِ أهلِهِ ووطنِهِ، وأذعنَ بانتزاعِ روحِه مِن بَدنِهِ، حتى إذا تحقّق فيه اليأسُ وحلّ بهِ المحذورُ والبأسُ، أومأ إلى حاضرِ عُوّاده، موصياً لهم بأصاغِر أولادِهِ، والنفسُ بالسّياق[٢] تُجذَب، والموتُ بالفواقِ[٣] يَقْرَبُ، والعيونُ لهولِ مصرعِه تسكُبُ، والحامّةُ[٤] عليهِ تُعدِّدُ وتَندُبُ، حتى تجلّى لهُ ملَكُ الموتِ صلى اللهُ عليهِ مِن حُجبِهِ، فقضى فيهِ قضاء أمِرَ به،

---

(١) الظئر: بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها ظئر.

(٢) السياق: النزاع.

(٣) الفواق: بالضم ما يأخذ الإنسان عند النزع، والفواق أيضاً ترجيع الشهقة غالباً.

(٤) الحامّة: خاصة الرجل من أصله وولده.

فعافَهُ الجليسُ، وأوحشَ منهُ الأنيسُ، وزُوِّدَ من مالهِ كفناً، وحصل في الأرضِ بعمله مرتهناً، وحيداً على كثرةِ الجيرانِ، بعيداً على قُربِ المكانِ مُقيماً بينَ قوم كانوا فزالوا، وجَرَتْ عليهمُ الحدثاثُ فحالُوا، يُخبرونَ بما إليهِ آلُوا، ولو قَدِروا على المقالِ لقالوا، قد شربوا من الموت كأساً مُرّة، ولم يَفقدوا من أعمالهم ذرّة، وآلى عليهم الدهرُ آليَةً[1] برَّةً، أن لا يجعلَ لهم إلى دارِ الدنيا كرّة، كأنّهم لم يكونوا للعيون قُرةً، ولم يعدّوا في الأحياء مرّةً.

أسكتَهُم واللهِ الذي أنطقَهُم، وأباد الذي خلقهم، وسيُجِدُّهُم كما أخلقهُم، ويجمعُهم كما فرّقهُم، يومَ يعيذ اللهُ العالمينَ خلقاً جديداً، ويجعلُ الظالمين لنارِ جهنمَ وقوداً، من تكونونَ شهداء على الناسِ ويكونُ الرسولُ عليكم شهيدا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عِمرَان: ٣٠].

جعلنا اللهُ وإياكم مِمَّن قدَرَ قدْرَه فقبلَ أمرَهُ، وأدامَ في الخلواتِ ذِكرَهُ، وجعلَ تقوَى عالمِ الخفيات ذُخرهُ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولجميع المسلمين.

إنّ أحسنَ الحديث منظوماً ومفرداً، وأبلغَ الوعظِ قديماً ومُجدِداً، كلامُ من أحصى كل شيء عدداً، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ

---

(١) آلى: حلف، وآلية: اليمين.

مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦].

❀ ❀ ❀

الخطبة السادسة
في الموت

الحمدُ للهِ الذي هَدَمَ بالموتِ مَشيدَ الأعمارِ، وحكمَ بالفناءِ على أهلِ هذهِ الدار، فجعلهُم أغراضاً لسهامِ الأقدارِ، ووكّل بهم أمراضاً تزعجهم عنِ القرارِ، وتجري منهم مَجرى الدّماء في الأبشار[(١)]، لا يعصمُ منها الاعتصامُ بالحذار، ولا يخُصُّ بها الفقراء دونَ ذوي اليسار، بل هي آياتُ عدلِ اللهِ في البَادينَ والحُذار[(٢)]، أحمدُه على نعمهِ المسبَلةِ الغِزارِ، وأعوذُ به من العُتوِّ والإصرارِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً منجيةً من عذابِ النار، مبوِّئَةَ مَن شهدَ بها دارَ القرارِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولهُ أرسلهُ بأيمن شعارٍ وأبينِ فخار، وأنورِ منار وأطهرِ إعلانٍ وإسرارٍ، مُجتبلاً من صميمِ العربِ في النُّضارِ[(٣)]، مؤيداً

---

(١) الأبشار: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

(٢) أي النازلون في المدن والقرى.

(٣) النّضار: الخالص النسب.

بالمهاجرينَ والأنصارِ، منصوراً بالملائكةِ الأبرارِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ آناء الليلِ وأطرافَ النهارِ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: إنّ قوارعَ الأيامِ خاطبةٌ فهل أذنٌ لعِظاتِها واعية، وإنّ فجائعَ الأحكامِ صائبةٌ فهل نفسٌ لجهاتها مُراعية، وإنّ مطامِعَ الآمالِ كاذبةٌ فهل همةٌ إلى التنزّهِ عنها داعية، وإنّ طوالعَ الآجالِ واجبة، فهل قدَمٌ إلى التزوّدِ منها ساعية.

ألا فاسْرِحُوا ثواقبَ الأسماعِ والأبصارِ، في جميع الجهاتِ والأقطارِ، هل تروْنَ في جُموعهكم إلا الشّتاتَ، أو تسمَعونَ في رُبوعكم إلا فلانٌ ماتَ، أينَ الآباء الأكابرُ، أينَ الأبناءُ الأصاغرُ، أينَ الخليطُ والمُعاشرُ، أينَ المُعينُ والمُضافِرُ، عثرتْ واللهِ بهمُ الجدود[1] العوائرُ، وأبادَتْهم السُّنونَ الغوابرُ، وبترتْ أعمارَهُمُ الحادثاتُ البَواترُ، واختطفتهم منَ المنونِ عقبانٌ[2] كواسر، فَذَوَتْ مِن شُبّانهم الأغصانُ النّواضِرُ، وخَلَتْ من شيوخهمُ المشاهدُ والمَحاضِرُ، وعُدِمت مِن أجسامِهم تلك الجَواهِر، وطفِئت من وجوههم الأنوارُ الزواهرُ، وابتلعتْهُمُ الحُفَرُ والمقابر، إلى يومِ تُبلى السّرائرُ.

فلو كشفتُم عنهم أعطيَةَ الأجداثِ، بعدَ ليلتينِ أو ثلاثٍ، لرأيتُمُ الأحداقَ على الخدودِ سائلهُ، والألوانَ مِن ضيقِ اللُّحودِ حائلهُ، وهوامّ الأرضِ في نواعِمِ الأبدانِ جائلة، والرؤوسَ الموسّدَةَ على الإيمان زائلة، يُنكِرُها من كانَ بها عارفاً، وينفرُ

---

(١) الجدود: جمع جد بالفتح، وهو الحظ.

(٢) العقبان: جمع عقاب وهو طائر معروف.

منها مَن لم يَزل لها آلِفاً، رقدوا في مضاجعَ هم بها داخرون[1]، وهَمَدوا في مصارعَ يُفضي إليها الأوّلونَ والآخرونَ.

وأنتم ـ عبادَ اللهِ ـ الخلفُ للسّلف، والهدفُ للتلفِ، والفروعُ التي قد قطعَ الموتُ أصولَها، والجُموعُ التي قد أسرعَ الدهرُ تحويلَهَا وقد تسمَعونَ الواعيةَ بالعويلِ، في كلّ منزلٍ وسبيلٍ، حقاً ليسَ بالكذب، وجدّاً ليس باللعبِ، حتى كأنّ مناديَ الحشرِ قد أُمِرَ فيكم بالنِداء، ومُنعَ أن يقبَل منكم عِوضاً أو يسمَح بالفداء، فسمعاً يا بني الأمواتِ لداعي آبائكم سَمعاً، وقمعاً بذِكر هادِمِ اللّذاتِ لجامحِ أهوائكم قمعاً، وقطْعاً لرجاء بقائِكم في دارِ الفناء قطعاً، أُسوةً من كان أشدّ منكم قوةً وأكثرَ جمعاً.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن أماتَ بذكرِ المماتِ أمله، وأحيا بإحياء الباقياتِ الصالحاتِ عمَلهُ، وأعمل في النجاةِ مِن سوء البياتِ حيلَهُ، وأنفقَ فبواقيَ الساعاتِ والأوقاتِ فيما خُلقَ له.

إنَّ أغضَّ ما تُليَ على الأبدِ وأحضّ المواعِظِ على اتّباعِ الرّشَدِ، كلامُ رافع السماء بغيرِ عمد، ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠١، ١٠٢].

❀ ❀ ❀

---

(١) الداخر: الذليل.

الخطبة السابعة
في الموت

الحمدُ للهِ الواحدِ الذي لا تُثنَى بعَدِّهِ الخناصِرُ الصمدِ الذي لا تمازِجُهُ الطبائعُ ولا تمدُّهُ العناصرُ، الفردِ الذي لا ينبغي لهُ الشركاءُ ولا تُشابكُهُ الأواصِرُ، العزيزِ الذي قلّ له على أفعالِهِ المعاونُ والناصِرُ، الجبّارِ الذي لا يتخيّلهُ وهمٌ ولا يجري به خاطِرُ، القهّارِ الذي لا يُعجزُهُ بادٍ ولا يفوتُهُ حاضر، أحمَدُهُ على ما يُحمدُ عليهِ سواهُ، وأستقيلهُ استقالةَ عبدٍ معترفٍ بما جناهُ، وأسألهُ العونَ على ما يُحبُّه ويَرْضاهُ، وأشهدُ بقوّةِ اليقينِ والإخلاص أن لا إلهَ إلا الله.

وأشهدُ أنّ محمداً عبدٌ شرّفهُ وحَباه، ونذيرٌ أزلفهُ واجتباه، أظهرَ بهِ الحقّ وأعلاه، ودمّرَ بهِ الباطلَ فعفّاه، وأزالَ به الشكّ فنفاه، وأحالَ به الشركَ وأخفاه، وأخلص به الدينَ فصفّاه، ثم اختارَ له ما عندهُ فتوفاه، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ ومَن والاه صلاةَ يُنيرُ بها مناقبَهُ وعُلاه، وسلم تسليماً.

أيها الناس: رحلَ الناسُ فعلامَ تعريجُ المتثبّطين، وأدلجوا[1]

---

(١) الإدلاج: بالقطع وتخفيف الدال السير أول الليل، ويدرج الهمزة وتخفيف الدال السير آخر الليل.

في غياهب الحادثاتِ فإلامَ سِنَةُ المفرِّطين، وتسلّطتْ على الكافّة يدُ المنونِ فحتّام[١] غِرَّةُ المتسلّطينَ، ونفذَ القضاءُ بالكائنِ فما وجهُ تسخُّطِ المتسخِّطين.

أأُشربتِ القلوبُ طَمعاً كاذباً، أم أُصبحتِ النفوسُ أملاً خائباً، أم لا يُصدِّقُ امرؤ بما كانَ عن عينيهِ غائباً، أم فُقدَ الموتُ فليسَ بما حلّ من دَينِه مُطالباً، هيهاتَ بلْ أغفلتم حراسةَ القلوبِ فأمكنَ العدوَّ مَنيعُها، وأهملْتُم سياسةَ النفوسِ فاستحكمَ في البلاءِ وقوعُها، وأطلقتُم أعِنتها في الشهواتِ فعسُرَ عليكم رجوعُها، وأنفقتُم أوقاتها في التبعاتِ فأفقرَكم تضييعُها، وكأنكم واللهِ بكلّ رطبٍ منكم يابساً، وبكلٍّ طَلْقٍ عابساً، وبكلٍّ آهلٍ دارساً، وبكلٍّ آملٍ آيساً، قد عدِمَ نفنفاً، ولَزِمَ صفصفاً[٢]، وجاورَ أمواتاً، وعادَ رُفاتاً، يَوَدُّ أن لم يكُن شيئاً مذكوراً، عندَ معاينتهِ مُنكراً ونكيراً.

يا لها مِحنةً أعدَمَتِ الألبابَ، ومسألةَ ألزمتِ الجوابَ، وحَيرةً جمْجَمتِ[٣] الخطابَ، وروعَةً أبهمتِ الصوابَ، إذ سُئِلَ عن ربهِ الذي عَبَدهُ، ودينهِ الذي اعتقدهُ، ونبيّه الذي أرشدهُ وعمْرِهِ فيما أنفَدَهُ، وفيُخبِرُ كلّ بما كانَ لهُ طالباً، وعليهِ أيامَ حياتهِ مواظِباً، هنالكَ تُرتَهن النفوسُ بإقرارِها، وتُوقرُ الظهورُ بأوزارِها، وتطولُ الحسراتُ على إصرارِها، ولا يُؤذَنُ لها في اعتذارِها.

فرحمَ اللهُ سامعاً وعى ما استَمع، وراجِعاً أنابَ إلى اللهِ

---

(١) أي حتى متى.

(٢) النفنف: المهوى بين الجبلين، والصفصف: المستوي من الأرض.

(٣) جمجم الكلام لم يُبنهُ.

فارتدَع، وجامعاً مِن شَمل قلبهِ ما انصدَع، وزارِعاً تحرّى فأطابَ مـــا زَرَع، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤٣] يوم يُصاحُ بكم من الأجداثِ فتُسْرِعون، يومَ تساقونَ إلى القيامةِ فتُجمعون، يومَ تُجازَوْنَ بما كنتم تصنعون، يومَ تُنادَوْنَ من قبلِ اللهِ فتسمعون، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

جعلنا الله وإياكم ممن نُبِّه فانتبه، واتّضحَ له مِن سبيلِ الحقِّ ما اشتبه، وكانَ اللهُ قصدَهُ وطلبتَهُ حيثُ اتجه.

إنّ أقطعَ الكلامِ لموادِّ الشكوكِ، وأبدَعَ ما رُصّعَ بهِ نظامُ القولِ المحبوكِ، كلامُ خالقِ الخلقِ ومالكِ الملوك، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثامنة
في الموت

الحمدُ للهِ النافعِ اتّقاؤهُ، الواسعِ عَطاؤهُ، الساطعِ بهاؤُهُ، الواقعِ قضاؤه، الذي جعلَ الموتَ لبريّته مآلاً، وصرّفهم بمشيئتهِ حالاً فحالاً، أحمدُهُ على إيجابِ ما أسْدَى ومَنَح، وأعوذُ بهِ من ارتكابِ ما أرْدَى وفضَح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ ماض في شهادتهِ لا متبِّط، راضٍ بإرادتهِ غير متسخِّط.

وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ والناسُ إلى كلّ ناعقةٍ مصيخون، وبكلّ بائقةٍ مَرْضوخون[1]، وفي كل عمهٍ موجفُونَ، ولكلِّ سَفَهٍ مقتفونَ، فأجارهمُ اللهُ بنبيّهِ صلى الله عليهِ من الفتنِ المُضِلّةِ، وأعزَّهمْ بسلطانهِ بعدَ الذِلة، وحسمَ بدوائهِ كلّ علة، وهيْمَنَ بملَّتهِ على كلّي ملة، صلى الله عليه وعلى آله المصطفينَ من أطهرِ جبلّه، صلاةً دائمةً على الأبدِ غيرَ مضمحلة، وسلم تسليماً.

---

(١) مصيخون: مستمعون، ومرضوخون: من رضخ رأسه بالحجر أي رضَّه، والبائقة: المصيبة. كناية عن شدة أثر المصيبة عليهم.

أيها الناس: استدرِكوا سوابقَ الحَوبات[١]، بلواحق التوبات، واغسلوا درَنَ التبِعاتِ، بسِجال العَبراتِ، وأديموا ذكرَ هادمِ اللّذاتِ، في مواطنِ الخلواتِ، فإنّهُ الآخِذُ بالكظائم، والجابذُ إلى موردِ العظائم، كاشفُ أغطيةِ القيامةِ، وأولُ أنديةِ الحسرةِ والندامة، قاطعُ العلائقِ، ومبيدُ الخلائقِ، ومُحقُّ الحقائق، وأفظُّ حادٍ وسائق، مستحِثُّ الآخرة، وبابُ الحافرة، الموتُ المفرِّقُ بينَ الأحياءِ، الذي أعيا دواؤُهُ على الأطباء فأسرِعْ به مُنفقاً ما ادّخر، وملحِقاً مَن غَبرَ بمن دَثر، حتى لا يدعَ وصيداً إلا قرعَهُ، ولا مَشيداً إلا ضعْضَعهُ، ولا شَملاً إلّا صَدَعهُ، ولا وصلاً إلا قَطَعهُ، ولا مُعاراً إلا ارتجعهُ، ولا جباراً إلا صرَعه.

وكأنْ قد حرك على أحدِكم سواكنَهُ، وشبكَ في انتزاعِ روحِه برائِنَهُ[٢]، فاستمرت بنارِه مَفاصِلُه، وظهرتْ لاقتدارِه مقاتلُه، واختُطفَ رُقادُه، ورجفَ فؤادُهُ، واختلفَ عُوّاده، وأزِفَ بعادُهُ[٣]، وأصبحَ ذا جسدٍ بالٍ، وأنينٍ عالٍ، وحراكٍ غالٍ، وهلاكٍ مُتوالٍ، وفؤادٍ سالٍ، عن كلّ أهل ومالٍ، قد أذابتْ عليهِ نارُ المنونِ، جوامِدَ مياهِ العيونِ، وإنجابَ ظلامُ شكّهِ عن صُبحِ اليقينِ، فعندَ ذلكَ قالَ ربِّ ارجِعون، هيهاتَ إنها أمنيّةٌ لا تحق، وقلبٌ مُسَلّط لا يُرحَمُ ولا يرِقّ، وخَطبٌ يجلّ عن الوصفِ ويدِقّ، وطريقٌ يطولُ على المسافر ويشقّ طريقٌ معقودٌ بالآخرةِ آخرُهُ، مردودٌ في

(١) الحوبات: جمع حَوْبة وهي الإثم، كالحُوب بالضم.

(٢) البراثن: من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، والمخلبُ ظفرُ البرثن.

(٣) البِعاد: مصدر باعد.

الحافرةِ مسافرُهُ، فَقيدُ الطّلعةِ راكبُهُ، بعيدُ الرجعةِ غائبُهُ، قد كُتبَ في جرائدِ الأممِ الخاليةِ، ونُسبَ إلى هوامدِ الرُّمَمِ البالية(١)، محجوباً عن الدنيا وأهلِها، مطلوباً بجرائمه كلها.

فرحم اللهُ امرأ جعلَ هذا الحديثَ لهُ درساً، وأطابَ عما هوَ منقولٌ عنهُ نفساً وأعدّ الزادَ قبلَ الرحيل، ومهّدَ المِهادَ قبل التحويل، فإنّه على ما قدّمَ يقدَمُ، وبحُكمه عليهِ في القيامةِ يُحكَمُ.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن أدارَ في مواقعِ الغير خاطرَهُ، وأنارَ بودائع العبَرِ قلبَهُ وناظِرَهُ، وعلِمَ أنّ عائقَ الفوتِ يقطعُهُ عن المرادِ فبادَرَه وكان ذكرُ الموتِ عن الونيةِ(٢) والتّخلُّفِ زاجرُه.

إنّ أولى ما قبله العقلُ، واتّفقَ على الأخذِ بهِ القولُ والفعل، كلامُ مَن ليسَ له شِبهٌ ولا مثلٌ، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٠٥-٢٠٧].

❁ ❁ ❁

(١) الرمم جمع رِمّة وهي العظم البالي.

(٢) الونيّة: الفترة.

الخطبة التاسعة
في ذكر الموت

الحمدُ للهِ العليّ الذي لا يَضعهُ عن مجدِهِ واضع، الوفيّ الذي لا يقطعهُ عن إنجازِ وعدِهِ قاطِع، القوي الذي لا يدفعُهُ عن مرادهِ دافع، الغنيّ الذي ليسَ لهُ في ملكهِ شريكٌ ولا مُنازِع، أحمدُه والحمدُ له واجب، وأنزّهُهُ عما يفتريهِ عليهِ الكاذِب، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ مَن خلُصَ بالشهادةِ يقينُه، وسلِم من شبهِ الشكِّ دينُه.

وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ حينَ أظهرَ الطاعوتُ بِدعهُ، ودمَّرَ المنحوتُ تبعَه[1]، واستخفّ الكفرُ شيعَهُ، وأساغتِ الكافّةُ جُرعَه، فقشَعَ اللهُ بمحمدٍ صلى الله عليه قزَعَهُ[2]، وأطفأ بنورِهِ لمعهُ، وقوَّمَ بِهِ الجاهلَ وردَعَهُ، وحطّم به الباطلَ وقمعَهُ، وحسمَ بِهِ العذرَ وقطعَهُ، ونظمَ بِهِ الشمل وجَمعهُ، وشَهَرَ بِهِ الدينَ وشرَعَهُ، وأعزّ بسلطانِهِ الحقّ ومَن اتّبعه، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ ومَن آمنَ معه، كما شرّف بذكرهِ أعيانه وجُمَعَه، وسلم تسليماً.

---

(١) المنحوت هو الصنم، والتبع التابع.

(٢) القزع: جمع قزعة وهي قطعة من السحاب رقيقة.

أيها الناس: إنّ الموتَ لكم مُناجِزٌ، ليس بينه وبين أرواحكم حاجِزٌ، وكلٌّ عما أُمِرَ به عاجَزٌ، لا يحفزُهُ إلى خلاصِ نفسهِ حافِزٌ، قد ضربَتِ الغفلةُ على قلبهِ سُرادِقها وحَجَبَتِ الأمامُ عن فكره بوائقَها وغيّبتِ المنونُ عن بالهِ حقائقها ونصبت عليهِ من حيثُ يأمنُ مجانِقُها.

فبينا هو راكضٌ في ميدان لعبه، خائضٌ في غمراتِ أرَبِهِ، معارضٌ صدقَ أجلِهِ بكذبه ناهِضٌ في غيرِ ما أُمِرَ به، إذ قطعَ الزمانُ منهُ ما وصَلَه، وارتجعَ فيما وهبَ له، وتيقظَ فيهِ لما كانَ أغفله، حينَ بلغَ الكتابُ أجلهُ، فأصبحَ الدهرُ عليه صائلاً، والسّقْمُ في أعضائهِ جائلاً، ورونقُ الحياةِ عنهُ زائلاً، والموتُ بينهُ وبينَ أملهِ حائلاً، قد حلّ بهِ الحتفُ المُراصِدُ، وقلّ لهُ على حالهِ المساعد، وأسلمهُ الولدُ والوالدُ، ورحمهُ العدوُّ والحاسِدُ.

يا له مبضّعاً(١) بأفواهِ المنون، مشيّعاً بأمواهِ العيون(٢)، مستبدلاً من الحركةِ بالسّكون، مرتحلاً إلى معسكر سالفِ القرونِ، قليلاً بطؤُهُ ذليلاً شطؤُه(٣)، جليلاً رزؤُه، ثقيلاً عبؤُهُ، مُحتملاً على مركب من مراكب الأهوالِ، تتهاداهُ مناكِبُ الرجالِ، إلى ديار الأمواتِ، ومدارِ الآفاتِ، منازلِ قومٍ كانوا فبانوا، وأزلّ عزّهم الموتُ فهانوا.

فرحِمَ اللهُ امرأ مال إلى عرصاتهم، وأطال المسألة عن حالاتهم، فجعل الفكرةَ فيهم له خِطاباً، والعبرةَ بهم عنهم جواباً،

---

(١) أي مقطعاً.

(٢) أمواه: جمع ماء كما تُجمع على مياه.

(٣) الشطء: الزرع والنبات.

أخلقَ والله منهم الجديد، وفرّق أوصالهم الصعيد، ومزّق أكفانهم الصديد، ووهَنَ منهم الجلدُ والجليدُ، واستوى في حالهم الموالي والعبيدُ، وأبادَ جمعهُم المبيدُ، وأشكل علينا منهم الشقي والسعيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد.

جعلنا الله وإياكم ممن ذكر أيامه، فحذر مقامهُ وشكر إنعامَه فاستوجب في المعادِ إتمامهُ.

إنّ كتابَ اللهِ أولى ما اتُّبع وكلامَه أحلى ما استُمع، فتدبّروا أمثاله أيها العالمون، وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون. ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٠٥-٢٠٧].

ذم الدنيا
والحض
على
قيام الليل

وفيه خطبة واحدة.

خطبة
في ذم الدنيا والحض على قيام الليل

الحمدُ للهِ المجيرِ الذي لا يُجارُ عليه، القديرِ الذي لا ملجأ منه إلا إليه، الحسيبِ الذي لا يَضيعُ عملُ عامِلٍ لديه، الرقيبِ الذي ملكوتُ كلّ شيء بيدَيْه، أحمدُه شاكراً وأتوبُ إليه غافراً، وأستعينهُ ناصِراً، وأسلم لقضائهِ صابراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً لا إله لنا سواه، ورباً لا نعبُدُ إلا إياه.

وأشهد أن محمداً عبدٌ استخلصُه واصطفاه، ونبيّ انتخبهُ واجتباهُ، أيّدَ به الحقَّ وأعلاهُ، وهدّ به الباطلَ وأوْهاه، وأقامَ به العدلَ وأحياهُ، وأماتَ به الجَوْرَ وعَفّاه، صلى الله عليه وعلى آله ومَنْ والاهُ، كما اختارهُ لإقامةِ دينِهِ وارتضاهُ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنَّ الدنيا قد أدبرت وآذَنَتْ بانقلاع، وإنّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطّلاع، فتزوّدوا من دار المُحالِ، لدارِ المآلِ، وخُذوا من الحياة الفانيةِ المنكّدةِ، للحياةِ الباقيةِ المؤبّدةِ، واعلموا أنّ الدنيا مفازةٌ فيها الطريقُ إلى الآخرة وقَنْطَرةٌ عليها

الجوازُ إلى الساهرةُ، فأنيرواُ مسالكَها بصيامِ هواجِرها، واقطَعُوا مهالكَها، بقيامِ دياجِرِها[١]، فإنّهُ مَنِ اتّخَذَ اللَيلَ جَمَلاً، قطَعَ عليه مَفاوزَ الهَلكاتِ، ومَن تيقّظَ لحراسةِ نفسِهِ أمنَ هجومَ السيّآتِ، وَمَن جعل الدنيا معقِلاً أسْلمتْهُ إلى نوازِل الآفاتِ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ واستقصِروا أجَلاً آخرُه الموتُ وإن طال، واستصغِروا أملاً يحجُبُه الفوتُ أن يُنالَ، فلو لَوحَتْ لكم طلائعُ الآجالِ، لافتضحَتْ عندكم خَوادعُ الآمالِ، وكأن قدِ انكشفَ لكم مستورُها، ورَدِفَ لكم حضورُها، ووقعَ بكم مقدورُها، وأسرَع إليكم كُرورُها، فهتَكَ حُجُبَ الغيوبِ وانتهكَ ثمرَ القلوبِ، واسترجعَ الودائعَ، واستودَعَ الفجائعَ، وشتَّتَ الشَّملَ، وبَتَّت الوَصْل، وأترع[٢] مُمِراتِ الكؤوس، وانتزعَ نفيساتِ النفوس، وبترَ العلائق، وأظهر الحقائق، ورَدّ الأجسامَ إلى ما خُلقَتْ منه، وأوردَ الأنامَ مورِداً لا محيصَ لهم عنه، فصارتِ الفلواتُ مساكنَهم، والظُلُماتُ مواطنَهم، تُرّاكاً لما جمعوه، مُلاكاً لما زرعوهُ، أغنياء عما خلّفوهُ، فُقراء إلى ما أسلفوهُ، خُموداً في بطونِ الأرض، إلى يومِ الحساب والعَرْضِ.

هنالك يُساقُ العالم سَوقاً حثيثاً، ولا يجدُ الظالمُ مِن اللهِ مُجيراً ولا مُغيثاً، وتمتاز[٣] الخليقةُ طيباً وخبيثاً، ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النِّساء: ٤٢].

---

(١) جمع ديجور وهو شدة الظلام.

(٢) أتْرع: ملأ.

(٣) أي تتميّز.

حصننا الله وإياكم من الدنيا وحُتوفها، وسلّمنا وإياكم مِن مواردِ خُسوفِها، وأمّننا وإياكم مِن قوارعِ صُروفِها، وجنّبنا وإياكم خُدَعَ غرورِها وتسويفها.

إنّ اشرحَ المقالِ الأبيّ، وأفصح اللسان العربيّ، وأوضحَ البرهانِ الجليّ، كلامُ المقتدِرِ العليّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المُزمّل: ١-٨].

❊ ❊ ❊

ذكر يوم القيامة

وفيه خطبتان.

الخطبة الأولى
في ذكر يوم القيامة

الحمدُ للهِ مصرِّفِ الأمورِ تدبيرُهُ، ومسهِّلِ العسيرِ تيسيرُه، ومحسّنِ الخَلقِ تصويرُهُ، وباسطِ الرزقِ تقديرُه، الذي عُدِمَ شبههُ ونظيرُهُ، وأُبهِم على وهمِ الخَواطِرِ تفسيرُهُ، وتقدَّمَ قبلَ عذابِه تحذيره، وقصم أهلَ العتوِ والاستكبار نكيره، أحمدهُ حمدَ مَن برَّزَ في حمدِهِ تشميرُه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ مخلصٍ بالشهادةِ ضميرُه وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسله حينَ ادلَهمّت من الكفرِ دياجيرُهُ[1]، واطلخَمّت منَ الضلالِ غباشيره[2]، وأصَمّتِ الأصماعَ زماجيرُه[3]، وعمّت البقاعَ أعاصيرُهُ، فقامَ محمدٌ صلى اللهُ عليه ساطعاً في البلادِ نورُهُ، دافعاً للعِنادِ ظهوره، مبشرة بالفلاحِ أساريرُه، ميسّرَةً بهِ مِن فلقِ الحقِّ تباشيرُهُ، حتى

(١) دياجير: جمع ديجور وهو شدة الظلام، وادلهم: اشتد ظلامه.
(٢) اطلخمّت: اطلَخَمّ الليل اشتد ظلامه، والغباشير بما بين الغروب والعشاء.
(٣) الزماجير: جمع زمجرة وهي كثرة الصياح والصخب.

دخلَ في الإيمانِ منَ الخلقِ جُمهورُهُ، ونقَرَ في قلوبِ أهلِ اليقينِ ناقورُه، وتكاملَ بذلك للرسولِ سُرورُه، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ صلاة يتجددُ بها حبورُه، ويشرَّفُ بها في المعادِ بعثَهُ ونشورُه وسلم تسليماً.

أيها الناس: قلقِلوا القلوبَ عن مراقدِ غفلاتِها، واعدِلوا بالنفوسِ عن مواردِ شهواتِها، وذلّلوا جَوامحَها بذكرِ هجومِ مَماتِها، وتخيلوا فضائحها يوم تُعرفُ بسماتِها، وترقبوا داعياً مِن جوّ السماءِ تُنشرُ به الرّمَمُ، وتُحشرُ لهُ الأممُ، ونزولُ معهُ التُهمُ، ويطولَ عِندَهُ الأسفُ والنَدَمُ، يا لهُ داعياً أسمعَ العظامَ البالية، ومنادياً جمعَ الأجسامَ المتلاشيَة، مِن حواصلِ الطيورِ وبُطونِ السّباع، وقَرارِ البحورِ ومتونِ اليفاعِ[1]، حتى استقام كل عضوٍ في موضعهِ، وقامَ كلُّ شِلْوٍ[2] من مصرعِهِ فنهضْتُم أيها الناس لميقاتِ الكرّةِ، وبوجوهٍ مِن هَبواتِ الثّرى مُغبرةٍ، وألوانٍ مِنْ هولِ ما تَرَى مُصْفَرّةٍ، حفاةً عراة كما بَدَأكم أوّلَ مرةٍ، يُسمِعُكمُ الداعي وينفُذُكم البصَرُ، قد ألجمكُمُ العَرَقُ وغَشيَكُمُ القترُ، ومادتِ[3] الأرضُ فهيَ بما عليها ترْجُفُ، وبُسّتِ الجبالُ فهي برياحِ القيامةِ تُنْسَفُ، وشخصتِ الأبصارُ فما تُرى عينٌ تطرفُ، وغصَّ بأهلِ السماء وأهلِ الأرضِ الموقفُ.

فبينا الخلائقُ بتوكّفونَ حقيقةَ أنبائها وقوفاً، والملكَ على أرجائها صفوفاً، إذ أحاطت بهم ظُلماتُ ذاتِ الشعبِ[4]،

---

(١) اليفاع: ما وقع من الأرض.

(٢) الشِّلو: العضو من أعضاء اللحم.

(٣) مادت: تحركت.

وغَشيهُم منها شُواظُ نحاسٍ ولَهَبٍ، وسمعوا لها جرجرةَ زفيرٍ مُصطخِبٍ، يُفْصِحِ عن شِدّةٍ تغيّظ وغَضب، فعندَ ذلك جثم القائمونَ على الرّكبِ، وأيقنَ المجرمونَ بالعَطبِ، وأشفقَ البُراءُ من سوء المُنقَلبِ، وأطرقَ النُبّاء(١) للسلطانِ الرهبِ، ونوديَ أينَ عبدُاللهِ وابنُ أمتِه، أينَ المسوِّفُ نفسَهُ بخديعتِهِ، أينَ المختطفُ بالموتِ على حينِ غرّتِهِ، فعُرِف من بينِ الخلائقِ بسِمَتِه، وأُحضرَ لتصفُّحِ صحيفتِهِ، والموافقةِ على ما أسلفَ في مُدّتِه، مطالَباً بإقامةِ حُجّتِهِ، مُروّعاً بينَ يدي عالِم خَفِيّتِهِ، بوقعِ خطابِ كالصواقعِ، ولذعِ عِتاب كالمقامِعِ وشهادةِ كتاب للفضائحِ جامع، وصحةِ حسابٍ للمعاذير قاطع، فخابَ واللهِ هنالكَ مَن كانَ على نفسهِ مُسرفاً ولم يجد مِن خلَطائِه مُنيلاً ولا مُسعفاً، بل وجدَ الحاكمَ لهُ وعليه عدلاً مُنْصفاً ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

عَدَلَ اللهُ بنا وبكم إلى سبيل السّلامةِ، وحملَ عنّا وعنكم أعباء الظّلامةِ، وجعلَ الإخلاصَ بتوحيدِه نوراً لنا في ظُلماتِ القيامةِ.

إنّ أغزرَ ينابيعِ الحِكم، وأنورَ مصابيحِ الظلم كلامُ باري النَسَم، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقّة: ١٣-١٨].

---

(١) ذات الشعب: النار.

(٢) النباء: جمع نبي، والأكثر في الاستعمال الأنبياء.

الخطبة الثانية
في ذكر القيامة

الحمدُ لله العليّ على ضروبِ الممالك، الخليِّ منَ النسيب والمشارك، البعيدِ من الضريبِ والمشابكِ، النزيهِ عن المناوي والمماحِكِ، الذي أسعد بجواره من خافهُ وأتقاهُ، وأبعدَ إلى ناره مَن آسفُهُ فأشقاه، أحمَدُه على ما استأثرَ به مِن نعمهِ وأبقاهُ. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عُدّةً من الشدائدِ يومَ ألقاه وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسوله أرسلهُ دليلاً على الرّشادِ، وكفيلاً بإنجاز الميعادِ، ومذكراً بيوم المعادِ، ومحذّراً من الإبعادِ، فدلّ على التجارةِ الرابحةِ، وشرَعَ مناهجَ السُّبلِ الواضحةِ، وألزمَ الحُجّةَ بالدلائلِ اللائحةِ، ولم يألُ جهداً في المناصحةِ، حتى رَفَلَ الدينُ في أذيالهِ، واعتدل في جميع أحواله، وأقبلَ إليه الناسُ بإقباله، صلى الله عليه وعلى آله.

أيها الناس: اهتفوا بالقلوبِ لعلها تهبُّ مِن وسَنِ رُقادِها، واصرفوا أعنّةَ أهواءِ النفوسِ عن مواردِ إبعادِها، واعرفوا آجلَ إصدارِ الأمورِ بعاجِلِ إيرادِها، واقتفوا في دارِ النقلة والزوالِ آثار زُهّادِها، فقد ناحَتِ الدنيا على أهلها بألسُنِ انقلابها، ولاحَتْ

لهم من الآخرة شواهدُ اقترابها، وأنتم عما قد أظلكم منها غافلون، وبما غرّكم وألهاكم عنها متشاغلونَ، كأنكم بحقيقةِ معرفتِها جاهلون، أو كأنكم إلى دارِ غيرها راحلونَ.

فارفُضوا رحمكمُ الله ما أنتم عنه منقلبون، وانهضوا في التزوّد لما إليه تؤولونَ، فإنّ صيحة تُشقّقُ القلوب عن حبّاتها(١)، وتُلحِقُ الأحياء بأمواتِها، لأهلٌ أن يُطيشَ العقولَ ذكرُ ميقاتِها، وتذهلُ النفوسُ عن ملذّة حياتها، وتسيلَ من العيونِ سِجال عبراتِها، وتشغلِ الجوارحُ باكتسابِ حسناتِها، فكيف ومِن ورائِها صيحةُ العرْضِ، الجامعةُ أهلَ السماءِ والأرض، في صعيدٍ صعب المرامِ، مُدْلَهم القتامِ(٢) ضنكِ المقامِ، حرجِ اللزام(٣)، تستكُّ(٤) فيه الأسماع من رعد القلوبِ، وتحيقُ الأفزاغ بأهل الذنوب، وتشخصُ الأبصارُ لتوقّعِ المرهوبِ، وتُفحصُ الأسرار في اليوم الدّبوب(٥)، ويتجلى الربُّ لمحاسبةِ المربوب، وهو الكفيلُ بردّ المظالمِ والغُصوبِ، فمن الناهضُ بإقامةِ الجوابِ، عند وقوعِ السؤالِ لفصلِ الخطابِ، عند دعاء الداعي إلى الشيء العُجابِ، عند وقوع السؤالِ لفصلِ الخطابِ، عند دعاء الداعي إلى الشيء العُجاب عند هتكِ الأستار وستر الأنساب.

هنالك يُسمعون النداءَ من قبلِ الجبار. ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ

---

(١) حبّة القلب: سويداؤه.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) اللزام: الملازمة.

(٤) تستكّ: استكت الأسماع صمّت وانسدّت.

(٥) الدّبوب والديوب النمّام، ومنه لا يدخل الجنة ديبوب.

ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] اليوم اسمُ جباه المجرمين بسماتِ العارِ، اليوم اقتصّ للمظلوم من الظالمِ بالصّغار، اليوم أجعلُ الأعمال قلائدَ في الرّقابِ، اليوم أحمل حمال الكتاب على حُكمِ الكتابِ، اليوم أنتقمُ ممن غرّه حِلمي وإرخاء الحجاب، اليوم تُجزى كلّ نفس بما كسبتْ لا ظُلم اليومَ إن الله سريعُ الحسابِ.

أظلّنا اللهُ وإياكم في فلك اليوم بظلّ عرشهِ، ووقانا وإياكم أليمَ بطْشِهِ، وأعاذنا وإياكم من غضبهِ، وجعلنا وإياكم له وبه.

إنّ أمتعَ النظام العبِ، وأوقعَ الكلام في القلبِ كلامُ الصمدِ الربِّ. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٨-٧٠].

❀ ❀ ❀

الزهد

وفيه خطبة واحدة.

خطبة
في الزهد (تعرف بالصوفية)

الحمدُ للهِ مُختارِ مَن يصطفيهِ مِن عبادِهِ، موفّقِ مَن يجتبيهِ لمرادِهِ، ومؤيّدِهم بتسديدهِ وإرشادِه، وساترِهم بستورِ الاختصاصِ في أكنافِ بلادِهِ أحمَدُهُ للتوفيق للثناءِ عليهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً تُزلِفُ لديه وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسلهُ حينَ برَقَ مِن سحابِ الكفرِ خُلّبُهُ[1]، ونطقَ بعُجابِ الشعرِ أكلُبُه، وستر شمسَ اليقينِ دُخانه، وعُبدَت من دون الحقِ المبين أوثانُه، فلم يَزَلْ صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ يطفئ بالإيمان ضِرامَها، ويبرئ بالقرآنِ سقامَها، ويجلو بنورِ الإسلام قتامَها[2]، ويعلو بحول ذي الجلالِ والإكرام أصنامَها، حتى تهذّبَ مشربُ الإيمانِ فَطابَ وتصوّبَ كوكبُ البهتانِ فغابَ، وخسرَ عابدُ الشيطان فخابَ، وظفِر مَن أنابَ إلى الرحمنِ فتابَ، صلى الله عليهِ وعلى آلهِ صلاةً يُجزلُ لهم بها الثّوابَ، ويُحِلّهُم بها في المنازلِ الرّحابِ، وسلّم تسليماً.

---

(١) السحاب الخُلّب: الذي لا مطر فيه، فإنه يخلب أي يُخدع ناظره.

(٢) القَتام: الغبار.

أيها الناس: إنّ تقوى اللهِ سببٌ برضاهُ متصل، ورِضاهُ غايةٌ يحررُها العملُ، والعملُ ممكنٌ يُرجئه الأملُ، والأملُ مطيّةٌ ميدانُها المهلُ، والمهلُ لذةٌ يهدِمُها الأجَلُ، والأجلُ باغتٌ تضيقُ بدفعهِ الحِيَل.

فأطلِقوا رحمكمُ اللهُ أعِنّةَ الأعمال، في حَلباتِ الإمهالِ، وأنفِقوا تُلنَّةَ[1] عُنفوانِ الآجال، في طُرقاتِ المآل، وانظُروا لنفوسكم نظرَ أولي الأحلامِ الثّقالِ[2]، وادّخروا ذخائركم حيثُ ذخائرُ الأبدالِ، الذينَ فَنَموا النفوسَ بسياطِ الإشفاقِ، وقطعُوا الأطماعَ بسيوفِ الإملاقِ[3]، وقَمَعوا الأهواء بذكرِ يومِ التّلاقِ، وكرعُوا من المصافاةِ كؤوساً حُلْوَةَ المذاقِ، ونزّهتهُمُ الهممُ العلويةُ عن دنياتِ الأخلاق، ونبّهتهُم القسمُ القدسيةُ على الوفاء بالميثاقِ، أولئكَ الذينَ وخدَتْ[4] بهم مطايا الهِمَم، مرقلةً[5] تحتَ جلابيبِ الظُّلَم، على أقصدِ سمتٍ وأرشدِ لَقَم[6]، حتى أناختْ بهم في رياضَ الحِكم، فهم تحتَ أشجارِها يتقيلونَ، وبنسيم أنوارها يتعللونَ، تسمع لقلوبهم من خَوفِ مأمولهم وجيباً[7]، ويُبدِي لهم

---

(١) التلُنّة: الحاجة.

(٢) أي أصحاب العقول الرزينة.

(٣) الإملاء: الفقر.

(٤) وخَدَت. وخدُ البعير أسرع.

(٥) الإرقال: نوع من الخبب، والخببُ خطوٌ فسيحٌ دون العنق، وهذه كلها أضرُبٌ من سير البعير.

(٦) اللقم: الطريق الواضح.

(٧) الوجيب: خفقان القلب.

اشتياقُهم إليه زفيراً ونحيباً، قد جَعلوا ذكرَهُ لهم من الدنيا نصيباً، ولم يجدوا لدائهم سواهُ طبيباً، رمَقوا العواقِبَ بالبصائرِ البصيرَةِ وخَرَقوا الغَياهِبَ بالأفكارِ المُنيرةِ، وجنّبوا الجنوبَ مِهادَ الفُرُشِ الوثيرةِ، وغسَلوا الذنوبَ بفيضِ الأدمعِ الغَزيرةِ، وعَقَلوا القلوبَ بعُقلِ الصبرِ المريرةِ، وآثروا المحبوبَ بنفائسِ الأنفُسِ الأثيرة، وصحّحوا معاملة عالمِ الإعلانِ والسريرةِ فأعاضهم قُرَرَ الأعينِ القريرةِ، وأنالهم غرائبَ النُعم الخطيرةِ، وتوَّجَهم بتيجانِ الكرامةِ، وزوّجَهُم بالحورِ الحسانِ في دارِ المُقامةِ، دارٌ وأيّ دارٍ، دارِ الخلدِ والقَرارِ، دارٌ مأمونَة العِثارِ، مشرقةُ الأقطار، متدانيةُ الثمارِ، متلألئةُ الأنوار، معدومةُ الغِيار[1]، مُباحةٌ للصفوةِ الأخيارِ، قد أنِسوا فيها بجوارِ الجبّارِ، وكُوشفوا بحقائقِ سرائرِ الاختيار، وتبوؤا منازلَ الشهداء والأبرار، والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كلِّ بابِ سلامٍ عليكم بما صبرتُم فنعمَ عُقبى الدّار.

ألا فاسلكوا سبيلَ مَن هذهِ سبيلهُ، وأدرِكوا مقبلَ مَن تلك الدارُ مقيلُهُ، قبلَ أن يشتملَ الهدمُ على البناءِ، والكدَرُ على الصّفاء، وينقطعَ من الحياةِ حبلُ الرّجاءِ، وتكونَ المنازلُ تحتَ أطباقِ العراءِ، قبلَ أن يصيرَ الويحُ ويلاً، والقطرُ سَيلاً، والصُّبحُ ليلاً، ويَسحبَ الموتُ على أهلِ السماء والأرضِ ذَيلاً، قبلَ أن يقولَ الشيخُ الكبيرُ واشيبتاه، ويقول الكهلُ الخطيرُ واخجلتاه، ويقول الحدث النّضيرُ واحسرتاه، ويقول الطفلُ الصغيرُ وأفتاه، أجل لقد حزبَهُم من القيامةِ أمرٌ وجلُوا منهُ وأشفْقوا وغَشيَهم مِن

(١) أي لا تتغير.

الندامة ما خَتَم على أفواههم فلم يَنطِقوا ووقَفوا مِن الأعمالِ على ما نكّسوا لهُ الرؤوسَ وأطرقوا، وعاينوا من الأهوالِ ما ودّوا معهُ أنهم لم يُخلقوا.

جعلنا اللهُ وإياكم ممّن اصطفاهُ لنفسه، وأمتعَهُ بنعيم دارِ قُدسه.

إنّ أنورَ البيناتِ وأجمعها، وأكبرَ العِظاتِ وأنفعَها، كلامُ مَن خلَق الأشياءَ فأبْدَعها، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٧٣-٧٥].

❀ ❀ ❀

ذم الدنيا

وفيه خطبة واحدة.

خطبة
في ذم الدنيا

الحمدُ للهِ الشديدِ مِحالُهُ، السديدِ مقالُه، المجيدِ جَلالُهُ، العتيدِ نَوالُه، الذي طفِئتْ كواكبُ أفكارِ المتخيلينَ عِنْدَ التماسِ معرفةِ ذاتهِ، وخَسَأتِ ثواقبُ أبصارِ المتأملينَ دونَ الوصولِ إلى تحصيلِ شبُهاتهِ، ودلّ على أنهُ الواحدُ القديمُ دخولُ الحدَثِ على مخلوقاته، فتبارَكَ الذي لا يوصَفُ إلا بموجودِ حكمهِ وباهرِ آياتهِ، أحمدُهُ على العوارِفِ الجليّةِ، واللطائفِ الخفيّةِ، حمداً يَعمُرُ سبيلَ مواهِبِه، ويقومُ بحقِه وواجِبه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً أخذ اللهُ على أشباحِ الأمم ميثاقَها، وأنارَ في القدمِ إشراقَها، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلَه مِن أبعدِ البريّةِ هِمَماً، وأخمَدِها أمَماً[١]، وأعصَمِها ذِمماً، وأكرمِها لمماً[٢]، وأعدَلِها أُمَماً، وأجملِها جُمعاً[٣]، وأطهرِها شِيماً، وأغزرِها ديماً، إلى أممٍ

---

(١) الأمم: القصد.

(٢) لمماً: جمع لَمة وهي الفرقة.

(٣) جُمماً: جمع جُمّة وهي مجمعُ شعر الناصية.

للباطلِ رائغَة، وعن الحقِّ زائغةٍ، فاقتحمَ صلى اللهُ عليهِ نيرانَها، وأرغَمَ شيطانها، وحطّمَ أوثانَها، وحسَمَ أضغانَها، فأصبحتِ الألبابُ مجمومَه، والأسبابُ مزمومَة، والسُّننُ معلومة، والفتنُ معدومَة، صلى اللهُ عليهِ وعلى آله صلاةً تكونُ بالإيمانِ موسومَةً، وبالرضوان مختُومَة، وسلم تسليماً.

أيها الناس: أصيخُوا بأسماعِ القُلوبِ، لقراعِ الخطوبِ، تسمعوا لهُ دوياً في انتهابِ الأعمارِ، وتجدوهُ مليّا بأخرابِ الديار، وفياً بتحقيقِ الحذَارِ، جليّاً في كرورِ الليل والنهار، أوَ ما في غير الأيامِ وسيرِ الأنامِ، ما دَلّ ذوي الأفهام، على نقصِ التمامِ، ونقضِ الإبرامِ، بعمومِ الحِمامِ[1]، بلى واللهِ ولكنْ رانَ على القلوبِ مُكتَسبُها، وهانَ على النفوسِ مُنقلبُها، حتى تخيَّلتِ الإقامةَ في دارِ الظَعنِ، وأمّلَتِ السلامةَ في مدارِ المحَنِ، أوْلى لها أنفُساً مزمومةً بأزِمّةِ أهوائها، مرحومةً لخطلِ رائِها[2]، مطويّةً في نشرِ أعمارِها، مجزيّةَ بأعلانها وإسرارها، وكأنّ قد أسْمَعَها الموتُ صريفَ أنيابه، وجَرْعَها ذعافَ[3] شرابِهِ، فأيتَمَ وِلدانَها، وأيّمَ نِسوانَها، وأوحشَ أوطانَها، وأهدى إلى المقابرِ أبدانَها، فهشَمَ ثغورَها، ومعّط شعورَها، وبَشَّعَ نَضيرها، وأسرعَ تغييرَها، وأصارها إلى حال العدمِ، كما أصارَ قبلها سالفَ الأُممِ.

أما في ذلكَ عبادَ اللهِ ما أنذرَ بالرحيل، ودلَّ على التحويل،

---

(١) الحِمام: الموت.

(٢) أي خطأ رأيها.

(٣) الذِّعاف: المرّ.

وقَلقَلَ القلوبَ عن القرارِ، وشغلَ عن غرورِ هذه الدارِ، فكيفَ وهو أقربُ منازلِ السَّفَر الطويلِ، وأعذبُ مناهلِ اليومِ الثقيلِ، ذلكَ يومُ فرارِ الخليلِ من الخليلِ، وانحدارِ الملائكةِ قبلاً بعدَ قبيلٍ، فأينَ بكَ أيّها الراسِبُ في غمَرِ تلكَ الأهاويلِ، عندَ التماسِ الخلاصِ وتعذُّر السبيلِ، عندَ لزوم الحجّةِ بقيام الدّليلِ، عندَ المُناقشةِ على النّقيرِ والفَتيلِ(١)، عندَ دُعاء أهلِ الخُسرانِ بالويلِ والعويلِ، هنالكَ يقيلُ المجرمونَ شرّ مَقيلٍ، ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشّورى: ٤٤].

جعلنا اللهُ وإيّاكم ممن نَفَى لعبَه بجِدِّه، وجعلَ أرَبهُ في انحرافِهِ عن الدنيا وزهدِه، وأدامَ تعبَهُ للخلاصِ بجهدِه، واشترى نفسهُ منَ اللهِ باليسيرِ مِن وِجْدِهِ.

إنّ أحسنَ الكلامِ بديهاً، وأكثرَ القولِ على الخيرِ تنبيهاً، كلامُ من لا تجدُ لهُ عديلاً ولا شَبيهاً، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية: ٢٦].

❀ ❀ ❀

---

(١) النقير: النكتة في ظهر النواة، والفتيل ما يكون في شق النواة.

وفاة الرسول ﷺ

وفيها خطبتان.

الخطبة الأولى
في وفاة رسول الله ﷺ

الحمدُ للهِ المنتقِم ممّن خالفَهُ، المُهلِكِ من آسَفَهُ، المتَوحِّدِ في قهرِهِ، المتفرِّدِ بعزِّ أمرِهِ، أحمَدُه حمدَ مُعترفٍ بما أولاهُ، مستقيلٍ مما جَناه، مُستغْفرٍ مِن قبيحِ ما أتاهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلى اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ يقينٍ لا شكّ فيهِ، وقولَ إخلاصٍ بعيداً عما يقولُه الكافرُ ويفتريهِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أئمتهُ على الغيبِ، وبرّأه من كلِّ دنَسٍ وعيبٍ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ أفضلَ الصلواتِ وأزكاها وأحلَّهم من منازلِ الكرامةِ أعلاها، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنه ليس أحدٌ أكرمَ على اللهِ مِن نبيّهِ، ولا أشرفَ عنده مِن محمدٍ نجيِّهِ وصفيِّهِ، وإنه لم يُؤخَّر عندَ انقضاءِ مدّته، ولم يُعمَّر عندَ حضورِ منيّتِهِ، ولقد أتاه في مثلِ شهرِكم هذا[١] مِن رُسُلِ ربّه الكرام، الموكّلون بقبضِ نفوسِ الأنام،

(١) يقصد شهر ربيع الأول، إذ خطب ابن نباتة رحمه الله هذه الخطبة فيه، وقد ارتأينا إلحاقها بخطب الموضوعات أوْلى.

فجدُّوا بروحِه الزكيّةِ لينقُلوها، وعالجوها ليرحَلوها إلى رحمةٍ ورضوانٍ وخيراتٍ حسانٍ، فاشتدّ لذلك كربُه وأنينُهُ، وترادفَ قلقُه وحنينُه، واختلفتْ بالانقباضِ والانبساطِ شِمالُهُ ويمينُه، وعَرِقَ لهولِ مصرعِه جبينُهُ، فبكى لمنظرِه مَن أبصرَهُ، وانتحَب لمصرعِه مَن حضرهُ، فلم يدفعِ الجزعُ عنه مقدوراً، ولا راقبَ الملكُ فيه أهلاً ولا عشيراً، بل امتثل ما كان به مأموراً، واتّبع ما وجدَهُ في اللوحِ مسطوراً، هذا وهو أوّلُ مَن ينشقُّ عنهُ بطنُ الأرضِ، وصاحبُ الشفاعةِ يومَ العرضِ، وهو على يقينٍ مِن السلامةِ في المعادِ، وثقةٍ بالكرامةِ يومَ قيامِ الأشهادِ، فكيفَ بمَنْ لا يعلمُ متى الرحيلُ، ولا يتحققُ أينَ المقيلُ، ولا يدري على ما يَقْدَمُ، ولا بما عليه في القيامةِ يُحكَمُ.

فيا خُلفَ من قد دثَرَ، ويا بقيّةَ مَن قد غَبر، يا إسراء الدنيا، ويا قرناءَ الفَنا[1]، ويا عُدَدَ الآجالِ، ويا عبيدَ الآمالِ، أما تتّعظونِ بمصرعِ محمدٍ صلى الله عليه سيد المرسلين، وإمامِ المتقين وحبيبِ ربِّ العالمين.

أتظنّون أنكم في الدنيا مخلّدون، أم تحسِبونَ أنكم مِن الموتِ محصنُون، ساء ما تتوهَّمون، هيهاتَ هيهاتَ إنكم إذاً لغرورون، جدّ واللهِ الرحيلُ، فاحْتَقبوا[2] زاداً كافياً، ووجب السؤالُ فأعِدّوا جواباً شافياً، فكأنْ قد نَعق بكم ناعقُ الشتاتِ، ودارَت عليكم رَحى الآفاتِ، فلم تستطيعوا نَقصاً مِن السيئاتِ، ولا زيادةً في

---

(١) الفَنا: الفناء أي الزوال.

(٢) احتقبَ الزاد حمله.

الحسناتِ، أين مَن كان قبلكم من القرون، أهلِ العزِّ المصُونِ، الذين كانوا أطولَ منكم أعماراً، وأكثرَ في الأرض آثاراً، قصفَتْ واللهِ المنونُ أعمارَهم، ومحبتِ الحوادثُ آثارَهُم، وعطَّلتْ لفقدِهم عِشارَهم، وأخرب الموتُ ديارَهم، فأضْحَوا رميماً تحتَ أطباقِ الثّرى، وعادوا رُفاتاً من طولِ البِلى، أُكُلاً للهوامّ، ومرتعاً للسّوام(١)، مجالاً للهَواب، إلى يوم الحساب. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزلة: ٦-٨].

جعلنا اللهُ وإياكم ممن ينتفعُ بالوعظِ، وينافسُ في جزيلِ الحظّ.

إنّ أحسنَ ما جَرَى به القولُ، كلامُ مَن لَهُ المنُّ والطَّوْلُ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

❀ ❀ ❀

(١) جمع سامة بالتشديد وهي ذات السم، وبالتخفيف جمع سائمة وهي الماشية في المرعى.

الخطبة الثانية
في وفاة رسول الله ﷺ

الحمدُ للهِ الذي تمّ خلقُهُ فاعتدلَ، وعمَّ رِزقُه فاتّصل، ولزِم شكرُهُ فوجَبَ، وعظُمَ أمرُهُ فغلبَ، أحمَدُهُ حمدَ موفّقٍ لحمدِهِ مصدِّقٍ بوعْدِه، متحقِّقٍ بقصدِهِ، متعلّق برفدِه(١).

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً واجبةً على كلِّ مخلوقٍ ناطقٍ، جالبةً لكلِّ موموق(٢) موافق، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ أرسلهُ والأممُ في جلَباتِ الضلالِ راكضةٌ، وفي طَلباتِ المُحالِ ناهضة، ولمواثيقِ العهودِ ناقضة، وبمخاريقِ الجحودِ مُعارضة، فكانَ صلى اللهُ عليهِ وسلم ثقافَ مُنآدِها(٣)، وذعافَ مُرادّها(٤)، ومصلحَ فسادِها، وموضحَ إرشادها، وحاسمَ

(١) الرفد: العطية والمعونة، وبالفتح الإعانة والإعطاء.

(٢) المرموق: المحبوب.

(٣) الثقاف: ما تُسوّى به الرماح، وتثقيف الرماح تسويتها أو إزالة اعوجاجها. والمنآد: المعوجّ.

(٤) الذعاف: سُمّ الساعة، والمرَّاد: جمع مارد.

أدواتها، وفاطِمَ أهوائها، حتى بسقَتْ أيكَةُ الإيمانِ، وزهقت شوكة البهتان، وتألّقت كواكبُ الإسلام، وتمزقت مواكبُ الطِّغامِ[(١)]، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ الحيرةِ الكرامِ، صلاةً متصلةً بلا نفادٍ ولا انصرام، وسلم تسليماً.

أيها الناس: عمّ الفناءُ فما إلى بقاء سبيل، وتم القضاءُ فما لمبرَمهِ تبديلُ، وطمَّ بحرُ الموتِ فحارَ فيهِ الدليلُ، وأمَّ أختطافَ النفوسِ فهو بهلاكِها كَفيلُ، ولو ردعَ الموتَ شرفٌ أصيلٌ، أو دفعَ القَدْرَ قَدْرٌ جليلٌ، أو منعَ الحذَرَ وَجهٌ جميلٌ، لكانَ أوّلَ ناجٍ بكمالِه الرسولُ.

ولقد تقضّى في مثل شهرِكم هذا أجلُهُ[(٢)]، وأحاطتْ بهِ مِن الموتِ المقدورِ عقلُه، ودَنَتْ لقبضِ نفسهِ النفيسةِ أملاكُهُ، وعزّ على البريةِ من وثاقِ المنيّةِ فكاكُهُ، حتى إذا غصّ بها الحُلقوم، وجاشَ بحشرجتها الحَيزومُ[(٣)]، وامتدتِ اليمينُ وانقبضتِ الشمالُ، وتقلقلتِ الأعضاءُ والأوصالُ، ورشحَ الجبينُ لكربِ السّياق، وآذنَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم بالفِراقِ، نادَته الطاهرةُ البَتولُ، والقلقةُ النكولُ، واكرْبى لكربِكَ يا أبه، فأجابها صلواتُ اللهِ عليه، وقد ودّعها بضمها إليه، لا كربَ على أبيكِ بعدَ اليوم، فأيُّ نحيب عليهِ ما ارتفعَ، وأيُّ طرفٍ عليهِ ما دمعَ، وأيّ حزنٍ لفقْدهِ

(١) الطّغام: الناس.

(٢) يقصد شهر ربيع الأول، وقد خطب بها ﷺ في هذا الشهر وقد رأينا أن نلحقها بخطب الموضوعات أحسن.

(٣) الحيزوم: وسط الصدر.

ما اتّسع، وأيُّ عزاء لبُعدهِ ما امتنعَ، هذا وقد سُقيَ مِن المنيّةِ أعذبَ كؤوسِها، وأمِنَ في القيامةِ رَيْبَ[1] نحوسِها، وهو صاحبُ الشفاعةِ يومَ العرضِ، وأكرمُ أهلِ السماء والأرض، فكيف بالمفتونينَ مِن أهلِ الكبائرِ، الآمنينَ حلولَ الدوائرِ، الذائقينَ مِن الدنيا صفْواً عاقبتُهُ كدر، وحُلْواً خاتمتُه صَبَر، إذا فجئتهمُ البديهةُ، وصُرفَتْ لهم الكأسُ الكريهةُ، وقوبلوا بسيئ أعمالهم، عند حضورِ آجالهم، وتنكّرِ أحوالهم، وتعذّرِ إمهالهم، وانقطاعِ آمالِهم، ومُعاينتهم أملاكَ الغضبِ، المبشّرة بسوء المنقلبِ.

فيا لها مِن صَرْعةٍ ما أضرّها، وجَرْعةٍ ما أمرَّها، ورِحلةٍ ما أقربَها، وخُطةٍ ما أصعَبها، فكيفَ يطمَعُ في البقاء الطامعون، وهم المصدِّقون بما يسمعونَ أم ماذا ينتظرُ المقصِّرون، ويتعلّلُ به المغرورونَ أيحسبونَ أنهم من المَ،ونِ مستورونَ، أم يتوهمونَ أنهم إلى الأبدِ مُؤخَرونَ، ساء ما يستشعرون ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٤٠].

جعلنا الله وإياكم ممن استقصر في الدنيا مدته، وأعدّ لحلولِ الموتِ عُدّته، وأخلقَ في طاعةِ اللهِ مولاهُ شبابهُ وجِدّتَهُ.

إنَّ أبلغَ ما جُليتْ به الأحزانُ، وأنفعَ ما وَعَتْهُ القلوبُ والآذانُ، وأولى ما أُنصِتَ لتلاوتِهِ القرآن، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

❀ ❀ ❀

---

(١) الرّيب: حوادث الدهر.

وصف النار

وفيه خطبة واحدة.

خطبة في ذكر النار

الحمدُ للهِ مُثجِّ السحائبِ ومُفيضِها، ومُزْخِرِ البحار ومُغيضِها، ومُحصي تلاعِ الأرضِ وحَضيضها، ذي القَدَرِ المقدورِ والبأس المحذور، الناشِرِ بقدرته مَن في القُبورِ، أحمدُه حمدَ مَن صَرَفَ بالجودِ عَدَمُهُ[١]، ورَبَتْ عنده صنائعهُ ونِعَمُهُ، وأجزلَتْ له أياديهُ وقِسَمُهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً قَرُبَ بعيدُها، وسَهل شديدُها، وانتصب بالإخلاصِ عَمودها، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلهُ إلى أمة ضالةّ فهداها، وبَهم ساغبةٍ فرعاها[٢]، وسوامٍ[٣] طريدةٍ فآواها، وكان كما ذكر اللهُ تعالى بالمؤمنين رحيماً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أيها الناس: إنَّ نُصْحَ المسلمين فريضةٌ سابقةٌ، وفضيلةٌ

---

(١) العدم: الفقر، قال العلامة طاهر الجزائري رحمه الله: وفي نسخة (أحمده حمْد من صرف بالوجود عدمه) فيكون العدم ضد الوجود.

(٢) البَهْمُ: جمع بهيمة مثل تمْر وتمْرة، والبَهمةُ ولد الضأن، يُطلق على الذكر والأنثى، والساغبة: الجائعة.

(٣) سوامٍ: جمع سائمة، الماشية التي ترعى.

لاحقةٌ، فربّ غافلٍ أيقظهُ عَتَبُ، وراقدٍ نبههُ خَطَبُ، والوصيةُ دعيمةُ العاقلِ، والوعظُ غنيمةُ الغافلِ، فرحم اللهُ امرءاً ذكرَ الموتَ ومشهدَهُ، والصراط وموردِهُ، إذا الحكَمُ الجبّارُ، والشهودُ الأبرارُ، والعمل مُقدّمٌ، والسجنُ جهنّم.

فأين الفرارُ إذا لفَحَ هجيرُها، واضْطَرْمَ سعيرُها، واقمطرّ دمقُها[1] وزمهريرُها، وسَعَت آفاتُها، ونفَخَتْ حيّاتِها، وصعِدت ذوائِبها، وعقّدَتْ عقارِبَها[2]، وتفرقعَ شَرارُها وارتفعَ غُبارُها، وقَطّب[3] خُزّانُها، وكلَح أعوانُها، وهمَّتْ بالصعودِ، وقالت هل مِن مزيد، بلَطَ والله هناك حيلُ المحتالِ، ولم تُغْنِ الذخائرُ وكثرةُ الأموالِ، وحكم بعلمهِ الكبيرُ المتعالُ.

فلاقوا ـ عباد اللهِ ـ ذلك اليوم بوجهٍ مغسولٍ، وقلب مجذولٍ، فالطريق سهلٌ، والحاكِم عدلٌ، ومَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرهُ ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره.

أجارنا الله وإياكم مِن سقر، وألهمنا وإياكم الخوفَ والحذر، وصرفَ عنّا وعنكمُ البوائقَ والغِيَر، وأستغفرُ الله لي ولكم ولجميع المسلمينَ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

---

(١) اقمطرّ: اشتد؛ والدّمقة: ثلجٌ وريح وهو فارسي معرب.

(٢) عقدت عقاربها: رفعت أذنابها وقوسّتها.

(٣) قطّب بين عينيه: أي جمع، وهو كناية عن شدة غضبهم.

الفتنة والنهي
عن
الخوض فيها

وفيها خطبة واحدة.

خطبة
في الفتنة والنهي عنها

الحمدُ للهِ الشديدِ أيدُهُ[١]، المُبيدِ كيدُهُ، السديدِ قولُهُ، العتيدِ طولُهُ، الذي لا يرُدُّ ما قضاهُ رادّ، ولا يَمنعُ مما أمضاهُ محادّ، أحمدُهُ على نعمِهِ وإحسانِه، وأعوذُ بهِ مِن نقمهِ وخِذلانِهِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في سُلطانِه، ولا مُناويَ لهُ في عِظمِ شانِهِ.

وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ عندَ تشعُّبِ الأهواءِ، وتلهُّبِ الشحناءِ، في قلوبِ الأملاءِ[٢]، من الجاهليةِ الجهلاء، فأطفأ اللهُ بنورهِ نارَ فِتنِها، وعفّى بظهورهِ آثارَ سُننها، وأزالَ بالإيمانِ أوتارَ إحَنِها، وجلا بالقرآنِ صدأَ دَرَنِها، صلى اللهُ عليهِ وعلى آله ينابيع الحكمةِ ومعدنها، ومحالِّ الرحمةِ وموطِنِها، وأشرفِ البريّة وأوزَنِها، وخصَّهم بأطيبِ التحيّاتِ وأحسنِها، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنَّ الفتنةَ نارٌ شديدٌ ضِرامُها، بعيدٌ مَرامُها، جائرةٌ أحكامُها، دامِرةٌ أعلامُها، مسمومةٌ سِهامُها، مذمومةٌ

---

(١) الأَيْد: القوة.

(٢) الأمْلاء: جمع ملأ، وهو أشراف القوم.

أيامُها، تُغيّرُ النعَمَ، وتُعَجّلُ النِقَمَ، وتقطعُ وشايجَ التواصُلِ، وتصيرُ بأهلها إلى البغضاءِ والتخاذُلِ، يُطلِعُ فيها الشيطانُ رأسهُ، ويبُثُّ بها في القلوبِ وسْواسَه، فيجعلُ الآراءَ فائلَهُ[1]، والأحكامَ عائِله[2]، والأهواءَ مختلفة، والأحقادَ مُكتنفهُ، وجَمراتِ الأكبادِ موقَدَهُ، وطرقاتِ الرشادِ مُوصَدَهُ، حتى يكونَ القريبُ بعيداً، وذو العشيرةِ والأهلِ وحيداً، وهل هيَ إلّا نارٌ وقودُها الغضبُ، ومُذكِيها الصَّخبُ، وقادِحُها اللّعبُ، ومؤَجّجُها الكذِبُ، يَطْمَعُ العدوُّ في أهلها، وتُقطعُ المودّةُ بوصلِها.

فاللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ أن يوريَ الشيطانُ بينكم زِنادَها، أو يورِدَ قلوبَكم ثِمادَها[3]، أو يظفرَ منكم بخُبثِ السرائرِ، فيطحَنَكم بدواهي الدوائر، فتبوؤا في الدنيا بعارِها وشَنارِها، وفي الآخرةِ بنارِها وبَوارِها، ولا تستلِذّوا في العاجلِ شُرْبَ عُقارِها[4]، فتذُمّوا في الآجلِ غِبَّ خُمارِها[5]، واحذروا أن تسلكوا من الفتنِ سُبُلَها، والزموا كلمةَ التقوى وكونوا أحقَّ بها وأهلها، وذَروا نَخْوةَ الحميّةِ، ودعوةَ الجاهليّةِ.

فقد جعلكُمُ اللهُ بالإسلامِ إخوانا، وأمركمْ أن تكونوا على البرّ والتقوى أعوانا، ولا تكونوا مِن الذينَ أرْجؤا العملَ بسوْفَ

(١) فائلة: ضعيفة سخيفة.
(٢) العائلة: الجائرة.
(٣) الثماد: جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له.
(٤) العُقار: الخمر، سميت بذلك لأنها تعقر صاحبها.
(٥) غِبُّ الشيء عاقبته، والخُمار بالضمّ بقية السّكْر.

وحتى بأسُهُم بينهم شديدٌ تحسَبُهم جميعاً وقلوبُهم شتّى، فقد سمِعْتُم ما وصفَ اللهُ تعالى بهِ نبيّه المختارَ، وأصحابَهُ الخيرَةَ الأبرارَ، حينَ ضربَ لهم في كتابهِ مثلاً وأمركم باتباعهم قولاً وعملاً، فقالَ عزّ جلاله، وصدقَ مَقالُه، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقد صحّ عن رسولِ اللهِ ﷺ في الآثارِ التي لا تجدونَ لها نقضاً، أنه قالَ أمتي كالبُنيانِ يَشُدُّ بعضُهُ بعْضاً، فمتى يشدُّ البُنيانَ من يَهْدِمُهُ، ومتى يكونُ الإنسانُ أخاً لمن لا يرحمُهُ، تَرضَعونَ ثديَ العقوقِ، وتوضِعون في غيرِ الحقوقِ، وتقطعونَ ما أكّده أسلافكُم مِن متشابكِ الرّحِمِ، هذا وأنتم قصدُ سيلِ العدوِّ العَرِمِ، ونُصْبُ حريقِهِ المضطرِمِ، وغَرَضُ بأسه المُصْطَلِمِ(١)، لأبلغهُ اللهُ هواهُ مِن اختلافكُم وأدالَ منهُ بتضافُرِكم وإيتلافِكم.

فاغسِلوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ بالتوبةِ غِلَّ قلوبكم، وذلّلوا جوامحَ الأهواءِ بذكرِ ذنوبكم، وأودَعُوا باللسانِ واليدِ داعِرَكم(٢)، وأجمِعوا بأسَكُم على عدوّ اللهِ ليكونَ اللهُ ناصِرَكم، وليشغل كل امرئ منكم بجد الزمان عن لعبه. وصدقه عن كذبه، وليكن له زاجر من دينه وأدبه. فإنه من خالف ما أمر به. وسل سيف النبي قتل به، وعودوا إلى ما كنتم بسبيله من التشمير.

واتركوا الونيّة والتقصير، واسلكوا في الجد والاجتهاد مناهج أهل النور. ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ

---

(١) أي المستأصل.

(٢) الداعر: الخبيث الفاجر.

قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المَائدة: ٧] أغمد الله عنا وعنكم سيف الفتنة. ولا أخلانا وإياكم ممن يؤول في المعاد إلى الجنة.

إنَّ أحسن ما وعظ به المتقون. وأنفع ما وعاه الموفقون. كلام من نحن بآلائه مصدقون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

❁ ❁ ❁

احتباس المطر

وفيه خطبة واحدة.

خطبة
يذكر فيها احتباس المطر

الحمد لله المحمود على البأساء والضراء. المعبود في الأقطار والأرجاء، المدعو لكشف نوازل الغماء. المرجوِّ عند انقطاع حَبْلِ الرَّجاءِ، أحمَدَه في جميع الأوقات والآناء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مستحُق التوحيد والثناء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الرسل والأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة بلا انقضاء، وسلم تسليماً.

أيها الناس: ما أفظعَ الفقرَ بعد الثراءِ. وأشنعَ العسرَ بعد الرخاء، وأبشعَ البؤسَ بعد النعماء. وأوجعَ المَنْعَ بعد العطاء، أما ترون نتائج الغدر بعد الوفاء. وعواقبَ اتِّباع مُضِلَّات الأهواء.

كيف أدَّتكم إلى ظهور الأعداء. وحجَبَتْ عنكم قَطْرَ السماءِ، ولوَّحت لكم بأمارات القَحْط والغلاء. وأشرفَتْ بكم على عظيم البلاء. وأنتم عاكفون على ارتكاب الفحشاء. صادفون عن سنن الأخيار والصلحاء لاهون عن مواقع سوء القدر والقضاء، كأنكم بمعزل عن هذه الداهية الدهياء. أو كأنَّ معكم كتاباً بالسلامة

والنجاء، تظهرون توكل البررة الأولياء. وتضمرون أعمال الفجرة الأشقياء، وتصدُّون عن التذلل لله صدود الأغنياء. وتأتون في ناديكم المنكر بلا خوف من الله ولا حياء، قد سطعت فيكم جمرات الظلم والاعتداء. وارتفعت بينكم رايات الهمج والغوغاء، وصار الأعلاء أساة الأصحاء والجهالُ هُداةَ الحكماءِ فيا معشرَ أهلِ التجمُّلِ مِن الفقراءِ، وذوي المسكنةِ مِن الضعفاءِ، وبقيةَ القُرّاءِ والعلماءِ.

اتقوا اللهَ ربكم حقّ الأتقاءِ، واعملوا على اتّباعِ سُنّةِ السلفِ الأتقياءِ، في الخروجِ إلى فَلواتِ الأرضِ للاستسقاءِ، والابتهالِ إلى مَنْ بيدِهِ مفاتيحُ الأنواءِ، والتضرُّعِ سرّاً وجهراً بإخلاصِ الدعاءِ، بعد تطهيرِ القلوبِ مِن النفاقِ والشّحناءِ، وقمعِ النفوسِ بذكْرِ يومِ الجزاءِ، والخروجِ مِن المظالمِ قبلَ الخروجِ إلى الصحراءِ، وارْغبوا إلى اللهِ في دفعِ هذه المصيبةِ الصمّاءِ، وأطيلوا البُكاءَ فما أوْلَى ذوي البصائرِ بطولِ البكاءِ.

كشفَ اللهُ عنّا وعنكم ظُلَلَ اللأواءِ، وقلبنا وإياكم مِن الضراء إلى السّراءِ.

إنّ أبلغَ مواعظِ الخطباءِ، وأحسنَ قصصِ الأنباءِ، كلامُ ذي العزةِ والكبرياءِ، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نوح: ١٠-١٤].

الاعتبار بالمَثُلاتَ (1)

وفيه خطبة واحدة.

---

(1) أي أمثال وأحوال الأمم الماضية.

خطبة في الاعتبار بالمثلات

الحمدُ للهِ مُعِزٍّ مَن أطاعَهُ واتّقاهُ، ومُذِلٍّ مَن أضاعَ أمرَهُ وعَصاهُ، الذي وَفّقَ أهلَ طاعتِهِ للعمَلِ بما يَرضاهُ، وحقّقَ على أهلِ معصيتِه ما قدّرهُ عليهم وقَضاهُ، أحمدُهُ على حُلوِ نِعمِهِ ومُرِّ بلواهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلهٌ لا إله لنا سواهُ، ولا نعبُدُ إلّا إيّاه، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ أرسلهُ آمراً بالمعروفِ، وزاجراً عنِ المَخوفِ، ومُطهّراً منَ الدّنسِ، ومفسِّراً للّبسِ، فلم يزل صلى اللهُ عليه دالاً لمن أنكرهُ عليهِ، حتى اختارَ الله لهُ ما عندهُ فقبَضَهُ إليه.

صلى اللهُ عليهِ وعلى آله صلاةً تُزلِفُ لديه، ويُنيلُهُ بها الشفاعةَ يومَ الوقوفِ بينَ يديه، وإن شئت قلت: عبدٌ أسرعَ لما دعاه، ونبيٌّ اضطلعَ بما استرعاه، ابتعثهُ مِن أطيبِ منصِبٍ في العربِ وأزكاهُ، واختارهُ مِن أشرفِ نسبٍ فيها وأعلاهُ ودَلَّ بهِ على نهجِ هُداهُ، وأذلَّ بهِ المتكبرينَ مِن عِداه، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ صلاةً يشرُّفُ بها عُقباهُ، ويُنجزُ بها وعدهُ يومَ يلقاهُ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: إنّ أحلامَ الغَفَلاتِ مفصِحةٌ بصدقِ حلولِ المَثُلاتِ، وإنَّ الإصرارَ على التبعاتِ، يؤذنُ بهجومِ مذمومِ البياتِ، وإنّ علينا مِن الغفلةِ سِنةً لا يُوقظُ هاجِعُها وفينا من الإصرارِ آفةً لا تؤمنُ مَصارعُها، وكَفى بظهور الأعداء عَن خُبثِ السرائرِ مُخبراً، وباختلافِ الأهواءِ مِن قربِ نزولِ الدوائرِ مُنذراً. أو لَم يأتكم نبأ مَن سلفَ مِنَ الأولينَ، وما حَلَّ بهم عندَ مخالفتهم سُنَنَ المرسلين، وهُمُ الذينَ أعارتْهُمُ الأيامُ محاسنَها، وأظهرتْ لهمُ الأرضُ معادِنها، ومهّدت لهمُ النعمُ مواطِنَها، وسترَتْ عنهمُ الحوادثُ مَكامِنَها، فجنّدوا الجنودَ، وسحبوا البرودَ، ورفعوا البنودَ، وتخيّلوا الخُلود، واصطنعوا الصنائعَ، واقْتطعوا القَطائعَ، واتخذوا المصانعَ، وأمِنوا القوارعَ، وذلّلوا العِبادَ والبلادَ قهراً، فغبروا بذلك دهراً، ثم بدّلوا نعمةَ اللهِ عليهم كُفراً، ولم يُقابلُوا إحسانهُ إليهم شُكراً، فشرِبوا الخُمورَ، وارتكبوا الفجورَ، وتَسامروا بالغيبةِ، وتفاخروا بالريبةِ، وباعوا الأماناتِ وأضاعوا الصواتِ، واتّبعوا الشهواتِ، واستمعوا القيناتِ، وأظهروا المنكراتِ، بأكلِ الربا في التجاراتِ، وفِعْلِ الرياءِ وزورِ الشّهاداتِ، ولم يعتبروا بالآياتِ، ولا راقبوا ربّ الأرضِ والسّمواتِ ولا استحيَوْا مِن عالمِ الخفياتِ.

جاروا فيما حَكموا وعَتَوْا في البلادِ وظَلموا، وجاهروا اللهَ بما اجترموا، ولم يُبالوا على ما أقدموا، ولا عَمِلوا بما عَلموا، وظَنّوا أنهم لن يُسلَموا، فلم يَزالوا كذلكَ وعلى ذلكَ حتى اصطُلِموا، وغُيّبوا في التُرابِ وأُرغِمُوا، ولقد علموا على مَن قدِموا، فلم تنفعْهُمُ النّدامةُ إذ نَدِموا، كعادٍ إرمَ ذات العِماد،

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٠-١٤].

وما أحوالنا ـ عبادَ اللهِ ـ في القُوةِ فوقَ أحوالهم، ولا أفعالُنا في الخُبثِ دونَ أفعالهم، ولا معَنا كتابٌ بالسلامةِ مِن نَكالهم، ولا نأمنُ مِن مُخالفةِ اللهِ أن يجعلَنا كأمثالهم، فما لنا لا يأخذُ الأقوياءُ مِنّا على أيدي الضُّعفاءِ والعلماءُ على أيدي السُّفهاء.

فبادِروا عبادَ اللهِ فُسْحَةَ المهلِ ما دامَ مبذولاً، وواصِلوا صِحّةَ العملِ ما دامَ مقبولاً، وأقلعوا ما دامَ حبلُ الحياةِ موصولاً، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النِّساء: ٤٧].

جعلنا اللهُ وإياكم مِمّن أخذَ لنفسِهِ قبلَ الأخذِ منها، وصرفَ بالتوبةِ وبيلَ النقمةِ عنها.

إنّ أجمعَ الكلامِ لأصنافِ التحذير، وأنفعَ المقالِ للقلبِ الضريرِ، كلامُ مَن ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصير، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الرُّوم: ٤١].

❀ ❀ ❀

خطب

في

الحث على الجهاد

الخطبة الأولى
في الحث على الجهاد

الحمدُ للهِ العليّ عرشُه، القويّ بطشُه، الوفيّ وعدُهُ، السنيّ رفدُهُ، الوحيّ أمرُهُ، المقضيّ شكرُهُ، الذي سبّحَ الرعدُ بحمدِهِ ودُحِرَتِ الفِطَنُ عن بلوغِ حدّه، أحمَدُه على إلهامنا حَمدِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه، وأشهدُ أنّ محمداً صلى الله عليه عبدُهُ الوجيهُ عنده، وسولهُ الحافظُ عهدَهُ، بعثَهُ ليصدَعَ بحقِّهِ، ويُنذرَ جميعَ خلقه، فشمَّر في تشييد الإيمان، وجاهد حزبَ الشيطان، وأخمدَ جَمراتِ البُهتانِ، وأذلَّ عبدةَ الأوثانِ، وأعزّ دين الرحمنِ، حتى فاضَت أنوارُ العَدل، وغاضَتْ بحارُ الجهلِ، صلى الله عليه وعلى آله أهل الشرفِ والفضلِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنّ اللهَ أيّه[1] بكم فهل أنتم سامعون، وندبكم إلى طاعتِه فهل أنتم إليها مسارعون، وزجرَكم عن معصيتِه فهل أنتم عنها راجعونَ، وساوَمكُم بنفوسكم فهل لها أنتم بائعون، وجعل أثمانها جَنّتهُ فهل أنتم إليها نازعون، وأنبتَ لكم مِن الحبّة

(١) أيّه: أي ناداكم، وهي من قول يا أيها.

سبعمائةٍ فهل أنتم لها زارعون، وأوعدَ مَنْ خالفَهُ عذابَ جهنّم فما أنتم صانعون، وهو القائلُ سبحانهُ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم مِن عذابٍ أليم الآيتين، إلا وإن الجهاد كنزٌ وفّر الله منه أقسامكم، وحِرزٌ طهّرَ به أجسامكم وعِزّ أظهرَ الله به إسلامكم، فإن تَنْصُروا اللهَ ينصرْكم ويُثبتْ أقدامكم.

فانفروا ـ رحمكُمُ اللهُ ـ جميعاً وثُباتٍ وشُنّوا على أعداكم الغارات[1]، وتمسكوا بعِصَم الأقدام ومعاقلِ الثباتِ، وأخْلِصوا في جهاد عدوّكم حقائقَ النّياتِ، فإنَّهُ واللهِ ما غُزِيَ قومٌ في عُقْرِ دارِهم إلا ذَلّوا. ولا قَعَدوا عن صونِ ذِمارِهم) إلا اضْمَحَلّوا.

واعلموا أنه لا يَصلُحُ الجهادُ بغيرِ اجتهادٍ، كما لا يصلُحُ السّفَر بغيرِ زادٍ، فقدِّموا مجاهدةَ القلوبِ، قبلَ مشاهدةِ الحروبِ. ومغالبةَ الأهواءِ، قبل محاربةِ الأعداءِ، وبادِرُوا بإصلاحِ السرائرِ، فإنّها مِن أنفَس العددِ والذخائرِ، ولْيَدْفَعِ القاعدونَ عن المجاهدينَ بالدُّعاءِ.

ومَن لم يستطعْ منكمْ سبيلاً إلى اللقاءِ، فاعْتاضُوا مِن حياةٍ لا بدّ مِن فتلها بالحياةِ التي لا ريبَ في بقائها، وكونوا ممن أطاع اللهَ وشمَّر في مَرضاتِهِ. وسابِقوا بالجهادِ إلى تملُّكِ جَنّاتِهِ. فإنَّ للجنةِ باباً حدودُه تطهيرُ الأعمال، وتشييدُهُ إنفاقُ الأموالِ، وساحتُه زَحفُ الرّجالِ إلى الزجالِ، وطريقُه غمْغَمةَ الأبطالِ[2]، ومفتاحُه الثباتُ في مُعتَرَكِ القتالِ، ومَدْخَلُه مِن مشرُعةِ الصوارم

---

(١) الذّمار: ما لزمك حفظُه من حريمٍ وغيره.

(٢) الغمغمة: كلامٌ لا يبين.

والنِّبالِ، فأوجبوا رحمكم الله صفقة البيع الرابح بالثمن الجزيل الراجح من الملك المساوم المسامح فقد ضمن لكم ذلك في نص كتابه وبينه في محكم خطابه. حيث يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

جعلنا الله وإياكم ممن غلب هواه وسارع في مرضاة مولاه وكانت الجنة منقلبه ومثواه.

إن أحسن القصص والكلام وابلغ النثر والنظام، كلام ذي الجلال والإكرام. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥،٤٦].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية
في الحث الجهاد

الحمدُ للهِ مُلبسِ مَنْ أطاعَهُ أنوارَ القَبولِ، ومُركِسِ[١] مَن عصاهُ في مَضالِّ الخمولِ، الذي خاطبَ بمُرادِهِ أهلَ العُقولِ، وجعلهمُ الأُمناءَ والحُكّامَ على كلِّ جَهولٍ، أحمَدُه حَمْدَ مَن عَلِمَ أنَّ حَمْدَهُ فريضةٌ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له كلمةَ تَنْقَهُ بها الأفئدةُ المريضةُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسله مُصلِتاً بالحسامِ، مُخبِتاً في الظلامِ، مُثبتاً للأنامِ، مُشَتتاً للطّغام[٢]، مُشيّداً لشِعارِ الإسلامِ، مؤيّداً بالملائكةِ الكرامِ، حتى أذَلَّ عبدةَ الأصنامِ، وألَّفَ القلوبَ بتشذيبِ الهامّ[٣]، صلى الله عليه وعلى آله الهُداةِ الأعلامِ، صلاةً دائمةً بدوامِ الأيّامِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: اقْطعوا بتقوى الله أوديةَ الأَعمارِ، وارْفعوا في

(١) أركس الشيء قلبَه وردّ أوله على آخره.

(٢) الطغام: الأوغاد من الناس.

(٣) الهام أعلى الرأس، وتشذيب الهام تفريق الرؤوس عن الأبدان.

جهادِ عدوٍّ اللهِ ألويةَ الأبرارِ، واصْدعوا بكتابِ اللهِ قلوبَ المنافقينَ والفُجّارِ، وانْزِعوا بادّكارِ المردِّ إلى اللهِ عن مُوبقاتِ الأوزارِ، والْتمسوا كنوزَ القرآنِ في أمثالِهِ وقِصَصِهِ، ولا تَظْلَمُوا[1] عن حملِ عزائمِهِ طلباً لرُخَصِهِ، وامْزجوا سائغَ الحياةِ بذِكْرِ عَلَزِ الموتِ وغُصَصَهِ[2].

وبادِروا غَفْلاتِ الزمانِ بانتهازِ فُرَصِهِ، فإنَّ الصَّحة يعتريها المرضُ. والأطهارَ تنوبُها الحِيَضُ، وجوهرُ الآخرةِ لا يَفي به مِنَ الدنيا عَرضٌ. فابذلوا في الجهادِ النفوسَ فقد عَظُمَ عنها العِوَضُ، واصْبروا وصابروا ورابطوا وإن مسَّكم المضَض. وأَغْرِقوا في النَّزْعِ[3] فقد اسْتُهدِفَ من عدوِّكُمُ الغَرَضُ! وتمسّكُوا بحبلِ جهادِهِ فقدِ استُحْصِدَتْ لكم مِرَرُه. ورِيشُوا السهامَ لمقاتلِهِ فقد أمكنتكُم ثُغرُهُ[4]، واغتنموا صفاءَ وقتِ عمَّ العدوَّ كَدَرُه، واختَموا منه بشاكِي[5] السلاحِ فإنَّ حاميَ النحلِ إِبرة، وتحصَّنوا من كيدِ العدوِّ بمعاقلِ الصبرِ، وثِقُوا مع الثباتِ بمآجلِ النصرِ، وأكْثِروا ذكرَ اللهِ تعالى عند اللقاءِ في السرِّ والجهر.

ولا تجعلوا لكم ملجأ سواهُ عند تضايقِ الأمرِ، واستشعروا

---

(١) لا تظلعوا: لا تضعفوا.

(٢) العلز: القلق والهلع، يقال علِز فلان بالكسر قلق وبات علزاً أي وجِعاً قلقاً.

(٣) أغرقوا في النزع: أي بالغوا في جذب القسي ليكون أبعد لمدى السهم.

(٤) استُحصدتْ مِرَرُ الحبل إذا أُحكم فتل قواه، جمع قوة وهي الطاقة من الحبل وتسمى مِرّة بالكسر.

(٥) شاكي السلاح: لابس السلاح.

السكينة إذا كَشَفَتِ الحربُ نِقابها، وأطارَ الإقدامُ عُقابَها[١]، وأحرَّ اللّطامُ ضِرابَها، وأمرَّ الحِمامُ[٢] شرابَها، وتذكرَتِ العربُ العرباء أنسابَها، ومثلت العلماء مرجعَها ومآبَها، ونزلتُم للجهادِ منزلاً قد أشرعَت إليه الجنةُ أبوابها، وطالعَتِ الحورُ الحِسانُ منه أحبابَها، وأترعتِ الولدانُ لمصطفى الله فيه أكوابها، وقيل هذه عروسُ دارِ الآمالِ فكونوا الآنَ خُطّابها، وصَرَخَ الشيطانُ بطِغامِ أعوانِهِ، وأرعَدَ وأبْرَقَ بأضاليل بُهتانِهِ، وهوّلَ باحتشادِ عَبَدَةِ صُلبانِهِ، وضمِنَ لهم ما هو مُخْفِرٌ في ضمانِهِ، وجاءَ الحقّ وبطلَ النفاق، وانسدّتْ بجيش العدوّ الجهاتُ والآفاقُ.

فأخمِدوا هنالكَ بصواعقِ العزماتِ رهَجَه[٣]. وأبطِلوا بصوادقِ الحملاتِ حُججَهُ، وازأَبُوا[٤] بصُمِّ الرماحِ فُرَجه، واضْرِبوا بيضِ الصفاحِ ثُبَجَه[٥]، واركَبوا ببذلِ الأرواحِ لُجَجَهُ، وانْهَبُوا بالموتِ الصُّراحِ مُهَجَهُ، حتى تُوَلّيَ شياطينُ الكفرةِ أدبارَها، وتُطْفِئَ شآبيبُ البررةِ نارَها، ويُبيدَ الجِلادُ حُملتَها وأنصارَها، وتضعَ الحربُ بعدَ حربهم أوزارَها، فإنَّ لِقاحَها مُؤذِنٌ بتاجِها، وانفتاحَها تابعٌ لارتتاجِها[٦]، وما تَلبَثُ إلا ريثَ ما يضربُها مخاضُ الصبرِ، ويعلُو وجوهَ مَن صَدَقَها ابيضاضُ النصرِ،

---

(١) العقاب: الطائر المعروف، والعبارة كناية واشتداد الحرب.

(٢) الحِمام: الموت.

(٣) الرهج: الغبار.

(٤) أرأبوا: أصلِحوا.

(٥) الثّبج: الوسط، وأصل الثبج ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٦) الارتتاج: الانغلاق.

حتى قد نُتجتْ للمدبرين نتيجةُ العارِ، مزمومةً بزمامِ البَوارِ، مرحولةً برحالةِ الدّمارِ، ترغُو[١] بنهابِ الأعمارِ، وتدعو بإخرابِ الدّيارِ، وتسوقُ أهلها سَوقاً حثيثاً إلى النارِ.

فعليكم أيها الناس بسبيلِ الموتُ فيه حياة، والهلاكُ فيه نجاة، فاقصِدوا قصدَهُ، ولا تَخيمُوا[٢] عن منهلٍ إنْ وردتُموهُ لم تظمَئوا بعدَهُ، واسْتبشِروا بصِدقِ وعدِ مَن لا يُخلِفُكُم وعدَهُ، وتنجَّزوا بالجهادِ في سبيلِهِ جزيلَ ما عندَهُ، فإنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفُسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

❀ ❀ ❀

(١) ترغو: تصيح.

(٢) لا تخيموا: لا تجبنوا أو تضعفوا.

الخطبة الثالثة
في الحث على الجهاد

الحمدُ للهِ ناصرِ مَن تحقَّق بنصرِهِ، وذاكرِ مَن تعلَّقَ بذكرِهِ، ومُهلكِ من تجبرَ بكُفْرِهِ، ومدركِ من خالفَهُ وفَسقَ عَن أمرِهِ، أحمَدُهُ على النّعمِ التي لم تُرِغْها[1] الآمال.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له الدائمَ الذي ليس له زوالُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ خَتمَ به الرسُل، وأُوضحَ به السُّبُلَ، وأزاحَ به العِلَلَ، وأبطلَ بملَّتِهِ المِللَ، صلّى الله عليه وعلى آلِهِ، كما استنقَذَنا مِن الضَّلالةِ بإرسالِهِ، وسَلّم تسليماً.

أيها الناس: ما لأَفراسِ الجهادِ صافِتَةً[2] لا تُركَضُ، وما لآسادِ الجهادِ خادِرَةً[3] لا تَنهضُ، وما لأَيدي الكفرةِ قبلَ امتدادِها لا تُقبَضُ، وما لأسبابها قبلَ استحكام فَتلِها لا تُنقَضُ، أحينَ تألقَ شهابُ الإيمانِ فسطَعَ، وتمزّقَ ضَبابُ البهتانِ فانْقشَعَ، وخُفقَ قلبُ الضّلالِ فانْخَلَعَ، وزهَقَ باطلُ ذوي الأبطالِ فانْقمعَ، أخلدْتُم إلى

---

(١) أي لا تطلُبها.

(٢) صافنة: واقفة.

(٣) الخادِرة: المقيمة في خِدْرها، والخِدْر في الأصل بيت الأسد.

الدّعةِ قبلَ أوانِ الأخْلادِ، وأغْمدتُم سيوفَكُم من مقارَعةِ الأضدادِ، وقعدتُم عَن الأخذِ بنار الحُرمِ والأولادِ، وسددْتُم ما فتحَهُ اللهُ لكم من أبوابِ الجهادِ، فِراراً زعمتُم من تحريضِ العدوِّ على الاحتشادِ، وما أراد إلا اغتراراً بكُمونِ نارِهِ تحتَ الرمادَ، واللهِ لو أمكَنْتُهُ فيكم فرصةٌ لما أغْفلَها، ولو استوَتْ له عليكُم كَرّةٌ لشمَّر لها.

فاللهَ اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ قبل اندمالِ القَرْحَةِ، وزوالِ التّرحةِ، أدمُوا الكَلِمَ بالكَلِمِ(١)، وصِلُوا الحَزْمَ بالعَزْمِ، فإنّ الكسيرَ أسرعُ انجباراً مِن المَهيضِ(٢) والنّكيسَ(٣) أفظَعُ داءٍ من المريض، وقَمْعَ العدوِّ في بلدِهِ أوانِ أحجامِهِ. أيسرُ مِن دفعِ مَددِه عندَ إقدامِهِ، فالبْدارَ البِدارَ إلى جهادِ الأُمةِ الكافرةِ.

والسّباقَ السّباقَ إلى نيلِ شرفِ الدنيا والآخرةِ، ما دام شَعْبُ العدوِّ متصدِّعاً، وحبلَهُ منقطِعاً، وأَظفارُه مقلّمَةٌ، وأسوارُه مُثلمةٌ. قبلَ أن تعوقَ العوائقُ دون المرادِ. وتتعذَّرَ عليكم أسبابُ الجهادِ، فإذا لقيتُمْ عدوَّ اللهِ فجِدُّوا في الطَّلَبِ، ونافِسُوا في المسلوبِ دون السلَبِ(٤)، وإياكم وإفسادَ الغنيمةِ بالغُلولِ، والإقدامَ على مخالفةِ اللهِ والرسولِ، والتأسّيَ بفعلِ كلِّ آثمٍ جَهول، وتدبَّروا كتابَ اللهِ يا ذوي البصائرِ والعقولِ، فإن الله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧].

---

(١) أدموا: أسيلوا دمه، والكَلِمُ: الجرح.

(٢) المهيض: من كُسر بعد أن جُبر كسرهُ.

(٣) النكيس: الذي عاد إلى المزمن بعد أن برئ منه.

(٤) السّلب: ما لدى العدو من ثياب وغيرها، وقد أشار لقول أبي تمام:

إن الأُسودَ أسودَ الغاب هِمَّتُها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلَبِ

الخطبة الرابعة في الحثِّ على الجهاد

الحمدُ للهِ مُعزِّ مَن أطاعَهُ بسلطانِه، ومُذِلُ مَن عصاه بخِذلانِه، ومُحقِّقِ مَن عَبَدَه بنورِ بُرْهانِهِ، ومُفْرِقْ مَن جحَدَهُ في لَجج طغيانِه، أحمدَه على ما أتى به قَدرُه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً شهدَت بها فِطرُه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُهُ أرسلَهُ بالقِسطِ قانتاً، وللأمّةِ عاصِماً. ولِعلم الرشادِ رافعاً، وإلى جهادِ الأضدادِ مسارعاً، فلم يَزل صلّى الله عليه لمُهْجَتِهِ باذلاً. وعَنِ التوحيدِ وحَوْزَتِه مناضِلاً. حتى أُعزّ اللهُ به الإيمانَ. وقهرَ دينُه الأديانَ، وكسَرَ الأوثانَ، ونَكَسَ الصُّلْبانَ، وأرغمَ الشيطانَ، وأرضى الرحمنَ، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً يتبعُها الرضوانُ، ويعطيهم بها يومَ الفزعِ الأكبرِ الأمانَ، وسَلم تسليماً.

يا أيها النّاس: لِمَ ترغبونَ بنفوسكم عمّن هو أملكُ لها منكم، وتركبونَ مِن الفشَلِ حُرونا[١] لا يدفعُ الحذرَ عنكم، وأنتم

---

(١) الحرون: الصّعب الذي لا ينقاد.

ذُو الغرائزِ النيِّرَة، وأولو النحايزِ[١] الخيرةِ، وأهلُ عزائمِ الكتابِ. المخاطبون فيه بأولي الألبابِ، والمطالَبون بإقامةِ حدودِهِ، والمصدِّقونَ بوعده ووعيدِه فلا العِظاتُ تنفي عنكم ظُلَمَ ذنوبِكُم، ولا الآياتُ تشفى منكم سَقَمَ قلوبِكُم، ولا استماعُ الأمثالِ يُوقظكم مِن وسَنِ[٢] غفلتِكُم. وَلا اتساعُ الإمهالِ يحفِزكم لزادِ رحلتِكُم، كأنكم تحسبونَ الإِمهال إهمالاً، أو تظنُّون الإِملاءَ إغفالاً.

أَضَعْتُم حقوقَ اللهِ بالتَّضافرِ على إبطالها، وَوقَعْتم خُروقَ الذينَ بينكم بأمثالها، وأعذبتم بالمَلَقِ[٣] الألفاظَ، ونبذتم الوفاءَ والحِفاظَ[٤]، ونكصتُم عن عدوِّ اللهِ وعدوّكم على الأعقابِ، ومددتُمْ لحُكمهِ خواضعَ الرّقابِ، حتى لقد طِبْتُم عنِ الحريمِ المستباحِ نفوساً، وطأطأتُم للذُّلّ الصُّراحِ رُؤوساً، ووطّأتُم لضَيمِ المسْتَضيمِ أكنافاً، ورضيتُم بإرغامِ المرغمِ آنافاً، وصِرتُمْ فُرصةَ المفترِس، ونُهزةِ المختلِسِ، وحَباً للاقِطِ بلا سَفا[٥]، قد أقامكُمُ العزّ مِن أوطانكم على شَفا[٦]، لا ترقُبونَ الأيدَ غاشم تَخطَفكم، أو ريحَ عدوّ هاجم تنسِفُكُم، كالنعَم بغيرِ راعٍ، راَحت رائحةَ السباعِ، فهي شريدةٌ طريدةٌ بكلّ قاعٍ، والعدوّ يتملّك بلادَكُم قاطِناً،

---

(١) النحايز والغرائز: بمعنى الطبائع.
(٢) الوسن: أول النوم.
(٣) الملق: التذلل ولين المنطق.
(٤) الحِفاظ: المحافظة والأفقة.
(٥) السفا: الشوك.
(٦) الشفا: مقاربة الهلاك.

ويحتَنِكُ سَوادَكُم آمِناً، يفكُّ عُرى أمصاركم عُروةَ عُروةَ، ويُدكُّ ذُرَى ديارِكم ذِرْوة ذِرْوة، وأنتم مِن رَوحِ الله آيسونَ، ولِكُتُبِ الآفاتِ دارسونَ، قد أنْسَتْكُم سُنّةُ العدوِّ فيكم فرْضَ الجهادِ، وأعدَمكُم عَدمُ البصائر محضَ الجِلادِ، كأنكم النساءُ وهمُ الرجالُ، أو كأنّ دينَهُمُ الحقُّ ودينَكُمُ الضّلالُ، حتى لقد شابَ يقينَ الغُمَرِ منكم الارتيابَ، وقال الجاهليونَ ما لنا ندعو اللهَ فلا نُجابُ.

أجل إنّ الألسُنَ بالدعاءِ ناطقةُ، ولكنّ القلوبَ للأهواءِ موافِقةٌ، فالدعاءُ لذلك محجوبٌ، والرجاءُ منكوبٌ، والعملُ بالرياء مشوبُ، والحقُّ لإضاعتِكُمْ إيّاه بالباطل مغلوبٌ، فلا رحمةُ الأطفالِ ترقّقُ عليها أكبادَكم، ولا ألفةُ الأوطانِ تحقّقُ عنها جهادَكم.

واللهِ لو صَفَتِ الضمائرُ مِن كَدَرِ نفاقِها، وانكَفَتِ[1] السرائر إلى الثقة بخلّاتها، لأعذبَ لكم من الحياة مُرَّ مذاقها، ولحكَّم سيوفكم في قلَلِ الأعداء وأعناقها، ولكن قلّة نصركم إيّاه فقلَّ النصير، وجعلتك كتابَه وراء ظهوركم واعتصمتم بغير حبله فكبُر عندكم الصغيرُ، وأفشيتم بينكم الفواحشَ ففشا فيكم التقصير، وحجبتم قلوبكم بالقسوة فلم يصل إليها التحذيرُ، وأهملتم النفيرَ إلى أعداء الله فاتصل إليكم منهم النفير. وأتيتم في ناديكم المنكر فأتاكم من الله النكير، ودعوتم من دونه لمَن ضرُّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير، قال الله جلّ ثناؤه وقوله الحق المنير: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عِمرَان: ١٦٥].

(١) انكفت: مالت ورجعت.

الخطبة الخامسة
في الحث في الجهاد

الحمدُ للهِ ذي النَعمِ اللّطافِ في البلايا الكِثافِ، والمِنَنِ الضَوافِ(١)، على البرايا الضعافِ، الذي فاتَ حدودَ النّعوتِ والأوصافِ، وأقام ما خَلقَ بالعدلِ والإنصافِ.

أحمده حمدَ من وُفّقَ للاعترافِ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له خِلافاً على أهلِ الخلافِ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه نقّله في الأصلابِ الشّرافِ والأرحامِ النّظافِ، حتى أخرجَهُ مِنْ مُصاصِ(٢) عبدِالمطّلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ، فهدى به سُبُلَ العَفافِ، وأردَى به ذوي الزّيغِ والانحرافِ، وأذلّ به عِزّ هُبَلَ ونائلةَ وإسافَ، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً دائمةً بلا انصرافٍ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إن تقوى اللهِ خيرُ سبيلٍ، مَن لزِمها أدّتهُ إلى

(١) الضواف: جمع ضافية وهي النعمة السابغة.

(٢) مُصاص الشيء خالصُه.

خيرِ مَقيل، ومَن سئِمها عميَ عن الدليل، ومَن حُرمها باء بالندم الطويل، بها يُوقى الوليّ حَذَرهُ، ويولي العدوّ دُبُرَه، وينصرَ اللهُ منْ نصرَهُ، ويَفُلُّ(١) حَدّ من حادَّه وكفرَهُ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ تقوى ذوي العقولِ المشهورينَ بخِلَعِ القَبولِ، ودَعُوا التمسّكَ بخُدَعِ الأباطيل، والخوضَ في مهالكِ القالِ والقيلِ، فقد تبلّجَ لكم مِن الحقّ سافرُه، وتوجّه لنصرِ دينِ اللهِ ناصرُهُ، وأقبلَتْ إليكم من كلّ فجٍ عساكرُهُ.

فكونوا عبادَ اللهِ ممن يوازرُه على عدوِّ اللهِ ويضافرُهُ، بزماع(٢) المُعِدّين، وإسراعِ المجدّين، وثباتِ المتحققين، ونيّاتِ المتقين، عندَ اغْبرارِ الأفقِ، واحمرارِ الحدَقِ، وانهمارِ العرَقِ، وارتكابِ طبقٍ عن طبقٍ، وزدلافِ الزُحوفِ، والتفافِ الصفوف، واختلافِ السيوف، والانصرافِ من الحتوفِ إلى الحتوفِ(٣)، إذا تداعتِ الأقران إلى النزالِ، وأبطلَ حُكمُ الصوارم حُكمَ النبالِ، وحسُنَ التجاهلُ باللمم البجالِ(٤)، وحامت عُقابُ المنايا على الأبطالِ، وتساقتِ الكَماةُ(٥) بينها كؤوس الآجالِ، وفصَمَتْ بحقائقها عُرى الآمالِ، وسلَتِ النفوسُ عن الأولادِ والأموالِ،

---

(١) يفُلّ: يكسر.

(٢) الزماع: الشجاعة والعزيمة النافذة.

(٣) الحتف الموت، والمعنى: إذا أحاط بهم الموت من كل مثل لم يبق إلا نبات الجنات.

(٤) البجال: جمع بجيل وهو الضخم.

(٥) الكُماة: الشجعان.

وابتاعتْ مِن اللهِ دارَ المآلِ بدار الزَوالِ، هنالك فأقدِموا ولا تُحجموا، واهْجُموا ولا تَسْتَسلموا، كِفاحاً بالصّفاح[(١)]، واجتياحاً بالرّماحِ[(٢)] حتى يسطعَ شهابُ الإيمانِ، وتنصدِعَ شِعابُ البهتانِ، فإنّ الشيطانَ ينكثُ حينئذٍ على عقبيهِ، ويبرأ ممن نعق به فاسْتكانَ إليه، وتلوحُ من الحقِّ أنوارُهُ، ولا يعصمُ الفارُّ من القدرِ فرارُه.

فأقبلوا ـ رحمكمُ الله ـ على جهادِ العدوِّ يُدِمِ اللهُ إقبالكم، وأخرجوا حقّ اللهِ مِن الأموالِ يُثمرِ اللهُ أموالكم، وأصلِحوا فسادَ الأعمالِ يُصلحِ اللهُ لكم أحوالكم، وأهينوا النفوسَ في سبيلِ اللهِ يُكرم اللهَ مآلكم، وحصِّنوا بالصبرِ الجميلِ حُرمَكم وأطفالكم، وإن تتوَلوا يستبدلَ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن حمى أنفه غضباً للهِ ورسوله، وجاهد بنفسه ومالهِ في سبيله، واحْتقب[(٣)] زاداً كافياً ليومِ رحيلهِ، وأخذَ للموتِ أُهبتَه قبلَ نزولِه.

إنّ أحسنَ ما وعظ به خاطِبٌ، وأنفعَ ما رغِب في استماعِهِ راغِبٌ، كلامُ مَن لا يغلبه غالب. ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجّ: ٤٠].

---

(١) كفاحاً بالصّفاح: مواجهة بالسيوف.

(٢) أي استئصالاً بها.

(٣) احتقب: احتمل.

خطب المناسبات

١ ـ خطبة عيد الفطر

٢ ـ خطبة يوم النحر

٣ ـ الاستسقاء: وفيه خطبتان:

٤ ـ خطبة في الكسوف

٥ ـ النكاح: وفيه ثلاث خطب

خطبة
عيد الفطر

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ـ الله أكبر الله أكبر الله أكبر ـ الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحان اللهِ بُكرة وأصيلا. سبحان مُحي الأمواتِ، ومُميت الأحياء ومدبّرِ أمْرِ الآخرةِ والأولى، سبحانَ مَن يعلم ما في السمواتِ العُلى، وما في الأرضِ السُّفلى، ومُصافّ الطّيرِ في الهوا، سبحانَ مَن ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾. سبحانَ مَن ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: ١٧-١٩].

سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عما يصِفونَ، وسلامٌ على المرسلينَ،

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]. سبحانَ من ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فُصّلَت: ١١، ١٢]. سبحانَ سامعِ الأصواتِ، وباعِثِ الأمواتِ، ومُجيبِ الدّعواتِ، ومُقدِّرِ الأقواتِ، والعالمِ بما كان وبما هو آتٍ، سبحانَ مَن عَلا فَدنا، ودَنا فنَأى، وسمعَ ورأى، وعَلِم وأحصى، وقدَّرَ وقضى، وحَكَمَ وأمضى، وأغنى وأقْنى، وأضحك وأبكى، وأماتَ وأحيا؛ ذي المنظرِ الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، الذي خَلَقَ خلْقَهُ مِن ماءٍ مَهين، فجعلَهُ نطفةً في قرارٍ مكينٍ، إلى قدرٍ معلومٍ لم يشاركْهُ في ذلك مُؤازِرٌ ولا مُعينٌ، سبحانه مِن مَلكٍ لا يُرامُ، وعزيزٍ لا يُضامُ، ومُتكبّرٍ لا يُعجِزُهُ الانتقامُ، ممّن عصاهُ مِن جميعِ الأنامِ.

الله أكبرُ الله أكبرُ، لا إله إلا الله، والله أكبرُ الله أكبرُ ولله الحمدُ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. كَذَبَ العادِلونَ باللهِ وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسِروا خُسراناً مبيناً، ﴿ما اتّخذَ اللهُ مِن ولدٍ وما كان معه مِن إلهٍ إذاً لذهب كلّ إلهٍ بما خَلَقَ ولعلا بعضُهم على بعضٍ سبحانَ اللهِ عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ١-٣].

الحمدُ لله وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفى ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾ [فاطر: ١].

اللهُ أكبرُ الله أكبرُ، لا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ، اللهمَّ إنا نشهدُ أنّه لا ضِدّ لك، ولا نِدَّ لك، ولا مِثلَ لك، ولا شِبْهَ لك، ولا عَدْلَ لك، ولا كُفُؤ لك، ولا نظيرَ لك، ولا صاحبةَ لك، ولا ولد لك، ولا والدٌ لك، وأنّ السمواتِ والأرضينَ وما فيهنّ مِن عجائبك آياتٌ دالّاتٌ عليك، كلٌّ يؤدي عنك حُجُجكَ، ويشهدُ لك بربوبيّتِك، وكلّ ذلك موسومٌ بآثارِ قدرتِكَ، ومعالِم تدبيرِك، الذي أوْصَلْتَ به إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنَسها مِن وحشةِ الفِكرِ فيكَ، ورجْمِ الاحتجابِ دونَكَ، فهي على اعترافِها بك وإقرارِها لك شاهدةٌ أنّكَ اللهُ الذي لا إله إلا أنتَ لا تأخُذُكَ السِّناتُ(١)، ولا تدركُكَ الصّفاتُ، ولا تملِكُكَ الأوهامُ، وإنَّ حظَّ الفِكرِ فيك الاعترافُ بك واليَأسُ مِن كلّ معبودٍ سواكَ، لا إله إلا أنتَ تباركْتَ وتعالَيْتَ عما يقولُ الظالمون علواً كبيراً.

الله أكبر الله أكبرُ

محمدٌ سليلُ الحواصِنِ(٢)، ولُبابُ خيرِ المعاونِ، ابتعَثَهُ اللهُ

---

(١) السنات: جمع سنة وهي النعاس.

(٢) الحواصن: العفائف، وهو جمع حاصن، يقال امرأة، حاصن وحصان ومحصن إذا كانت عفيفة.

نبياً، وانتخَبَهُ نجيّاً، واصطفاهُ ولياً، طيّباً طاهراً عربياً، وجيهاً مُشرّفاً قرشياً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما أعزّهُم به وكرَّم.

اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، يا عبادَ اللهِ إن يومَكُم هذا يومٌ عظيمٌ، وعيدٌ كريمٌ، فَرَضَهُ ربٌّ رحيمٌ، ختم به شهرَ الصيام، وافتتَحَ به شهورَ حجّ بيتِهِ الحرامِ، أحلَّ لكم فيه الطعامَ، وحرَّم عليكم فيه الصيامَ، يومُ تسبيحٍ وتهليلٍ وتكبيرٍ وتعظيمٍ، وتقديسٍ وتمجيدٍ وتحميدٍ، عظَّمَ اللهُ حرْمَتَهُ، وبَسَطَ فيه بَرَكَتَهُ، ونشرَ فيه رحمتَهُ، فلا تسأموا ذِكرَ اللهِ ودُعاءَهُ، واستغفارَهُ واستعفاءَهُ، في هذا اليومِ العظيمِ الذي عسى كثيرٌ منكم لا ينالُهُ بَعدَ عامِهِ هذا، فإنّ اللهَ ذاكرٌ من ذكرَهُ، زائدٌ مَن شكَرَهُ، ومُعَذّبٌ مَن كفَرَهُ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البَقَرة: ٢٣٨] صلاةَ رغبةٍ ورهبةٍ وخشيةٍ وطاعةٍ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وأَخْرِجُوا مِن مالِ اللهِ الذي آتاكُم حقَّ الزكاةِ المفروضَةِ عليكم. فإنّ اللهَ آتاكُمُ المالَ هبةً وفرضاً، وسألَكُم منه قليلاً قرضاً، فقال جل جلالُه: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٣، ١٨٤].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وافترضَ اللهُ حجَّ بيتِهِ على مَن استطاعَ إليه سبيلاً مِن عبادِهِ، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وجاهِدوا في سبيلِ اللهِ كما أمرَكُمْ، وتَنَجَّزوا بالجهادِ ما وعدَكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التّوبَة: ١١١].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وأطيعوا اللهَ فيما أمركُمْ به مِن برّ الوالدينِ وصِلةِ الأرحامِ، وعدْلِ النَّصفة في الأحكامِ، والاسترجاعِ عند فَجائعِ الأيامِ، ووفاء المكاييلِ والموازينِ، والعدْلِ في قسمةِ المواريثِ، واللّين في معاشرةِ النّساءِ، وحُسنِ الصحبةِ للمماليكِ والأرِقّاءِ، والكَنافة[1] للجيرانِ والأدنياءِ وأبناءِ السبيلِ الأجنباءِ[2]، والتفضّلِ بكَظْمِ الغَيظِ، والتجاوزِ، عن الاقتصاصِ، ودفع السيئةِ بالحسنةِ والوُصاةِ بالأقاربِ، وإفشاءِ التحيةِ للأجانبِ، فإنَّهُ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النُّور: ٥٢].

---

(١) الكنافة: مصدر كنفه إذا حاطه وصانه.

(٢) الأجنباء: جمع جنيب، والجنيب الغريب.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، واجتنِبوا ما نهاكُمُ اللهُ عنهُ مِن مقارفةِ الزنا. ومعاقَدَةِ الرّبا، وقذفِ المحصناتِ بالفِرَى، والتزيُّنِ بأعمالِ الرّيا، ونكاحِ النساءِ مِن الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ، وذواتِ المحرُمِ المحرَّماتِ؛ وحرَّمَ عليكُمُ التعرُّضَ للآثامِ، بأكل المالِ مِن جميعِ الأنامِ، ونَهى عن الهمزِ واللَّمزِ والنميمةِ والسخريِّ والكبرياءِ، وسوءِ الظّنّةِ بالأبرياءِ، والطعن على الأئمةِ الصُّلحاء؛ وحضَّ على تأديبِ الأهلين، والتنفُّل بإطعامِ المساكينِ، والاستغفارِ للسلفِ الماضينَ، رحمةُ اللهِ عليهم أجمعينَ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، واجتنبوا الخمرَ فإنّها أوبقُ مصائِدِ الشيطانِ، ورأسُ الإثمِ والعُدوانِ، ومفتاحُ الفسوقِ والعصيانِ، وأعطَبُ مواردِ الإنسانِ، تُزيلُ ما ألبسكُمُ اللهُ بَهْجَتَهُ، وألزَمكُمْ بكم حُجَّتُهُ، وسلكَ بكم محجَّتَهُ، مِن العقلِ الذي مَنْ عدِمَهُ بهِم، ومَن لَزِمَهُ عِلِمَ، ومن ائتَمَّهُ سلِم، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وأخرِجوا مِن خالصِ أموالكُمُ الفِطرةَ فإنّها تمامُ صيامِكُم، وطُهْرةٌ لأبْدانِكُم، عن كلِّ واحدٍ مِن عيالِكُم، صغيرٍ أو كبيرٍ، فطيم أو رضيعٍ، ذكرٍ أو أنثى، حرّ أو عبدٍ، صاعاً مِن بُرٌ أو صاعاً مِن شعيرٍ، أو صاعاً مِن تمرٍ أو صاعاً مِن زبيبٍ، أو صاعاً مَن ذُرَةٍ أو صاعاً مِن أقِطٍ، تقرُّباً إلى اللهِ ربّكُم، فإنَّ اللهَ شاكرٌ يُحبُّ الشاكرينَ، ولا يُضيعُ أجرَ المحسنين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وأطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي

الأمرِ منكُم، الذينَ أعزَّ اللهُ بهم دعوتَكُم وأظهرَ بهم غناءَكم، فهم أهلُ بيتِ النبوةِ والخلافةِ، وحُمَّالُ الأمانةِ وعندهم ودائعُ الكتابِ والسنّةِ، فَفوا[1] لهم بعهدِهِمْ، وأطيعوا اللهَ ما أطاعوهُ بطاعتِهِم.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. إنّ أحسنَ قصصِ المؤمنين، وأبلغَ مواعظِ المُتقينَ، كلامُ ربِّ العالمينَ، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ بديء[2] البديئين، وبديع البديعينِ، وديّانِ يوم الدينِ، وفاطرِ خَلْقِ العالمينَ، ومُحصي أعمالِ الكادحينَ، أحمَدُهُ حمداً يفوقُ حمدَ الحامدينَ، وأستعينُهُ إنّهُ خيرُ المعينينَ، وأتوكّلُ عليه إنّه ثقةُ المتوكلين، ورجاءُ المؤمّلينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له غيرَ مستكبرٍ مع المُستكبرينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه

---

(١) أمر من الوفاء بالعهد.

(٢) البديء: الأول.

خاتَمُ النبيينَ، أرسلَهُ رحمةً للمؤمنينَ، وُحجَّةً على الجاحدينَ، فبلَّغ ما أُرسلَ به مع المرسلينَ، وعبدَ اللهَ مطيعاً حتى أتاه اليقينُ، صلى اللهُ عليه في الأولينَ والآخرينَ وعلى آلِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

عبادَ الله لا تغُرَّنكُمُ الحياةُ الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرورُ، إنّ الشيطانَ لكم عدوٌ فاتّخذوه عدواً إنما يدعو حِزْبَهُ ليكونوا مِن أصحابِ السعير. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، إنَّ اللهَ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته، وأيّهَ بالمؤمنين مِن عبادِهِ إنسِهِ(١) وجنّهِ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) هذه القراءة ليست من كلام الخطيب رحمه الله.

خطبة
يوم النّحر

يكبر تسعاً ثم يقول بعد التبكير ما ذكرناه في أول خطبة الفطر إلى آخر القول من قوله جل ثناؤه ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] ثم يقول: عبادَ الله إنّ اللهَ جلَّ ثناؤه لم يرضَ مِن الذكرِ إلا بالكثيرِ، فقال تعالى ذكرُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ فاذكروا اللهَ كما أمرَكُم، واشكُروه على ما هداكُم فإنَّه ذاكِرٌ مَنْ ذكَرَهُ، وزائدٌ مَن شكَرَهُ، ومُعذّبُ مَن كفرَهُ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ الله أكبرُ ولله الحمدُ.

ألا وإنّ يومَكُم هذا يومٌ شريفٌ شرّفهُ اللهُ وعظّمَهُ، وأوجبَ حقَّه وحرَّمَهُ، وجعلَهُ عيداً حراماً في يومٍ حرامٍ من شهرٍ حرامٍ متقدّمٍ لشهرٍ حرامٍ، مُقْتَفٍ لشهرٍ حرامٍ من أيامٍ وشهورٍ عِظامٍ، مباركاتٍ مفضَّلاتٍ على الشهورِ والأيامِ، ومَجمعاً لأهلِ طاعتِهِ، ومَحضَراً يُرجى فيه عفوُهُ وتجاوُزُهُ، وعِدَةٌ لطلَبِ مغفِرتِهِ، ومَوْضعاً للرَّغبةِ والرَّهبةِ والإقالةِ والاستقالةِ والإنابةِ والاستجابةِ، يُقضى فيه التَّفَثُ، ويُجْتَنَبُ فيه الرَّفَثُ، وتجبُ فيه الأنساكُ، ويُرجى فيه الفكاكُ.

فعظّموا ـ عبادَ اللهِ ـ ما عظَّمَ اللهُ مِن حُرْمةِ يومكم هذا بالإيثارِ لطاعتِهِ، والنزوعِ عن مساخِطِهِ ومخالفتِهِ، والتوبةِ إليهِ ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشّورى: ٢٥] واحضُروه بسكينةٍ ووقارٍ ونيّاتٍ خالصةٍ، فإنّ بالنياتِ الخالصةِ والأعمالِ الصالحةِ يستنقِذُ الله أهلَ الذنوبِ مِن مصارعِ الهَلكَةِ ويُنجّيهم مِن الخطايا الموبقَةِ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

الحمدُ للهِ على التعريفِ والهدايةِ، والصُّنعِ في التكليفِ والكفايةِ، والحمدُ للهِ على عمومِ نعمٍ ابتدأها، وسُبوغِ آلاءٍ أسْداها، وجِسامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عن الإحصاءِ عدَدُها، ونأى عن المجازاةِ مَدَدُها، وفاتَ الإدراكَ أمدُها، استنَّ الشكْرَ بإفضالِها، واستحمَدَ إلى الخلائقِ بإجزالِها، ومَنَّ بالندب إلى إكمالِها، والحمدُ للهِ على إلهامنا توحيدَهُ وتحميدَهُ، وإنطاقِهِ ألسنتِنا تمجيدَهُ، وإيداعِهِ صدورَنا توحيدَهُ.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له كلمةً جعلَ الإخلاصَ تأويلَها، وضَمَّنَ القلوبَ مَوصولَها، وأبانَ في الفكرِ معقولَها، خاضعةً له البرايا بتصويرِها شاهدةً على الخلائقِ بتقديرِها، متذلّلةً بحوادثِ تدبيرِها، دالّةً بوجودها على عدمِها، عِبَراً أوضحَها على بَهَمِها[1]، بإنشائها تجلى الرب لها، وبفطرته لها احتجب عنها، وبخلقه إياها احتجَّ عليها، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه المختارُهُ اللهُ قبلَ أن يجْتَعِلَهُ، والمُجتبيهِ قبل أن يجتبِلَهُ،

---

(١) البهم: مصدر بهم، والمعروف استبهم الشيء استبهاما إذا أشكل أمره.

والمصطفيهِ قبل أن يبتعثَه، والمسمّيهِ قبل أن يمتشِجُهُ، إذ الخلائِقُ بالغيوبِ مكنونةٌ، وبستر الأهاويلِ مصونة، وبنهايةِ العدَم مقرونة، عِلْماً من الله بمنازلِ الأمورِ، وإحاطةً بحوادثِ الدهورِ، ومجلَبة لمواقعِ المقدورِ، فبعثَهُ إتماماً لعلمهِ، وعزيمةً على إمضاءِ حُكْمهِ، وإنفاذاً لمقادير حتمِهِ معه برهانُ اللهِ مِن الرسالةِ، وهدايةُ العبادِ من الضلالةِ، ونقلَهُم إلى العلم من الجهالةِ.

والأُممُ فِرَقٌ في أديانِها، عابدِةٌ لأوثانِها، عاكفةٌ على نيرانها، متمرِّدةٌ في عدوانها، مصِرّةٌ على إدمانِها، منكِرةٌ للهِ في عِرْفانِها، فأنارَ اللهُ بمحمدٍ صلى الله عليه ظُلمَهَا، وفرَّجَ عن القلوبِ غُمَمَها، وجلا عن الأبصارِ بَهَمَها، مؤيَّداً بالنصرِ أولياؤُه؛ مخذولاً بالعُتُوِّ أعداؤهُ، فاستخلصَ اللهُ لنبيه صلى الله عليه أنصاراً من خِيرَتِهِ، متآزرين على إظهار ملَّتِهِ، مستبصرينَ بحقائق رسالتِهِ؛ بهم تمَّمَ اللهُ موعودَ نصرِهِ، وإياهم أودعَ خلائصَ ذِكرِهِ، وإليهم ساقَ معالمَ أمْرِهِ، وإياهُمُ اخْتصَّ بجزيلِ أجرِهِ، وعليهم أكّد ميثاقَ نذْرِهِ، وفيهم ردَّ بصائرَ عُذْرِهِ، حتى استنفدَتِ المدّةُ أيامَها وأظهَرَتِ الملّةُ أحكامَها، وبيَّنَتِ البصائرُ أعلامَها[1]، ونطَقَ زعيمُ الدّينِ، وخَرِسَتْ شقاشِقُ الشياطينِ، فقبضَ اللهُ محمداً صلى الله عليه قَبْضَ رأْفَةٍ ورحمةٍ واختيار، ورغبةٍ وإيثارٍ، عن لَعِب هذه الدارِ، موضوعاً عنه عِبْءَ الآصارِ، محفوفاً بالملائكةِ الأبرارِ، ورضوانِ الربِّ الغفّارِ، فصلى الله على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ آناءَ الليلِ وأطرافَ النّهارِ. وأنتمُ اليومَ ـ عبادَ اللهِ ـ نُصْبَ أمرِ اللهِ

(١) أي أظهرت البراهين رسومها وأماراتها.

ونهيِهِ، وحُمّالُ دينِهِ ووحيِهِ، أمناءُ اللهِ على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأممِ حولكم، وعُهداؤه على الوفاءِ بميثاقكم، لله فيكم عهدٌ قدَّمَهُ إليكم، ومعذرةٌ استخلفها عليكم، ورسالةٌ أشادَ بها فيكم.

كتابُ اللهِ بينةٌ بصائِرُهُ، وآيٌ منكشِفةٌ سرائرُهُ، وبرهانٌ مُنجليَةٌ ظواهِرُهُ، مُديمٌ للبريةِ إسماعُهُ، قائدٌ إلى الرضوان أتباعَهُ، مؤدٍّ إلى النجاةِ أشياعَهُ، فيه بيانُ حججِ اللهِ المنوَّرَةِ، وعزائمِهِ المفسَّرةِ، ومواعظِهِ المكرَّرةِ، ومحارمِهِ المحذَّرَةِ، جملةً كافيةً، وفِسْرَةً[1] شافيةً، وتبيانَةً جاليةً. فضائلُ مندوبةٌ، ورخَصٌ موهوبةٌ، وفرائضُ مكتوبةٌ، وسننٌ متبوعةٌ، وشرائعُ مشروعةٌ، ومنسوخاتٌ موضوعةٌ؛ جعلَ اللهُ الإيمان به دِعامَها، وإقام الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ نظامَها، والغُسْلَ وإسباغَ الوضوءِ تمامَها، والصدقةَ والصيام سَنامَها، والحجَّ والجهادَ قِومَها، والأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ دوامَها، والوفاءَ بالعهودِ والنذورِ زِمامَها؛ ثم أمرَ ببرِّ الوالدينِ وصلةِ الأرحامِ، وعَدْلِ النَّصفةِ في الأحكامِ، والاسترجاعِ عند فَجائعِ الأيامِ، ووفاءِ المكاييلِ والموازينِ، والعدلِ في قسمةِ المواريثِ، واللّين في معاشرةِ النساءِ، وحُسنِ الصُّحبةِ للماليكِ والأرقّاءِ، والكَنافةِ للجيرانِ الأدنياءِ، وأبناءِ السبيلِ الأجنِباءِ[2]، والفضلِ بكظْمِ الغيظِ، والتجاوزِ عن الاقتصاصِ ودفعِ السيئةِ بالحسنةِ، والوُصاةِ بالأقاربِ، وإفشاءِ التحيةِ للأجانبِ؛ وحرَّم عليكم كلَّ نجِسٍ من المطاعِمِ والمشارِبِ، من الميتةِ والدمِ ولحمِ

---

(١) الفِسرة: المرة الواحدة من الفَسْر وهو البيان.

(٢) الغرباء.

الخنزيرِ وما أُهلَّ لغيرِ اللهِ به، وذُكِرَ غيرُ اسمِهِ عليه. والمنخنقَةِ والموقوذَة والمتردِّيةِ والنطيحةِ وما أكَلَ السَّبُعُ إلا ما اضطُررتم إليه مِن ذلك كلّه في المساغِبِ(١)، وأيامِ القَحْمِ في الشصائبِ(٢)، وحرَّمَ عليكم مقارفَةَ الزنا، ومعاقدَةَ الربا، وقذْفَ المحصناتِ بالفِرَى، والتزيُّنَ بأعمالِ الرِّيا، ونكاحَ النساءِ من الأمهات، والبناتِ والأخواتِ، وذواتِ المحرم المحرَّمات، وتبعُّلَ الأزواجِ من المحصناتِ، والأيامى المعتدّاتِ، وحرَّم عليكُمُ التعرُّضَ للآثامِ، بأكلِ المالِ من جميعِ الأنام؛ ونهى عن الهمزِ واللّمزِ والنميمةِ والسُّخريِّ والكبرياءِ، وسوءِ الظِّنّةِ بالأبرياءِ، والطَّعنِ على الأئمةِ الصُلحاءِ، وحضّ على تأديبِ الأهلينَ، والتنفُّلُ بإطعامِ المساكينِ، والاستغفارِ للسلفِ الماضينَ، رحمةُ الله عليهم أجمعين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ؛ لا إله إلا اللهُ؛ واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

وهذا يومٌ مَحْضَرُهُ زكاةٌ، ولصالح عملكم منماةٌ، ولسوالِفِ ذنوبكم مَمحاةٌ، ومِن مُؤْتَنَفِ(٣) آثامِكم منجاةٌ، فاتّبِعوا فيه السنَّةَ، واستوجبوا فيه المنّةَ، بإراقةِ دمٍ سائلٍ، وإتمامِ نُسُكٍ كاملٍ، وإطعامِ المعترِّ والسائلِ، وقَسَمٍ للمتعفّف الخاملِ؛ قال اللهُ تعالى:

---

(١) المساغب: جمع مسغبة وهي المجاعة.

(٢) القُحْم جمع قُحمة وهي الأمر الشاق الذي لا يكاد يركبه أحد، والقحمة السنة المجدبة. والشصائب جمع شصيب وهي الشدة والجدب.

(٣) المؤتنف: المستقبل.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحجّ: ٣٧] الآية.

فإذا انصرفتم إن شاء اللهُ إلى منازلكم، فمن كانت له أضحيةٌ فليبدأ بها، وليستقبلْ بها القبلةَ وليكبِّرِ اللهَ وليذكرِ اسمُهُ، ولينحرْها نحراً، ولا ينخَعْها نخعاً[١].

ولْيقُلِ اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبَّلْ مني كما تقبَّلْتَ من إبراهيمَ خليلِك، ومحمدٍ نبيِّكَ، فإنّهُ بلَغَنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ضحَّى بكبشين أقرنَينِ أملحَينِ موجوءَيْنِ[٢]، ينظران في سوادٍ، ويمشيان في سوادٍ، ويبرُكانِ في سوادٍ؛ واضعاً قدَمَهُ على أعناقِهِما، مُستقبِلاً بهما القبلَةَ؛ فلما ذبح الأوّلَ، قال: بسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ اللهم هذا منكَ ولكَ، اللهمّ هذا عن محمدٍ وآلِ محمدٍ. ثم ذبَحَ الآخَرُ، وقال: بسمِ الله واللهُ أكبرُ، اللهُمّ هذا عمّن شهدَ لي بالبلاغ وشهِدْتُ له بالتصديقِ، ولقيَ اللهَ لا يشركُ به شيئاً مُعظَّمةً للهِ شعائِرُهُ، مُحتَسَبَةٌ لديهِ ذخائرُهُ، موَفَّرةٌ على أهلِ الفاقَةِ عشائِرُهُ[٣].

مضَتِ السُّنّةُ ـ رحمكُمُ اللهُ ـ باستِسْمانِها، والمغالاةِ بأثمانها، والتجنُّبِ لنُقصانِها، مِنْ عَضَبٍ في آذانِها، أو هَتَمٍ[٤] في أسنانِها، أو خَوَرٍ في أركانِها، أو عَوارٍ في أبدانَها.

---

(١) النخع: أشد القتل حتى يبلغ الذبح.
(٢) الموجوء: المرضوض الأنثيين، والمراد هنا أنهما كانا خصيَين.
(٣) العشائر: جمع عشير، وهو العشر، وأراد بذلك الأجزاء. ونقل العلامة طاهر الجزائري رَحِمَهُ اللهُ عن الكندي قوله: الصواب عتائره جمع عتيرة وهي الذبيحة.
(٤) العضب في الأذن، ذهاب بعضها، والهتم انكسار الثنايا.

لا أُضحيةَ على طفلٍ ولا جنينٍ، ولا على مُعْسرٍ مسكينٍ، الذبحُ بالملّةِ، والفضلُ بالتسميةِ، والادّخارُ بالرُّخصةِ، واستنفادُ الطعامِ نافلةٌ. البقرةُ عن سبعةٍ، والبدنةُ عن سبعةٍ، والثنيُّ من المعزِ والجذعُ من الضأنِ مَجْزاةٌ.

ولا ذبحَ إلا بعد الصلاةِ؛ والذبحُ يومَ النحرِ ويومينِ بعده مقبولٌ؛ والتشريقُ ثلاثةُ أيامٍ بعد يومِ النحرِ.

والتكبيرُ سواءٌ في المِصْرِ وغيرِ المِصْرِ في صلاةِ الفرْضِ إلى انقضاءِ صلاةِ العصرِ مِن آخِر أيامِ التشريقِ.

فعظّموا شعائرَ اللهِ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثمّ محِلّها إلى البيتِ العتيقِ، وتصدّقوا فإنّ اللهُ يُجزي المتصدِّقين، ولا يُضيعُ أجرَ المحسنين، وأقرِضوا اللهَ قرضاً حسناً، وما تقدِّموا لأنفسكم مِن خيرٍ تجدوه عندَ الله هو خيراً وأعظمَ أجراً؛ واستغفروا اللهَ إنّ اللهَ غفور رحيمٌ. ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

إنَّ أحسنَ قصَصِ المؤمنينَ، وأبلغَ مواعظِ المتقينَ، كلامُ ربِّ العالمينَ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟

ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحَجّ: ٢٦-٣٣].

بارَكَ اللهُ لنا ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَنا وإياكم بالآياتِ والذّكرِ الحكيمِ.

❀ ❀ ❀

الخطبة الأولى في الاستسقاء

أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله وأتوب إليه، وأعوِّلُ في إجابةِ دعائِنا عليه.

الْجَؤُوا إلى اللهِ عِبادَ اللهِ عند العَياءِ[1] بفادحِ الأمرِ وتحصَّنُوا بغخلاصِ التوكُّلِ عليه مِن نوائبِ الدهرِ، وأكثِروا ذِكْرَ نِعمِهِ في السرِّ والجهرِ. وأطلِقُوا بإدامةِ استغفارِه محبُوسَ القَطْرِ، وأسْبِلُوا دمْعَ العُيونِ على سولفِ الأجرامِ. يُسبلِ الله عليكم رحمتَه بواكفِ الغمَامِ، فما حبسَ اللهُ قطرَ سمائِهِ بُخلاً برزقِهِ. ولكنْ جعَلَ اللهُ ذلك عبرةً وتأديباً لخلقِه. فارغبُوا أيُّها النّاسُ في فتح أبواب السماء إلى مَن بيدِهِ مفاتيحُها، واجْأَرُوا إليه بالاستغفار فإنَّهُ أنواؤُها ومجاديحُها[2]،

(١) العياء: الأمر الذي لا يُهتدى إليه، والداء العياء الذي أعيا الأطباء.

(٢) الأنواء: جمع نوء وهو السحاب التي تأتي بالمنظر، والمجاديح. واحدها مجدح، وهو النجم، وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيهاً بالمجدح =

وأذيبُوا بنارِ الاستغفارِ. جامدَ القِطارِ(١). ولا تَقنَطُوا مِن رحمةِ مَنْ وسعَتْ كلَّ شيءٍ رحمتُهُ. واشكُروا نعمةَ مَن فِي كلّ بلاءٍ نعمتُهُ، واعترِفُوا له بالتقصيرِ فيما ألزمَ تجدوه أرْأَفَ بكم وأرْحَمَ، وقولوا كما قال أنبياءَ الله وصفوتُهُ. وأخِصَّاؤه وخِيرتُهُ، ربّنا ظلَمْنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكوننَّ من الخاسرينَ. ربِّ إنِّي أعوذُ بك أَنْ أسألَكَ ما ليسَ لِي به عِلْمٌ وإلّا تغفرْ لِي وترحمْنِي أكنْ مِنَ الخاسرِينَ.

لا إله إلّا أنتَ سبحانَك إنّي كنتُ من الظالمين. ربّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فغفَر له إنّه هو الغفورُ الرّحيم. سمِعنا وأطعْنا غُفْرانَك ربّنا وإليك المصير. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢]، ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠]؛ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٠-١٤].

= الذي له ثلاث شعب، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، وفي التعبير استعارة، فقد جعل الاستغفار مشبَّهاً بالأنواء مخاطبةً لهم بما يعرفونه.

(١) القِطار: جمع قطرة.

فاستغفروا اللهَ عبادَ اللهِ لقديمِ الجرائمِ، وعظيمِ المآثمِ، ولْيخرُجْ بعضُكم إلى بعضٍ مِن الغُصُوبِ والمظالِمِ، فإنَّ ربكم رحيمٌ توابٌ، كريمٌ وهّابٌ، يقبلُ التوبَة عن عبادِهِ ويعفو عن السيئاتِ ويعلمُ ما تفعلونَ، وهو القائلُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ٦٤] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعَام: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ﴾ [الأنفَال: ٥٣] ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ﴾ [الرّعد: ١١] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعـراف: ٥٥] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعرَاف: ٥٦].

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعوِّل في إجابة دعائِنا عليه.

اللهُمَّ إنَّ رجاءَنا واقفٌ عليك، ودعاءَنا خوفاً وطمعاً صاعدٌ إليك، وإقرارَنا بالتقصير والتفريطِ بين يديك، ونحنُ عبيدُك الفقراءُ الملتمسون ما لديك.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعوِّل في إجابة دعائنا عليه.

اللهمَّ إنّ أرْضَكَ بين يديك خاشعةٌ، ونفوسَ عبادِك فيما لديك طامعةٌ، وأعناقَهم هيبةً لك خاضعةٌ، والمقاديرَ بمشيئتك واقعةٌ، والأمورَ كلَّها إليك راجعةٌ، ورحمتَك لكلِّ مطيعٍ وعاصٍ

واسعةٌ، وأنت الكفيلُ بقيامِ أرماقها، والوكيلُ بإدرارِ أرزاقِها، والمُنعمُ عليها بغيرِ استحقاقِها، والحافظُ لها في أقطارِ أرضها وآفاقِها، فأخْرِجْها إلى سعةِ جُودِك مِن ضيق إملاقِها.

أستغفرُ الله وأتوب إليه، وأعوّل في إجابة دعائنا عليه.

اللهمّ إنّ كثرةَ الذنوبِ ومَساوي العيوبِ، وخُبْثَ طويَّاتِ القلوبِ، والهجومَ على مُرْديات الحُوْبِ[١]، حجبَتْ عنّا غيثَ سمائِك، وصدَّتْنا عن شُكرِك على حُسنِ بلائِكِ، وأنْسَتْنا ذِكرَ نعمِكِ وآلائِك، للسابق في قدَرِكَ وقضائِك.

وقد جئناك راجفةً لهيبتك ألبابُنا، خاضعةً لعزَّتِكَ رقابُنا.

نُقِرُّ بالتقصير في أداء حقّكَ، وقلةِ الشُّكرِ لك على إدرارِ رزْقِك.

فنتوسّلُ إليك بالخيرَةِ الأبرارِ مِنْ خلقِكَ[٢]، أن تُنشِئَ لنا سحاباً غَدَقاً مِدرارُهُ، هنيئاً انهمارُهُ عامّاً ابتكارُه، محفوفةً بالسلامة أقطارُهُ، موسومةً بالخِصْبِ والسعةِ آثارَهُ، تنهلُّ عَزالِيهُ[٣]، وتترادفُ تَوالِيهُ، تُبشّرنا بالرحمةِ والسلامةِ رعودُهُ، وتَهْمِي[٤] بالوابل القَصِف الصيّبِ وفودُهُ، ترسلُ الرّياحَ بين يديْه مُبشّراتٍ، وتكسو بهِ أرضَك حُلَلَ النباتِ، وتُنزِلُ علينا بنزولِه صنوفَ البركاتِ، وتفتحُ لنَا به

---

(١) الحوب: الإثم.

(٢) انظر الصفحة (١٠١) حاشية رقم (١) ففيها تفصيل هذه المسألة.

(٣) عزالي: جمع عزلاء، وأصله فم المزادة.

(٤) همْيُ المطر: كثرة صبّه.

خزائنَ الأقواتِ، تضحَكُ في بكائِه بُروقُهُ(١)، وتَدِرُّ بالرحمةِ والنعماءِ فُتوقُهُ(٢)، ويتلو منه صَبوحَه غَبوقُه، سحوحاً صَوْبُه، بطيئاً أوْبُهُ، مُسِفّاً هَيْدَبُه، مُلتفاً صيِّبُه، صَخِباً إرزامُهُ، متحلِّباً غَمامُهُ، جَلجالاً هميرُهُ، سيّالاً نميرُهُ، متفجِّرةً خِلالُهُ، مُنهمِرَةً أذيالُهُ(٣)، يدفَعُ بعضُه بعضاً، وتُروي به سماءٌ أرضاً، وتُبْدِلُنا به مِن بعدِ جَدْب خَفْضاً(٤)، حتى تطفَحَ به الوِهادُ(٥)، وتَروى به البلادُ وتحْيى به العِبادُ، ناشراً به علينا سُرادِقَ نعمتِكَ، قابضاً به عنّا بوائقَ نَقمتِكِ، تُنعِشُ به الضعيفَ مِن عِبادِك، وتُحْيي به الميْتَ مِن بلادِكَ، تَرحَمُ به الأطفالَ الرُّضَّعَ، والبهائمَ الرُّتَّعَ، والمشايخَ الخُشَع، وتُشفِّع به فينا أولياءَكَ السُّجَّدَ الرُّكَّعَ، تُنبِتُ به الزرعَ، وتُدِرُّ به الضرعَ، وتُخرِجُ به النباتَ وتُحيي به الأرضَ الموات،

---

(١) شبّه البرق في لمعانه ببياض الأسنان وبروقها عند الضحك، والمطرَ بالدموع عند البكاء.

(٢) الفتوق: شقوق السحاب وغيره، والصَّبوح ما يُشرب وقت الصباح. والغبوق: ما يُشرب عشيّةً.

(٣) سحوحاً: كثير السحّ، والسحّ كثرة نزول الماء، والصوب،: المطر، والسِّفّ: الداني، يقال أسف الطائر إذا دنا من الأرض، والهيدب: في الأصل هدب الثوب طرّقه، والمراد هنا ما يُرى من السحاب كأنه خيوط مدلاة. والمراد بقوله: ملتفاً صيِّبُه: أي متراكمة سحابُه .
وقوله: (صَخِباً إرزامه): الصخَب الجلبة، والإرزام صوتٌ لا يُفتح فيه الفم. و(جَلجالاً هميرُه) الجلجال: بالفتح شديد الصوت، والهمير: النزول، وقيل الصوت كالهدير، و(سيالاً نميره) النميرُ الماء.

(٤) الخفض: العيش الهنيء اللّين.

(٥) الوهاد: المواضع المنخفضة.

حتى لا يدَعَ وادياً إلا أسالَهُ، ولا أبّاً إلا أطالَهُ، ولا جَدْباً إلّا أزالَهُ، ولا قَفْراً إلّا أعشَبَهُ، ولا مِصْراً للمسلمين إلّا أخصَبَهُ.

تُعِمُّ به قاصِيَنا ودانينا، وحاضِرَنا وبادِيَنا، فإنّكَ الملِك المسؤولُ، والمرجوُّ المأمولُ، ونحن عبيدُك المذنبونَ الخاطئونَ المعترفونَ وإنا لك وإنّا إليك راجعون.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعَوِّلُ في إجابةِ دعائنا عليه.

اللهم جُدْ علينا بتحقيقِ الآمالِ. وأسعِفْنا بتبليغ السُؤالِ، وتصدَّقْ علينا بالفضلِ والنّوالِ، ولا تُخْلِنا مِن حُسْنِ نظرِك في كلِّ حالٍ.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعَوِّلُ في إجابةِ دعائنا عليه.

اللهُمَّ إن تُهْلِكنا فبقبيحِ أعْمالِنا، وإن تَرْحمنا فبرحمتكَ لأصاغِرِنا وأطفالِنا، وأنت العالِمُ بسيّئِ أحوالِنا، فجُدْ علينا بتبليغِ آمالِنا.

ثم ارتفعت سحابة وهو على المنبر فقال ارتجالاً:

اللهم هذه أماراتُ رحمتِكَ ومُقدِّماتُ نِعمتِكَ، وآياتُ رأفتِكَ، وعلاماتُ إجابتِك، تفضُّلاً منك على خليقتك، اللهمَّ فعجِّل لنا الفرجَ بإرسال الرياحِ، المبشِّرات باليُسرِ والنجاحِ، وأتِح لنا مِن نوافلِ جودِك المُتاحِ، غيثاً تُساوي به بين الأكامِ والبِطاحِ؛ إلى ها هنا الارتجال[1].

---

(١) أي ما قاله ارتجالاً لمناسبة شهود السحابة.

أستغفر الله وأتوب إليه، وأعَوِّلُ في إجابةِ دعائنا عليه.

اللهمَّ عَجِّلْ لهذا السوادِ الأعظمِ فَرَجاً عاجلاً، وسهِّلِ لكافّتِنا غَيْثاً هاطِلاً، تُسيلُ به الشِّعابَ، وتُروي به الظِّرابَ(١)، وترحَمُ به منّا مَنْ لا ذنبَ له ولا حُجَّةَ عليه يا مَنِ الخيرُ أجمعُ بيديه.

إن أحس الحديثِ والذِكرى، وأنفعَ المواعظِ لأولي النُهى، كلامُ ربّ الآخرةِ والأولى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشّورى: ٢٨].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على ما ساءَ وسرَّ مِن القضاءِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ ربُّ الأرضِ والسماءِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمَ الرسُل والأنبياءِ، وسيّدُ الأُمناءِ، صلى الله عليه وعلى آله في جميعِ الأوقاتِ والآناءِ.

عبادَ اللهِ: قد ترَوْنَ ما حلَّ بكم من هذه الجائحةِ العظيمةِ، وأظلَّكم من هذهِ المصيبةِ الأليمةِ، وما منكم من أحدٍ إلّا وقد توجَّه إلى اللهِ بسؤالِهِ، وجأَرَ إليه بابتهالِهِ، فَوَاسَوْءتا إنْ لم يكن في هذا المِصْرِ أحدٌ مستحقٌ للإجابةِ، وواحُزْناً إن لم يرتفعْ دعاءُ أحدِكم بتحقيقِ الإنابةِ.

فاقْرعوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ بابَ الملكِ الرحيمِ، وارغَبوا إليه في دفعِ هذا الأمرِ العظيم.

---

(١) الظراب: جمع ظربَ بوزن كتف، هو الرابية الصغيرة.

فوالذي بعثَ محمداً بالحقّ رسولاً، قسماً لا تجدون له تبديلاً، لئِنْ صدَقتُموه في السُؤالِ، ليُعجِّلنَّ عليكم بالنِّوالِ، فلْيرتفعْ إليه بالدعاء ضجيجُكَمْ، ولْيصعدْ إليه بالابتهالِ عجيجُكم[١]، وأخلِصلوا نيّاتِكم في الدعاءِ، واتّبعُوا سُنَّةَ نبيّكم في قلبِ الرِّداءِ، يقْلِبكمُ اللهُ مِن الضرّاءِ إلى السرّاءِ، ويُخرِجْكُم مِن ضيقِ الشدّةِ إلى سَعةِ الرّخاء، فإنّ اللهَ عزّ جلالُه لدعائكم مستمعٌ، وعلى نياتِكم مُطّلعٌ، وهو القائلُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

❀ ❀ ❀

(١) الضجيج والعجيج رفع الصوت.

الخطبة الثانية يذكرُ فيها صنعَ الله وتفضُّلَه بالغيثِ بعد الاستسقاء

الحمدُ للهِ ذي المنْع العنيفِ، والصُنعِ اللّطيفِ، والسّطوِ المخوفِ، والعفوِ المألوفِ؛ المعروفِ بالمعروفِ، المُحسنِ البَرّ الرؤوفِ، أحمَدُه على نَيلٍ مَنَحَهُ، وأزْلٍ زَحْزَحَهُ(١)، ومَنٍّ طَوَّقَهُ، وظنّ حقّقَهُ، حمداً لا يدَعُ مَدَداً من البِرِّ إلّا استوجَبهُ، ولا يُغادِرُ أمداً مِن الشُّكرِ إلا استوعَبَهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي علِم كلّ شيءٍ فأحصاهُ، وعمَّ فَضْلَهُ مَن أطاعَهُ مِن خلقِه وعصاهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلَهُ بشرعِ هُداهُ، وأهَّلهُ لقَمْعِ عِداهُ، فاجتمعت به الكلِمةُ، ودُفعتْ به النِقمَةُ، وتبوَّأ به الإسلامُ دارَهُ، وأطفأ به مِن الكفرِ نارَهُ، صلّى الله عليه وعلى آلِهِ كما اصطفاهُ واختارَهُ، صلاةً يعُمُّ بها مُهاجريهِ وأنصارَهُ، (وسلم تسليماً):

عبادَ الله كيف رأيتُم مِن اللهِ حُسْنَ الإجابةِ، حين أخلصتُم

---

(١) الأزل: الضيق، والمعنى: كم من ضيقٍ أزاله.

إليه تحقيقَ الإنابةِ، أم كيف وجدتُمْ غِبَّ الاعتصامِ بحبلِهِ، وعاقبةَ التعرُّضِ لفضلهِ، أوَلَم تجدوهُ للدّعاءِ سامِعاً، وبموفورِ العطاءِ واسعاً، أوَ لم تكنِ الأرضُ هامدةً، حين كانتِ العيونُ جامدةً، حتى إذا وجَلَتِ القلوبُ فخشَعَتْ، وهَمَلَتِ العيونُ فدمَعتْ، واشرأبَّتِ النفوسُ فطمِعَتْ، واستكانَتِ الخليقَةُ فخضَعَتْ، وكان اللهُ عزّ جلاله منتجَعَ الطالبِ، ومَفْزَعَ اللَّهيفِ الهارِبِ، أجراكمْ مِن إحسانِه على المعهودِ، ومدّ عليكم سُرادِقَ المعروفِ والجودِ، وفتحَ لكم مِن نعمتِه أبواباً، وأنشأ لَكم مِن رحمتِه سحاباً، كوَّنها في غيبِ علمِه، وأتقَنَها بلُطفِه وحُكمِهِ، وأمرَها فارتفعتْ مستقلّةً، ونشَرَها فاتسَعَتْ مُظِلّةً، وساقَها بالرياح سوقاً حثيثاً، وأوقرها[1] من البركةِ غيثاً مُغيثاً، حتى إذا عمّتِ الآفاقَ طولاً وعَرْضاً، ورَكَضها[2] الملكُ الموكلُ بها رَكْضاً، وتمخَّضَتْ تمخُّضَ الحامِلِ، وكادَتْ تنالُها بسطةُ المتناولِ، أنطقَ اللهُ بالبِشارة رَعْدَها، وحقَّق بالنَّضارةِ وعْدَها، وأطلعَ بالعِمارة سَعْدَها، وأوسَعَ في كلِّ رَبوةٍ وقَرارةٍ رِفدَها، وأصْلَتَ في أرجائِها سيوفَ البَرْقِ، وأسبلَ مِن خِلالِها سِجالَ الوَدَقِ[3]، وأمَر الرياحُ فَمَرّتْ أخلافُها[4]، وزمَّ بالسلامة أوساطَها وأطرافَها، فطبَّقَ بصوبها السهلَ والجبلَ، وحقَّق بغيثها السُّؤلَ والأمَلَ، فأصبحتِ الوِهادُ مُترَعة، والبلادُ مُمرِعةً،

---

(١) أي: حمّلها.

(٢) حثَّها.

(٣) السجال: الدّلاء حضرو ولو، والودق: المطر.

(٤) الأخلاف: جمع خلف بالكسر وهو الضرع، ومَريتُ الضرع إذا مسحته وعصرته ليدرّ.

والرَّوضُ ناضراً، والخلقُ متباشِراً، قد ثابتْ منهم النّسايسُ[1]، وانجابتْ عنهمُ الوساوسُ، وطابتِ النفوسُ، وغابَتِ النُّحوسُ. فقوموا لله أيها الناسُ بشكر هذه النّعم تُسْعَدوا بدوامِها، وشُدّوا بتقوى اللهِ ومراقبته عَقْدَ نِظامِها، والجؤوا في الأمورِ إلى مَن عسيرُها عليه سهلٌ يسيرٌ، وانظرُوا إلى أثرِ رحمةِ اللهِ كيف يحيِي الأرضَ بعد موتِها، إنّ ذلك لمُحيي المَوْتَى وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

أمتعنا اللهُ وإيّاكم بذِكرِ آلائِه، وأوزَعنا وإيّاكم شكرَ نعمائِهِ، وفتَحَ لنا ولكم من بركاتِ أرضهِ وسمائِهِ، وخارَ لنا ولكم في محتومِ قَدرِه وقضائِهِ.

إنَّ أكثرَ النّظام فائدةٌ، وأحمدَ الكلام عائدةٌ، كلامُ مَن تخرُّ له الجِباهُ ساجدةٌ. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) النسايس: جمع نسيسة، وهي: بقية النفس.

خطبة
في كسوف الشمس

الحمدُ للهِ مظهرِ الآياتِ عِبَراً للناظرينَ، وصارِفِ النازلاتِ عن المتقينَ الذاكرينَ، وموجبِ المزيدِ مِن نعمهِ للمستجيبينَ الشاكرينَ، ومُجلّلِ رحمتِهِ كافّةَ البادينَ والحاضرينَ.

أحمَدُه على إسبالِ سِتره الجميلِ، وأعوذُ به مِن وَبالِ مَكْرِهِ الوبيلِ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له أهدى دليلٍ وأكرمُ مُنيلٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أرسلَهُ ناقضاً للمالِكِ، مُنْقِذاً مِنَ المهالكِ، دالاً على أحمدِ المسالكِ، موضِحاً سُبُلَ السُنَنِ والمناسِكِ، ونصَرَه على أعدائِه بكرامِ الملائِكِ، واختارَهُ مِن ذريّةِ لُؤَيّ ابنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكٍ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آله في إسفارِ النهارِ الضاحِكِ، وإدبارِ الظلامِ الحالِكِ، صلاةً يُبَوِّئُهم بها أعلى مقاعدِ السُرورِ والأرائِكِ، وسلَّم تسليما.

أيها الناس:

إنّ آياتِ الساعةِ مترادفةٌ تَتْرى، كنظامِ الجوهرِ تتْبَعُ كلُّ

واحدةٍ منها الأخرى، فلا تزالُ عُظماها تُنسيكُمُ الصُّغرى، حتى يختِمُها اللهُ لكم بالطّامّةِ الكبرى، فما فعلَتِ العَبْرَةُ التي رأيتموها بالأمس، مِنْ ظهورِ الكواكبِ نهاراً واسودادِ الشمسِ، أأحدَثَتْ في قلوبكم وجَلاً، أم أصلَحَتْ لكم عند الله عملاً، فإنّ القادِرَ على إعادةِ الظُّهرِ طَفلاً[1]، قادرٌ على أن يبعث العذابَ على من عصاه قِبَلاً، فلا تحسِبوا ـ عبادَ اللهِ ـ إظهارَهُ لكمُ الآياتِ لعباً، لكن لتجأروا إليه رغَباً ورَهَباً، وتجعلوا التوبةَ إلى رضاهُ سبباً، مِنْ قَبل أن يأخُذكم على الغفلةِ والإصرارِ غضباً، كما أراكم شمسَ النهارِ في بشاعةِ منظرِها.

بعد الْتماعِ نورِها وصفاءِ جوهرِها، فمن كان سواهُ يجلو للعبادِ ظَلامها، أم مَن كان غيرُه يكشِفُ عن البلاد إدْلهمامِها، سبحانَه لا يُصرِّفُ سواه زِمامَها، ولا يعرِفُ غيرُه مسيرَها ومُقامَها، إلا وإنّ الشمسَ والقمرَ خلقٌ لله وآيتانِ من آياتِهِ، لا يَكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ، وإنّ ظُلَمَ ذنوبنا لَتوجِبُ إظلامَ النهارِ، وانفصامَ الفَلكِ الدّوارِ، لولا تعطُّفُ الملكِ الجبّارِ، وسعةُ رحمةِ العفوِّ الغفّارِ، الذي جادَ عليكم بفضلِهِ فجلّاها. وأعادها لكم بطولِه كما أبداها.

فأينَ أنتم عنها إذا ردَّها اللهُ على عَقبِها، وأدارها بخلاف دَورِ قُطبِها، وسيَّرها في غيرِ مذهبها، حتى يردّها طالعةً عليكم من مغربِها، فعندها تُغلَقُ أبواب التوبةِ لطالِبها، وتتعذّرُ أسبابُ الأوبةِ لخاطِبها.

---

(١) الطَّفَل: العشيّ، وهو وقت دُنُوِّ الشمس من المغيب.

أم كيف بكم إذا كُوِّرتْ في القيامة فاسودَّتْ، وتدكْدَكَتْ لهَوْلها صُمُّ الجبالِ فانهدَّتْ، ورُكِّبتِ الجسورُ على متن جهنّمَ فامتدَّتْ، وأُخِذَتِ المذاهبُ على الهاربين فانسدَّتْ، وعظُمَتْ المطالباتُ فاجتدَّتْ، وطالتِ المخاطباتُ فاشتدّتْ، واكفهرّت وجوهُ الظالمينَ فاربَدَّتْ[1]، ونُصِبَ ميزانُ الحقّ لوزنِ أعمالِ الخلقِ، وتجلّى اللهُ لنصرةِ المظلومِ، وفَصْلِ الحكومةِ بين الخصومِ، هنالك ينادي الحاكم تعالى ذلك الحاكمُ، إن حازني ظُلمُ ظالمٍ فأنا الظالم.

فرحمَ اللهُ امرأً أقلعَ عما كان عليه مُقيماً، وأخلَصَ للقاءِ اللهِ قلباً سليماً، لِيعتاضَ مِن نارِ السموم جنةً ونعيماً ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النِّساء: ١٤٧] أجارَنا اللهُ وإياكم من بَغْتاتِ سَطْوِهِ، وأصارَنا وإياكم إلى درجاتِ عفوِهِ، ووفّقنا وإياكم لسعي العاملينَ، ولا جعلَنا وإياكم مِنَ الغافلينَ.

إنّ أنفعَ ما حُسِمَتْ به الأسقامُ، وأبلغَ ما لُقّحَتْ به الأفهام، كلامُ مَن لا يُشبهُ كلامهُ كلامٌ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) اربدّت: احمرّت حمرة فيها سواد عند الغضب/ لسان العرب مادة/ (ربد).

خطبة في النكاح

الحمدُ لله شكراً على ما أوزَعْنا عليه شُكْراً، وصبْراً لما ألهَمَنا عليه صبراً، الذي أوسعنا في كَنفِ كفايتهِ سِتْراً، وأبدلنا مِن بعد عسرٍ يسراً، وأعظَمَ لمن اتّقاهُ وخافَهُ أجراً، ووعَدَنا بالحسنةِ الواحدةِ عَشراً، وقدَّم إلينا قبل إيقاع نقمتِهِ عُذراً، وجعل دار البوارِ مآلَ مَن بدَّل نعمته كُفراً، أحمدُه حمداً أُعدّهُ ذُخْراً، وأستمِدُّه على الأعداءِ نصراً.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدْمِنُها سِرّاً وجهراً، وأقِرُّ بها شفعاً ووتراً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله ابتعثَهُ مِنَ أطهرِ بريّته نَجراً[(١)]، وأظهرِها فخراً، وأكبرِها قدراً، وأزخرها بحراً، وأوضحِها فجراً، وأشرحِها صدراً.

منزَّهاً أن يقولَ شِعْراً، مُبرّءاً أن يكونَ ما جاء به سِحراً، فجلا عن الأسماع بحكمه وِقراً، وأعادَ حلَّ محارمِ الله حِجراً وأوجبَ رحمَتَه لمن قَبِلَ له نهياً وأمراً، وصبَّ نقمتَهُ على مَنِ

---

(١) النجر: الطبع والأصل/ .لسان العرب مادة (نجر).

اعتقدَ له غَذْراً، حتى استجابت له الأممُ طوعاً وقهراً، وعاد عُرْفُ البهتانِ بأيمانه نُكراً.

صلى الله عليه وعلى آله ما تلا دهرٌ دهراً، صلاةً تنثُرُ عليهم بركات مواهبِه نثراً، وينشرُ بها عليهم رحمتَهُ ورضوانه نشراً.

ثم إنّ اللهَ سبحانَه جمعنا لأمرٍ وَضَع به عنّا إصراً، وجبَرَ منّا به كسراً، وسدّ به مِن ذوي القافَةِ فقراً، وأحكمَ بإبرامِهِ متباعِدَ الأنساب ضَفراً[1]، وصيّر كلامنا في عِقْدِ نظامِه شَذْراً، وأعادَ ببركته قُلَّ التناسلِ كُثراً، وأصار بيمنه نَجِسَ المواليد طُهراً، وأعلى به منْ نصِّ كتابهِ ذِكراً، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وفلانُ بن فلانٍ ممن فَضُلَ في أشكالِهِ حَسَباً ووَفْراً، وكمُلَ في أمثاله أدَباً وسِتْراً، ونبُلُ بين إخوانه خَبراً وخُبراً، أتاكم يخطبُ فتاتِكم فلانةَ بنت فلانٍ وقد بذلَ لها مِن الصّداقِ كذا وكذا نِحلةً ومَهْراً، وهو يرى ما بذُلَ لاستحقاقكم قليلاً نَزْراً فشُدُّوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ بمصاهرته أزراً، ولا ترهقوه مِن أمرهِ عُسراً، ولا تردّوا يدَهُ مما سألهُ صِفْراً.

❁ ❁ ❁

---

(١) الضَّفر: الفتل، ومنه انضفر الجبلان إذا التويا معاً، انظر لسان العرب مادة (ضفر).

الخطبة الثانية
في النكاح

الحمدُ للهِ المتفرِّدِ بالجلالِ في رفْعةِ تعاليهِ، المتوحِّدِ بالكمالِ في مَنَعةِ الوقارِ والتنزيهِ، القائمِ بالعدلِ فيما يقدرُه ويقضيهِ، المنعمِ بالبذلِ فيما ييسِّرُه ويُسديهِ، أحمَدُه على ما ظَهَرَ مِنْ نعمِهِ وأياديهِ، حمداً يتقبَّلُهُ منا ويرتضيهِ، ويمتري ما تأذّن مِن المؤيّد لشاكريهِ، وأومِنُ به إيمَان مَن يحذرُه ويتَّقيهِ، وأستعينُه على العمل بطاعته وأستهديهِ، وأعوذُ به مِن مخالفتِهِ وارتكابِ معاصيهِ.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له إعظاماً له عن الندِّ والشبيهِ، وإرْغاماً لكلِّ مُلحدٍ سفيهٍ.

وصلى الله على محمدٍ عبدِهِ النبيهِ، ورسولِهِ المقرَّبِ الوجيهِ، صلاةً تزلِفُهُ وتُحْظيهِ، وترفعُ منزلَتَهُ وتُعليهِ، وعلى الأبرارِ مِن عِتْرَتِهِ وأقربيهِ، والمصطفين مِن صحابتِه وتابعيهِ، والنكاحُ ممّا أمَر اللهُ به وأذِنَ فيه، ومجلسُنا هذا سابقٌ في قضائِهِ الذي يُمضيهِ، مُثبَتٌ في كتابٍ يشتملُ عليه ويُحصيهِ، وفلانُ بنُ فلانٍ ممن بلوتُم ظاهرَهُ وما يُخفيهِ، وارتضيتُم تصرُّفه في مذاهبه ومآتيه، أتاكم يخطبُ فتاتكم فلانةَ بنتَ فلانٍ وقد بذَلَ لها مِن الصداقِ كذا وَكذا فاقبلُوا منه ما

هوَ باذِلُهُ ومُعْطيهِ، وأجيبوه إلى ما هو قاصِدُهُ ومُبتغيهِ، نَظُمَ اللهُ أمرَهما على السدادِ وجَعل الخيرةَ فيه؛ وأستغفرُ اللهُ العظيم لي ولكم ولسائرِ المسلمينَ.

❁ ❁ ❁

الخطبة الثالثة في النكاح

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ الإنسانَ فعدَّلَه، وعلّمَهُ البيانَ ففضَّلَهُ، وأَلبسَهُ الإحسانَ فجلّلَه، وألهمَه الإيمانَ فجمَّلَهُ، أحمدُهُ على سِترٍ أسْبَلَهُ، ونَيْلٍ نوَّلَه، ونُطْقٍ سهّلَهُ، ورِزقٍ أوْصلَهُ، حَمدَ مُطلِقٍ بالحمد مِقوَلهُ، عاجزٍ عن شُكر ما خوَّلَهُ.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنّ محمداً عبدٌ بجَّلَهُ، ونبيٌّ أرسلَهُ، بكتابٍ أنزلهُ، وآيٍ فصَّلَهُ، وشرع سبُلَهُ، ودينٍ أكملَهُ، فاضْطلعَ بما حمّلَهُ، وأسْرَعَ لما أهَّلَهُ، حتى افتتحَ مِن الإيمانِ مُقْفَلَهُ، وأخْمدَ مِنَ البُهتانِ مُشْعَلَهُ، وأرْشَدَ إلى الرّحْمن مَنْ جَهِلَه.

صلى الله عليه وعلى آله ومَن قَبِلَهُ، ما كبَّرَهُ ملكٌ أو هلّلهُ، صلاةٌ تُشرِّف بها في المعادِ منزلَهُ، والنكاحُ مما أباحَهُ اللهُ وحِلّله، والسّفاحُ مما أزاحَهُ وأبطلَهُ، واجتماعُنا هذا لأمرٍ أبرمَهُ اللهُ وسهّلَهُ، وقرَنهُ بمشيئته وعجّلَهُ.

وهذا فلانٌ بنُ فلانٍ ممن بسَطَ إليكم أملَهُ، وجعل عليكم معوّلَهُ، وهو يخطبُ فتاتَكم فلانةً بنتَ فلانٍ المقسومةَ إن شاء اللهُ

لهُ، وقد بذلَ لها من الصَداق كذا وكذا ما يُنجَزُ معجّلُهُ، ويُضْمنُ مؤجَّلُهُ.

فاقبلوا ـ رحمكمُ اللهُ ـ منه ما بذلَهُ، وأجيبوه إلى ما سأله وصِلوا منه ما منكم وصَلَهُ، أسعَدَنا اللهُ وإياكم بالخيرةِ فيما فعلَهُ، وأحمَدَنا وإياكم ماضيَ أمْرِنا ومستقْبَلَهُ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم وله ولسائر المسلمين.

الخطب المختصرة

(وهي خطب تصلُحُ
مقدماتٍ بين يدي الخطب)

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شكراً على ما أنعمَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له كما أمر وألزم، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه شهادةَ مَن آمن به وأسلمَ، وحادَّ مَن كفَر به وأرْغَمَ، صلى الله عليه وعلى آله وما أضاء دهرٌ وأظلم، وأعْلَى مَحالَّهم يومَ الشفاعةِ وأكرم، وسلم تسليما.

اعلموا ـ عبادَ اللهِ ـ أنه لا معقِلَ لكم من الموتِ، ولا عملَ بعدَ الفوْتِ، ولا ريْبَ في النشورِ، ولا مَدفَعَ للمقدورِ، ولا مَناصَ يومَ القيامةِ، ولا خلاصَ إلّا بردِّ الظُّلامةِ، ولا ظُلْمَ عند الرحمنِ، ولا حيفَ في الميزانِ، ولا خيرَ في الألْطاط[1]، ولا جوازَ إلّا على الصراط، ولا صغيرةً مع الإصرارِ، ولا كبيرةً مع الاستغفارِ، ولا مَنزلَ لمن حُرِمَ الجنةَ غيرُ النارِ.

جعلَنا اللهُ وإياكم ممن تزوَّدَ مِن دارِ قُلْعتِهِ[2]، لدارِ رَجْعَتِهِ، وتنبَّه لإصلاحِ شأنِه قبلَ حلولِ صَرْعَتِه، وكان الموتُ نَصْبَ عينِهِ أيامَ مُتعتِهِ.

---

(١) الألطاط: المطل، يقال لطه حقّه وألطه أي منعه.

(٢) يقال هذا منزل قُلعة بالضم أي ليس مستوطن، ويقال هم على قلعة أي رحلة.

إنّ أبينَ البيانِ، وأوضحَ البُرهانِ، كلامُ الملِكِ الديّان، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المبتدئِ بحمدِ نفسِهِ قبلَ أنْ يَحْمدُه حامدٌ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الربُّ الصمدُ الواحِدُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه بعثَهُ في الأميّينَ رسولاً، وجعله على النبيّين شهيداً مقبولاً، وبما وعد مِن ثوابِ المطيعينَ كفيلاً، صلى الله عليه وعلى آله بُكرةً وأصيلاً، وسلَّم تسليماً.

أيها الناس: اكدَحوا للآخرةِ كَدْحاً، واضربوا عن الدنيا صَفْحاً، فقد فوّقَتْ[1] إليكم سهامَ شتاتها، وطبّقتْ عليكم غمامَ آفاتها، وأرتْكُم آثارَ وقائعِ المَنونِ، فيما سلف من مصارعِ القرون، فلا تستطيلوا ـ عبادَ اللهِ ـ إمدّةَ الإنظارِ، وقدِّموا في الإقامةِ عُدّة السِّفارِ، فكأنَّ الآلامَ قد اعترضَتْ والأجسامَ قد انتقَضَتْ والنحوس قد رَشَقَتْ، والنفوسَ قد زُهِقَتْ، والضرائحَ قد تشقَّقَتْ، والفضائحَ قد تحقَّقَتْ، والجوارحَ قد نَطَقَتْ، والرهونَ قَد غُلِقَتْ[2]، والواقعةَ قد وقعَتْ، والخليقةَ قد جُمعتْ، والسماءَ قد فُرِجَتْ، والأرضَ قد بُدِّلَتْ، والجبالَ قد نُسِفَتْ، والبحارَ قد

---

(١) أي صوَّبَتْ.

(٢) غلق الدهن إذا لم يَفك وأُخِذ الدين.

سُجِّرَتْ، والجنةَ قد أُزلفَتْ، والجحيمَ قد أُجِّجَتْ، والحاكِمَ قد نُصِب ميزانُه، والظالمَ قد تُبيّنَ خسرانُه، ففاز بالراحةِ مَن تعب لها، وامتاز بالخَيبةِ من رغب عنها ولها.

جعلَنا الله وإياكم ممن أحسنَ في المعاملةِ، فاستوجَبَ حُسْن المقابلةِ، وفلَجَ[1] بإقامةِ الحُجّةِ يوم المجادلةِ.

إن أحسنَ ما تلاهُ التالون، وعَمِلَ به العامِلون، كلامُ من نحن لعفوِه آملونَ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النّحل: ١١١].

❀ ❀ ❀

(١) فلج: غلب وفاز.

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ وليّ الحمدِ ومستحقّهِ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ مَن قام بحقِّه، وأشهدَ أنَّ محمداً عبدُه المشهورُ بصدْقِهِ، ورسولُه الدالُّ على أحمدِ طُرُقِهِ.

صلى الله عليه وعلى آله أفضلَ ما صلّى على أحدٍ مِن خَلقِه، وسلّم تسليما.

أيها الناس: اتقوا اللهَ وحدَهُ، واعتصموا بحبله واحفظوا عهدَهُ، وشمِّروا في اكتساب ما يُزْلِفَكُمْ عندَه، واسْتَدِيموا بإدمانِ شكرِهِ إحسانَهُ ورفْدَهُ، واسْتَنْجزوا بمواصلةِ ذِكْرِهِ ودعائِهِ وَعْدَهُ، واعلموا أنَّ الموتَ بحرٌ لا بدّ أنْ تَلجِوا مَدَّه، ومنهلٌ كَتَبَ اللهُ على كلِّ حيٍّ وِرْدَهُ، فرحم اللهُ امرءاً جدّد في دارِ الغُرورِ زُهدَهُ، وراقَبَ الرقيبَ عليه جُهْدَهُ، واستقالَهُ خطأهُ وعمْدَهَ، وأنفقَ في طاعتِهِ سعيَهُ وكَدَّهُ، وجعلَ شعارَهُ ذِكْرَ الموتِ وما بعدَهُ.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن أخلصَ على التوبةِ عُقَدُهُ، وأبان عن الحَوبةِ بُعْدَه، ورأى الحقَّ بعينِ الحقيقةِ فقصَد قَصْدَهُ.

إنّ أغَضَّ الكلامِ وأجدَّهُ، وأقومَ القولِ وأسدَّه، كلامُ مَن لا تَبْلُغُ

الأوهـــامُ حـــدَّهُ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [الجُمُعَة: ٨].

❁ ❁ ❁

الخطبة الرابعة

الحمدُ للهِ أَوْلى محمودٍ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له أحقُّ معبودٍ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُهُ أكرمُ مولودٍ.

صلى الله عليه وعلى آلهِ صلاةً مقرونةً بالخلودِ، وسلَّم تسليما.

أيها الناس: إنّ الموتَ بابٌ لا بُدَّ من دخولِه، وضيفٌ لا ريبَ في نزولِه، وهاجِمٌ لا مَدْفعَ لحلولِهِ، وصارِمٌ لا مَطْمَعَ في كُلولِهِ[(١)] فرِحم اللهُ امرءاً أخذ من صحّته لسَقَمِه، ومِن شبيبته لَهَرَمِه، ومِن قُوّته لألمِه، ومِن جِدَتِه لعَدَمِه، ومِن مُقامِه لِرحلتهِ، ومِن دُنياه لآخرتِهِ، وكان في طاعةِ ربِّه من المبرِّزين، فإنّ ما توعَدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين، وأستغفرُ اللهَ العظيم.

❀ ❀ ❀

(١) الكلول: مصدر كلَّ السيفُ إذا زال حدُّه، وكلَّ الرجلُ إذا أعيا أي تعب.

الخطبة الخامسة

الحمدُ للهِ الجبّارِ العظيم، القهّارِ القديمِ، الغفّارِ الرّحيم، السّتّارِ الحليم، الفتّاحِ العليم، ذي السماح الكريمِ، الذي عظُم أن تحبطَ به الأوهامُ، وعزَّ فلا يُدْرَك ولا يُرام.

أحمَدُه على ما جلّلنا به مِن النّعم، وجَنّبناهُ من النّقم، وخوّلَنا مِن جزيلِ القِسَم، حمداً يكافئُ رفدَهُ، ويكونُ مدّخَراً عندَه.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادة مَن أخْلصَ في توحيدِه، وأقرَّ أنّه عبدٌ مِن عبيدِه، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ أرسله والناسُ في الجهالةِ شِيَعْ، ولطاغوتِ الضلالةِ تَبعٌ، فأنقذهم من الهلاكِ، وهداهُم سُبَلَ الفَكاكِ، حتى استقامَ الأوَدُ، واجتمع البِدَدُ[1]، وعُبد الواحدُ الصَمَدُ.

صلى الله عليه وعلى آلهِ صلاةً يَفْنى دونها العَدَدُ، وينقضي قبلَ انقضائها الأبدُ، ولا يبلُغُ مداها أحدٌ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: قد وَضُحَ لكم الحقُّ فاتَّبِعوه، ووعظكُمُ الدهرُ

---

(١) البِدَدُ: المتفرق.

فاستمِعوا لوعظِهِ وَعوهُ، وأراكم مِن العِبَرِ والغيَرِ ما فيهِ مزدجَر، وأتاكم من الآيات ما يَحارُ فيه القلبُ والبصرُ، أفلا تنتبهون مِن رَقَدةِ الغفلةِ، أفلا تتأهَّبونَ لو شَكِّ الرحلةِ، ألا تَصرِفون النفوسَ عن شهواتِها، ألا تُمَهّدون لها قبلَ حينِ مماتِها، فإنَّ الموتَ يهتِك عِصمَ الحياةِ، والحسابَ يُفصحُ بأسرارِ العُصاةِ، والتيقُّظ للعمل سببُ النجاةِ، والنبأ العظيمَ عند هجومِ الوفاةِ.

فرحم اللهُ امرءاً جعَل طلائعَ قلبهِ نَظَرَهُ، وجوامعَ حَزْمهِ فِكَرَهُ، وودائعَ لُبّهِ عِبرَه، وأنفقَ في السعي لخلاصِهِ عُمرُه، فإنّ إلى الله عاقبةَ الأمور، وإنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وإنّ الله يبعثُ مَنْ في القبور.

عصَمنا اللهُ وإياكم بحبلِهِ، ووفّقَنا وإيّاكم لقولِ الحقِّ وفعله، وجعلنا وإيّاكم مِنْ أهلِهِ.

❀ ❀ ❀

الخطبة السادسة

الحمدُ للهِ وليّ النعمِ الفُرادَى والتُؤامِ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً جعلها أوّلَ قواعدِ الإسلام، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه إلى كافةِ الأنام، صلّى الله عليه وعلى آله الخيرةِ الكرامِ، صلاةً دائمةً بلا انفصالٍ ولا انفصامٍ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: اشكروا الله على ما صنعَ، وأكثِروا حمْدَهُ على ما صَرَفَ ودَفَعَ، صَرَفَ عنكم عظيماً، ومنَحَكُم جسيماً، ولم يَزَلْ بكمْ بَرّاً رحيماً، وإنعامه عليكم حديثاً وقديماً، لا ينوي لكم أحدٌ سوءاً إلا اركسَهُ لأمِّ رأسِهِ، ولا يبني لكم بناء كيدٍ إلا هدَمَهُ مِن أساسِهِ.

فقابلوا ـ عبادَ اللهِ ـ هذه النعمةَ بشكرِ مُنيلِها، ولا تَكْفُروها فيبتليكُم بتحويلها، وكونوا قوماً سَلِمَتْ قلوبُهم من دنَسِ النِفاقِ، واتّخِذوا العُدَّةَ ليوم التلاقِ، فإنَّ الأجرَ على حسبِ الأعمالِ، وزناً بوزنٍ ومكيالاً بمكيالٍ، ومَن تكبَّر على اللهِ وضَعَه، ومَن تواضعَ للهِ رفعَهُ، ومَن كان مع اللهِ كان اللهُ معَهُ، ومن زرعَ التقوى حمِد عند الحصادِ ما زرَعه.

فلا تجعَلوا لمعاصي اللهِ عليكم سبيلا، ولا تشتغلوا بالدنيا اشتغالَ مَن لا يجدُ عنها تحويلاً، وارفُضوها فليستْ لكم مَقرّاً ولا مَقيلاً، واعملوا للآخرةِ فإنها خيرٌ لمن اتقى ولا تُظلمون فتيلاً.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن استزادَ بشكره مذخورَ مزيدِهِ، وأمِنَ بإدمانِ ذِكرِهِ محذورَ وعيدِهِ، إن أحسنَ الحديثِ كتابُ الله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١].

❁ ❁ ❁

الخطبة السابعة

الحمدُ للهِ على ما أوجبَ حمدَهُ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ، وأن محمداً عبدٌ رفعَ مَجْدَه، ورسولٌ أنجزَ وعدَه، صلى الله عليه وعلى الأئمةِ بعدَه، صلاةً ترفعُ منزلَتهم وتُزْلِفُهم عندَه، وسلم تسليما.

أيها الناس: مَن كان الدهرُ خطيبَهُ كفاهُ، ومَن كان الفكرُ طبيبَه شفاهُ، ومَن كان غرورُ الأملِ قائدَهُ أرداهُ، ومن كان صالحُ العمل رائدَه هداهُ، إنّه واللهِ ما بَعُد ما قرّبتْهُ الأيامُ، ولا سَعِدَ من أوبَقَتْهُ الآثامُ، ولا سلِم مَن اتّخذ المَهالكَ سبيلاً، ولا نَعِم مَن كان الموتُ بوجهِه كفيلاً.

وما أنتم إلا سيلٌ الآخرةُ قرارُهُ، وذُبالٌ الموتُ الوحيُّ نارُه[1]، وقوفٌ والآجالُ بكم سائرةٌ، وحُلّالٌ والأيامُ بكم مسافِرةٌ، ورُقودٌ والمنايا في فنائكم ساهرةٌ، تَعمُرون الدنيا ودارُكم الدار الآخرَةِ.

فأعِدّوا لما لا يدفعه حولُ محتالٍ، وجِدّوا في التزوّدِ ليومِ

(١) الوحيُّ: السريع.

المآلِ، واقطعوا من الدنيا علائقَ الآمالِ، واتّبَعوا الحقَّ تسلموا من حَيرةِ الضلالِ، فوالذي يعلم خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، لتموتُنَّ ثمّ لتُبعَثُنَّ ثم لتُنبئُنَّ بما عملتم وذلك على اللهِ يسير.

ختمَ اللهُ بالمغفرةِ والسعادةِ أعمارَنا، وعمرَ بتقواه إعلاننا وإسرارَنا.

إنّ أفصحَ الوعظِ المنسوقِ، وأوضحَ اللفظِ المنطوقِ، كلامُ مَن كلامُهُ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية: ٢٦].

❁ ❁ ❁

الخطبة الثامنة

الحمدُ للهِ أولى ما يُبتَدأُ به الكلامُ ويُسْتفْتحُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له أعلى ما يُثْنَى به على الربِّ ويُمْدَحُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ أحلى البريةِ كلاماً وأفصحُ، وأوزنُ الأنامِ حِلماً وأرجحُ، وأوضحُ الأنبياء شرعاً وأفسحُ.

صلى الله عليه وعلى آله صلاةً يفوز مَن تاجَر اللهَ بها ويربحُ، وسلّم تسليما.

أيها الناس: إنّ اتقاءَ اللهِ واجبٌ، وأمْرَهُ غالبٌ، والأجلَ طالبٌ، والدهرَ واعظٌ بعِبَره خاطب، والزمانَ مُعطٍ بغبَرهِ سالِبٌ، والموتَ بعددِ الأنفاس مُراقِبٌ، والمرء لاهٍ عما خُلق له لاعبٌ، والمَلكُ رقيبٌ على عملِهِ كاتِبٌ، والقبرَ كفيلٌ به إلى يوم القيامة لازِبٌ[1]، والعذابَ واقِعٌ بالعُصاةِ واصِبٌ، والحكَمَ العدْلُ بمثاقيلِ الذرِّ مُحاسِبٌ، فمنِ استقامتْ مَحجَّتُهُ، فَلجَت حُجّتُه[2]، ومن ساء

(١) اللازب: اللازم.

(٢) فلِجَ بحجته، غلب وفاز بها.

في الحياةِ الدنيا مُقتَرَفُهُ، كان إلى النارِ يومَ القيامةِ مُنْصَرَفُه، قال اللهُ جلّ جلالُهُ، وصدَق مقالُهُ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

❀ ❀ ❀

الخطبة التاسعة

الحمدُ للهِ المدعُوِّ إلهاً بكلِّ اللُّغاتِ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ العالي عن إحاطةِ النُّعوتِ والصفاتِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ أرسله بالبيناتِ، صلى الله عليه وعلى آله أفضلَ الصلواتِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: حمَتِ التقوى حُلَفاءَها مِن الآفاتِ، ورمَتِ الدنيا أبناءَها مرامِي الهَلَكاتِ، وسدّدَتِ المَنونُ إلى نفوسِكم ببهامَها القاتلاتِ، وأنتمُ راقدونَ في مراقدِ الغفلاتِ، مُقتَنَصونَ بحبائلِ الشهوات، كأنّكم لا تَسلكون سبُلَ الآباءِ والأمّهاتِ.

كيفَ لا وقد علَتِ الأنسابُ في الميّتين والميّتات.

فرحم اللهُ امرءاً بادَر الإقلاعَ عن السيئات، وواصَلَ الإسراعَ في الخيراتِ، قبلَ انقطاعِ مُددِ الأوقاتِ، وارتجاعِ النفوسِ المُعاراتِ، وطَيِّ الصحُفِ المستودَعاتِ، ونشرِ فضائحِ قائدةٍ إلى المماتِ، فوربِّ السماء والأرض إنما توعَدونَ لآتٍ.

طهَّر اللهُ قلوبَنا وقلوبَكمْ من دنَسِ الشُبُهاتِ، واستعْمَلَنا وإياكم بالباقياتِ الصالحاتِ.

إنّ أنفعَ الزجر وأحسنَ العِظاتِ، كلامُ عالِم الخفيّات، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: ٧٧].

الخطبة العاشرة

الحمدُ للهِ فاطرِ السمواتِ ورافعِها، وباسطِ الأرضِ وواضعِها، وعالِم الأسرارِ وسامِعها، ومعطي النوافلِ ومانِعها، أحمَدُه حمدَ شاكرٍ لأنعُمِه، راضٍ بقِسمِه، معترفٍ بكرمِه.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ذو النعِم الغامرة، والحُكم الباهرة، وأشهدُ أن محمداً عبدُه المرسَلُ بكتابه، ونبيُّه الناطقُ بحكمِه وصوابِه، صلّى اللهُ عليه وعلى أهلِ بيتهِ وأصحابِه، والمختارينَ من أنصارِه وأحزابِه، كما ألزمَنا ذلك وأمرَنا به، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ما الاعتذارُ بعدَ الإنذارِ، وما الوسيلةُ يوم العرضِ على النارِ، وما الحجةُ عند مسألةِ الجبّارِ، حين يقولُ لمن عظُمَت بليَّتُه، وأحاطتْ بهِ خطيئتُهُ.

ألم نُمْلِ لكم في المهَلَ، ألم يأتِكُم نبأُ السلَفِ الأولِ، ألم نخلقْكُم من ماءٍ مَهين، ألم نُمدِدْكم بأموالٍ وبنين، ألم نَنْسَ(١) لكم في الأعمار، ألم يأتِكم نبأٌ فيه اعتبار، ألم تسيروا في

(١) أي ألم نؤخّر لكم أعماركم.

الأرض فتُطْوَى لكم على الآثارِ، ألم ترَوْا كيفَ فعلَ ربُكُم بالأشرارِ.

فيا شِقْوةً مَن تعرّضَ للمعاصي بعد الإنذارِ، ويا لهْفَ مَن تربَّص بالتوبةِ والاستغفارِ، ويا حسرة مَن هَجَمَ على محارِمِ ربِّهِ واجترأَ على الأوزارِ، ويا خيبةَ مَن أوردهُ قبحُ عملهِ على النارِ، هلَكَ الظالمونَ إلّا أن يتغمّدَهُمُ اللهُ برحمتِهِ، وأُقسِمَ قَسَمَ صوابٍ إن اللهَ برحمتِه لأجودُ منه بالعِقابِ، إنّ اللهَ لا يهدِي مَن هو مُسْرِفٌ مُرْتابٌ.

❁ ❁ ❁

الخطبة الحادي عشرة

الحمدُ للهِ حمدَ الشاكرينَ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له إلهُ الأوّلين والآخِرينَ، وأشهدُ أنّ محمّداً صلى الله عليه عبدُه ورسولُه خِيرةُ المختارين، صلى الله عليه وعلى آله أجْمعين، وسلّم تسليماً.

أوصيكُم ـ عبادَ اللهِ ـ وإيايَ بتقوى اللهِ الذي يُؤْوي إليهِ مَن اتّقاهُ، ولا يعزُبُ عليه إدراكُ مَن عَصاهُ، وأحذِّرُكُمُ الغفلةَ عن الأمرِ المُظِلّ، والإدبارَ عن الخطْبِ الأجَلّ، فإنكم مطلوبون والمطلوبُ أولى بالوَجَلِ، وإنكم مسؤولون والمسؤولُ أحقُّ بتصحيحِ العَمَلِ. فرَحِمَ اللهُ امرءاً أخذَ في إصلاح زادِهِ، والتيقُّظِ ليوم معادِه، فإنّ الفائتَ بعيدٌ إدراكُهُ، والتشْميرَ قِوامُ الأمرِ ومِلاَكُه، والموتَ قاطعُ الأسباب، والخبرَ الجليَّ عند الغَيبةِ في الترابِ، والانتباهَ من رقدةِ الموتِ بنفخةِ الصُور، والموعِدِ يومَ العرضِ والنشورِ، والكتابَ ناطقٌ بهتكِ السُتورِ.

جعلَنا اللهُ وإيّاكم مِمّن نظَر لنفسِه، وأطابَ زادَه لحلولِ رمسِه، إنَّ أولى ما وعظ به العالمون وأحسن ما تلاه التّالون كلامُ مَن نحنُ له عابدون، فإذا قرئَ عليكُم فاستمعُوا لهُ وأنْصِتُوا لعلّكم تُرْحَمون، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

الخطب
الثواني
وتسمّى (النعت)

(وهي التي تصلح
أن تكون خطبة ثانية في خطبة الجمعة)

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ إقراراً بنعمته، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لربوبيّتِهِ.

وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه خيرُ بريّتِهِ، صلى الله عليه وعلى عِتْرتِهِ، والمنتَجَبين مِن صحابته وأسرتِه.

اللهمَّ شرِّفْ محمداً في القيامةِ، وبيِّضْ وجهَهُ يوم الطامَةِ، وارْفَعْ درَجَته في دارِ الكرامةِ، وأرِ أهلَ الموقِفِ تمكينَ منزلتِه، وتقبّلَ شفاعتَه في أمَّته، وأعْطِهِ مِنَ الفضلِ فوق أمنيتِهِ، والسلامُ على محمدٍ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على حلوِ القضاءِ ومُرِّهِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له انتهاءَ إلى أمرِهِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه القائِم بنصرِهِ، ورسولُهُ، المؤتمَنُ على سرِّه.

صلى الله عليه وعلى آله ما ذُكِرَ في بَرّهِ وبحرِهِ، اللهم حَصِّن الإيمان واحد من الإسلام وأسرته ببقاءِ مَن بذل في الجهاد مهجته.

❁ ❁ ❁

الخطبة الثالثة

الحمدُ لله على إحسانِهِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ تعظيماً لشانِهِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ المؤيَّدُ بسلطانِهِ، ورسولُه القائدُ إلى رضوانِه.

صلى الله عليه وعلى آله وأعوانِهِ صلاةً يحلّهُم بها دارَ أمانِهِ.

اللهمَّ عُمَّ بالصلاحِ والتوفيقِ رعايا المسلمينَ ورُعاتَهم، وأمراءَهم وولاتَهم، وحكّامَهُم وقضاتَهم، وعلماءَهُم وهداتَهم وعُمّالَهم وكُفاتَهم، وأيِّدِ اللهمَّ بعونِك أنصارَهم وحُماتَهم، واجمَعْ فِرَقَهُمْ وأشتاتَهم، واحرُسِ اللهمَّ فُرسانَهم وكُماتَهم[1]، وأنِلْ رحمتَكَ ورضوانَكَ أحياءَهُم وأمواتَهم.

❀ ❀ ❀

---

(١) الكماة: الشجعان.

خطبتان
في ختم القرآن
ودعاء الختم

الخطبة الأولى
القرآن ودعاء الختم وتعرف بالفاتحة

الحمدُ للهِ الذي جعل الحمدَ فاتحةَ كلامِهِ، وأوّلَ ما جاء به القرآنُ في نظامِهِ، ومكافئاً لجزيلِ مِنَنِهِ وهنيءَ أقسامِهِ، وواقياً مِن سوءِ غضبِهِ ووبيلِ انتقامِهِ، ومليئاً بزيادةِ إحسانِهِ وإنعامِهِ، الذي أبدعَ فأحسَنَ وصنعَ فأتْقنَ، وأولى فأفْضَلَ، وأعطى فأجزلَ، لا يعجَلُ على مَنْ عصاهُ، ولا يردّ مسألةَ مَن أمّلهُ ورجاهُ، ولا يُخَيِّبُ مَن سألَه ودعاهُ، سبحانه لا إله سواهُ، ولا نظيرَ له في معناه.

والحمدُ لله ذي الجبروتِ والرّفعةِ، واللاهوتِ والمنعَةِ، العالمِ بمكنونِ الأسرارِ، والمحتجِبِ بكبريائِهِ عن إدراكِ الأبصارِ، والمتعالي عن كلّ حدٍّ ومقدارٍ، الذي لا تُحيطُ به صفةُ واصفٍ، ولا تحويهِ معرفةُ عارفٍ، الأوّلِ الذي لا تُدرَكُ أزليّتُه، والآخِرِ الذي لا تنقضي أبديّتُهُ، والملكِ الذي لا تُبلى بهجتُه، والديّانِ الذي لا تُدفَعُ حُجّتُهُ، ذي الأسماءِ العليّةِ، والآلاءِ السنيّةِ، والأيادي المتضاعِفَةِ، والمِنَنِ المترادِفَةِ، المحيطِ علمُهُ بما في البرِّ والبحرِ، والمثبَت إحصاؤه عددَ القَطْرِ، والمحاسِبِ عبادَهُ بمثاقيلِ الذّرِّ، ومُجازيهم بالخيرِ والشرِّ.

قَرُبَتْ رحمتُهُ مِن المحسنينَ، وتمّتْ نعمتُه على العالمين.

والحمدُ لله الجوادِ بفضلِهِ قبل سؤالِ السائلينَ، الواسعِ ببذلِهِ لمطالبِ الآملينَ، الذي عجزَتِ الأقوالُ عن تحصيلِهِ، وعزَبَتِ[1] الألبابُ عن تمثيلِهِ، وبعُدَتِ الأمثالُ عن شِبهِهِ، وحارَتِ الفِطَنُ في تكييفِ كُنْهِهِ، وعَنَتِ الوجوهُ لكرَمِ وجهِهِ، علّامِ خفيّاتِ الغيوبِ، ستّارِ مُفظِعاتِ العيوبِ، فرّاجِ نازلاتِ الكُروبِ، لا إلهَ إلا هو عليه توكَّلتُ وإليهِ أُنيبُ.

والحمدُ للهِ المستجارِ بجليلِ أفضالِهِ وكريم ثَوابِهِ، مِن وَبيلِ نكالِهِ وأليمِ عقابِهِ، المستعاذِ برأفةِ طَوْلِهِ وعفوِهِ، مِنْ شدَّةِ صَولِهِ وسَطْوِهِ، المرغوبِ فيما وعدَ أولياءَهُ من مرضيّ رحمتِهِ، المرهوبِ مما أوعدَ أعداءَهُ مِن مخشِيِّ نقمتِهِ، الذي علا في ارتفاعِهِ، وأحكم في اصطناعِهِ، وأحسنَ في ابتداعِهِ وأتقنَ في اختراعِهِ، المتوحِّدِ بإنشاءِ الفِطرِ، والمتفرّدِ بابتداءِ الصورِ، لم يعجزْهُ مِن ذلك ما كَبرَ، ولم يعزُبْ عنه ما صَغُرَ، ولم يَخْفَ عليه ما خفي واستترَ، بل أحكَمَ تأليفها، وقوّمَ تثقيفَها[2]، وعلمَ تصريفَها، أخرَجَها مِن العدمِ إلى الوجودِ، وأجراها بالتقديرِ والتحديدِ، إلى نهايةِ أجلٍ معدودٍ، وغايةِ مَهلٍ محدودٍ، بلا أصلٍ مرسومٍ، ولا مَثَلٍ معلومٍ، ولا شكْلٍ قديمٍ.

والحمدُ للهِ القديمِ السابقِ الذي لا غايةَ لسبقِهِ، الحكيمِ

---

(١) عَزَبَ: بَعُدَ وغاب.

(٢) التثقيف: التسوية، والثّقافُ خشبة تُسوّى بها الرماح. انظر لسان العرب مادة (ثقف).

الخالقِ الذي لا تفاوُتَ في خلقِهِ، الكريم الرازِقِ الذي لا يُكدِي مضمونُ رزقِهِ، الحقّ المبينِ الذي لا تقومُ الأعمالُ بكُنْهِ حقّهِ، زَيْنِ السمواتِ وبهائِها، ونورِ الأرضينَ وضيائِها، ومالِكِ الدنيا وجبّارِها، ودَيّان الآخرةِ وقهّارِها، بيده ملكوتُ الأشياءِ، وفي قبضتهِ تصاريفُ القضاءِ.

والحمدُ للهِ الحليم فلا يَعْجَلُ على مَن عصاهُ الكريم فلا يبخلُ بعطاياهُ، السيّدِ فلا يذِلُّ مَن والاه، المرشِدِ فلا يَضِلُّ مَن هَداهُ، القريبِ ممن أمّلَهُ ورجاهُ، المجيبِ لمن سألهُ ودعاهُ، الذي أحسنَ بلطيفِ حكمتِهِ، صنوفَ ما أتقنَ مِن بريَّتِهِ، وأنشأ ببديعِ صُنعتِهِ، جميعَ ما ذرأ مِن خليقتِهِ، فاتّصلَتْ ألبابُ المستبصرينَ بضياءِ معرفتِهِ، وذلَّتْ رقابُ المستكبرينَ لكبرياءِ عظمتِهِ، وسبّحَتْ له السمواتُ وأملاكُها، والنجومُ وأفلاكها، والشمسُ والقمرُ، والسحابُ المسخّرُ، والرعدُ الهاتِفُ، والبرقُ الخاطِفُ، والرياحُ الذارياتُ، والطيرُ الصافّاتُ، والظلامُ والنورُ، والظلُّ والحُرورُ، والأرضُ وسُكّانُها، والبحارُ وحِيتانُها، والجبالُ والحجرُ، والرِّمالُ والمَدَر، والدوابُّ والأنعامُ، والسِّباعُ والهَوامُّ، والضَّبابُ والغَمامُ، والأهويةُ المتفتتةُ، والأجواءُ المنخرِقَةُ، وكلُّ ما مُثِلَ وفُطِرَ، وذُلِّلَ وسُخِّرَ، مِن يابسٍ ورطبٍ، وأُجاجٍ وعَذبٍ، وعَرْضٍ وجسدٍ، ومائعٍ وجمدٍ، وساكنٍ هادٍ، ومتحرِّكٍ مُنقادٍ، مما يُحصيه عدَدُ، أو يحويهِ أحدٌ، متعلّقٌ بتقديسِ جلالِ مجدِهِ، تتفيّأُ ظِلالُه بالتسبيحِ بحمدِهِ.

سبحانَهُ هو اللهُ الواحدُ القهّار، أحمدُه حمداً يحرُسُ مواهبَهُ مِن عوارِضِ الغِيَرِ، ويُحصِّنُ عوارفَهُ مِن شوائبِ الكَدرِ، ويصونُ نعمَهُ مِن وقوعِ الضررِ.

وأستهديهِ إلى الصلاحِ، وأرغبُ إليه في الفلاحِ، وأعوذُ به مِن شرِّ نفسٍ بما يوبِقُها مارّةٌ، ولما يُرهِقُها مختارةٌ، راتِعةٌ في العِلَلِ، تابعةٌ لتسويف الأمَلِ، مُغترّةٌ بالأمْنِ والمهَلِ.

وأستعينُهُ على الأمورِ الشدائدِ، والمحَنِ القواصِدِ، والآفاتِ الرواصِدِ، وأستوقيهِ مَحذورَ الإبعادِ، وأستكفيهِ شرَّ الجبابرةِ المرادِ، وكيْدَ كلِّ مَخوفٍ شرُّهُ مِن العبادِ.

وأتوكّلُ عليه توكُّلِ معتصم بحبله، مُغتنِم لفضلِهِ، بريء من الحولِ والقوةِ إليه، عالمٍ أنّ ضُرَّهُ ونفعَهُ بيديهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له يدانيه، ولا مِثلَ يضاهيهِ، ولا نظيرَ يقابلُهُ، ولا عديلَ يشاكِلُهُ، عَظُمَ حِلْمُهُ عن المذنبينَ فعفا، وعمَّ تجاوزُهُ مَن أسْقَطَ وهفا، وبسَطَ الرزقَ على كافّةِ عبادِهِ، ومهَّدَ لهم في سعةِ بلادِهِ، وتكفَّل لهم ببسطِ الأرزاقِ، وفرَّق بينهم في الطبائعِ والأخلاقِ، وعِلِمَ ما في ولائجِ الأرحامِ، وما تجِنُّهُ حَنادِسِ الظلامِ، وأحاطَ عِلْماً بزنَةِ الجبالِ، وأحصى عددَ جميعِ الرمالِ، وصرَّفَ الرياحَ نُشراً بين يدي رحمتِهِ، وجعلَ عواصِفَها سبباً لوقوعِ نَقْمتِهِ، تعالى ربُّنا عن أقوالِ الجاحدينَ، وتقدّسَ مجدُه عن ضلالِ الملحدينَ.

وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَهُ ونجومُ الشركِ زاهرةٌ، وأعلامُ الإفكِ ظاهرةٌ، والجهلُ غالِبٌ والعمى متراكِبٌ، والرحمنُ يُجْحَدُ، والأوثانُ تُعْبَدُ، والآثامُ مقتحِمَةٌ، والأصنامُ معظَّمةٌ، وسبيلُ الغيِّ مسلوكٌ، ومنهجُ الهدى متروكٌ، فأعزَّ بمحمدٍ صلى الله عليه بعد الذلَّةِ، وكَثَّرَ به مِنَ القلَّةِ، وأزاحَ بدلالتهِ كلَّ علّةٍ، وأبانَ

ببُرهانه سبيلَ الحقّ، وبسطَ بتبيانِهِ لسانَ الصدقِ، فقام العمودُ واعتدلَ، وزالَ العُنودُ(١) وبطلَ، وانشرحَتِ الألبابُ، واتّضَحَتِ الأسبابُ، وعُرِفَ الحلالُ مِن الحرامِ، وأشرف كاهلُ الإسلامِ فصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ما زَهَرَ كوكبٌ، وما أظلَمَ غيهبٌ(٢)، وما وَضُحَ فجْرٌ، وما غبَرَ دهرٌ، وما عَرَضَ فِكْرٌ، وما ذَكَرَ ذاكِر، وما سارَ سائِرٌ، وما هَطَل هاطِلٌ، وما أَفَلَ آفِلٌ، وما نطقَ قائلٌ، وما امتدَّ الظلُّ، وما درَّ الوَبلُ، وما عُرِفَ الكلامُ، وما بقي الأنامُ، وما حسُنَ الإسلامُ، وما عَسْعَسَ الديجورُ(٣)، وما اختلفَ الظلامُ والنورُ، وما فُلِقَ الإصباحُ، وما هبّتِ الرياحُ، وما سبّحتِ الأملاكُ، وما جَرَتِ الأفلاكُ، وما زال فيٌّ وما بقي حَيٌّ، وما عُدّ عددٌ، وما بقي الأبدُ، وما نطقَ لسانٌ، وما أصدق عيان، وما درَّ القَطرُ، وما امتدَّ الدهرُ، وما اضطربتِ الأمواجُ، وما ضاء السراجُ، وما تلألأتِ الأنواءُ، وما اعلنكستِ(٤) الظلماءُ، صلاةً دائمةً على الأبدِ، مُتّصِلَةً بلا نهايةٍ ولا أمَدٍ.

اللهمّ فلك الحمدُ على ما أطلقتَ به لساني، وأظهرْتَ بنُطقِهِ بياني، بتنزيهِك عما نسَبَكَ إليه الملحدونَ، وافتراه عليك الضُلّالُ الجاحدونَ، الذين عَجزت أفهامُهم عن بلوغ معرفتك بالتحقيقِ، وعَزَبت ألبابهُم عن الوصولِ إلى عِلْم وحدانيَّتِكَ بالتصديقِ، وعَمِيَ عليهم لفرَطِ ضلالِهم وجهُ الطريقِ، وحادوا عن نهجِ الهُداة وسدادِ

---

(١) العُنود: بالضم مصدر عنُد، إذا ردَّ الحقّ وهو يعرفه.

(٢) الغيهب: الليل والظلمة الشديدة.

(٣) الديجور: الظلام.

(٤) اعْلَنْكَسَتْ: تكاثفت، يقال: شعر معلَنْكس إذا كان كثيفاً مجتمعاً.

التوفيقِ، وعَدِموا تحصيلَ ما أظهَرْتَ مِن بدائعِ فِطْرتِكَ وما صُرِّفَت من مواقِعِ قُدوتكَ، بابتداعك أصنافَ الفِطَرِ التي أنشأتها بغير مثال، وابتدعتها بلا احتذاءٍ ولا استدلالٍ، وجعلتَها على قدرتك دليلاً، وإلى الاعترافِ بوحدانيَّتِك منهجاً وسبيلاً، ورفعْتَ السماء بغير عَمَدٍ، وأقمتها بغيرِ أوِدٍ[1]، وزيّنْتَها بالنجوم الزاهرة، والأفلاكِ الدائرة، والأنوارِ الباهرةِ، وجعلت في للشياطينِ رجوماً، وللناظرينَ هدايةً وتقويماً، كل يجري في فَلَكِهِ طائعاً، ويتصرَّفُ فيما خُلِقَ له خاضعاً، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثم دحَوْتَ الأرضَ على وجهِ الماء، وجعلْتها كِفاتاً للأمواتِ والأحياءِ، وفُتْقْتَها وكانت رَتقاً، وأنبتَّ فيها للأنام مطعماً ورزقاً، وجعلتَ فيها قِطعاً متجاوراتٍ، وأنهاراً وجنّاتٍ، وابتدعْتَ فيها مِن كلّ الثمراتِ، التي اتّفقتْ في أماكِنها ومغارِسِها، واختلفَتْ في مطاعِمها وتجانُسِها، وكثُرَتْ فلا تُعدُّ بتحصيلٍ، وعَظُمَتْ فليس يحيطُ بها غيرُ الواحدِ الجليلِ.

فسبحانك اللهمَّ لم تَزَلْ في تعالي مجدِك عظيماً، وبتوالي رِفدِكَ سَمْحاً كريماً، وفي سَبْق أزليّتِكَ قديماً، وفي تصريفِ صنعتك حكيماً، وبجميع خلقكَ خابراً عليماً، ولهم على كثرةِ ذنوبهم رحيماً.

اللهمَّ فلكَ الحمدُ على ما أعطيتَ فأجزلْتَ، وأنعمْتَ فأفضَلْتَ، وأحسنْتَ فأجملْتَ، وعرّفتَ ودلَّلْتَ، وأحكمْتَ

---

(١) الأوَد: الحوج.

وفصَّلْتَ، وعطفْتَ ولطفْتَ، وعضدْتَ ومننْتَ، وقوّيتَ وأبليْتَ وعافيْتَ، وأغنيْتَ وأقنيْتَ، وأطعمْتَ وسقيْتَ، وأمرضْتَ وشفيْتَ، وأمَتَّ وأحييتَ.

اللهمَّ فلك الحمد على ما خصَصْتَنا به مِن معرفةِ وحدانيّتِك، وباعدْتَنا عن قولِ مَن جحدَ بك وكفرَ بعظمتِك، وجعلَ لك أولاداً ميتينَ، وشركاء مربوبينَ، يأكلونَ الطعامَ ويخافونَ الأسقامَ، ويلحقُهُمُ النفعُ والضرُّ، ويصيبُهُمُ الخيرُ والشرُّ، صامتينَ لا ينطِقونَ، وفقراءُ لا يُرزقونَ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٤].

لن يستكفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقربونَ، وكيف يستنكِفُ مَن هو عبدٌ مربوبٌ، ومخلوقٌ بأجله مطلوبٌ، يشبهُهُ مَن عَبدَه بالصلبان، ويَدّعي فيه القتلَ بالكذب والبهتانِ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المَائدة: ٧٢].

عبادَ الله: إنه ليس أحدٌ أحقُّ أن يُعْمَل بأحكامهِ، ويُنْصَت إلى كلامه، ممن له الخلقُ والأمر، وفي يده النفعُ والضُّرُّ، وفي علمه الخيرُ والشرُّ، ذلكمُ كتاباً جعلَ أمثاله عِبراً لم تدبّرَها، وأوامِرَ هُدىً لمن استبصرَها، وشرعَ فيه واجباتِ الأحكام، وفرَّق فيه بين الحلالِ والحرام، فقال جلّ ثناؤه ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: ٣٨].

فعليكم ـ أيها الناسُ ـ بكتابِ ربِّكم فاتلوه حقَّ تلاوتِه،

وتدّبروا حقائقَ عبارتِه، وتفهموا عجائبه، وتبيّنوا غرائبهُ، فإنهُ يرُدُّ الجائرَ إلى قصدِهِ، ويهدي الحائرَ لرشدِهِ، يشفي سَقَمَ القلوبِ، ويُنقّي درَنَ الذنوبِ، خاطَبَ اللهُ عزّ جلاله به أولياءَه فَفَهِموا وبيّن لهم فيه مُرادَهُ فعَلِموا، فقرّاءُ القرآن حملةُ سرّ اللهِ المكنونِ، وحفَظَةُ علمِهِ المخزونِ، خلفاءُ أنبيائِهِ وأمناؤه، وهم أهلُ اللهِ وأخصّاؤه، وخِيرتُهُ وأصفياؤه، فما أحقّ مَن عِلِمَ كتابَ اللهِ أن يزْدَجِرَ بنواهيهِ، ويدّكِرَ بما شرحَ له فيه، وأن يخشى اللهَ ويتقيهِ، ويراقِبُه ويستحييه، فإنه قد حُمِّلَ أعباءَ الرسُلِ فحمُلَ، وصار شهيداً، في القيامةِ على مَن خالفَ مِن أهلِ الملل.

ألا وإنّ الحجةَ على مَن عَلِمُهُ فأغفلَهُ، أوكدُ منها على مَن قصَّر عنه وجهلِهُ، ومَن أوتي علمَ القرآن فلم ينتفِعَ، وزُجرَ بنواهيهِ فلم يرتَدِعَ، وارتكبتِ مِن المآثمِ قبيحاً، ومِن الجرائم فضوحاً، كان القرآنُ عليه شهيداً مقبولاً، ولقي بما فرّطَ منه في الآخرةِ حُزْناً طويلاً.

اللهمّ فكما بلّغْتَنا خاتمةَ القرآنِ العظيم، وأعنتنا على تلاوةِ الذِّكر الحكيم، وفضّلتُنا بدينك على جميع الأمم، وخَصَصْتَنا بكلّ فضلٍ وكرم، وجعلتُ هدايتنا بالنبي الطاهرِ النسبِ، الكريمِ الحسَبِ، خيرِ العجمِ والعرَبِ، محمدٍ بنِ عبدِاللهِ بن عبدِالمطلبِ، فنسألك اللهمّ ببلاغهِ عنك، وقُربِهِ منك، وجاهِهِ المقبولِ لديك[1]، وحقِّهِ الذي لا يَخيبُ مَن توسّل به إليك، أن تجعلَ القرآن لنا إلى كلِّ خيرٍ قائداً، وعن كلِّ سوء زائداً، وعلى مغفرتك وجنّةِ الخلدِ وافِداً.

---

(١) انظر الصفحة (١٠١) حاشية رقم (١) ففيها بيان حول مسألة التوسل.

اللهمّ أرْشِدنا لحِفْظِهِ، وأعِذْنا مِن نبذِهِ ورفضِهِ، وبلاهُ وبُغضهِ، ولا تجعلنا ممن يدفعُ بعضَه ببعضِهِ، اللهمّ أعِذْنا به مِن ذميم الإسرافِ، ورُض[1] به نفوسَنا على العدل والإنصاف وذلل به أَلسنتنا على الصدقِ والاعترافِ، واجمَعْنا به على مسرّةِ الائتلافِ، واحشُرْنا به في زمرة أهل القناعةِ والعفاف، اللهمّ شرِّفْ به مقامنا في محلِّ الرحمة، وأكْنِفْنا به في ظلّ النعمةِ، واجْمعنا به بحبلِ العصمةِ، وبلّغْنا به نهايةَ المرادِ، والهمّةِ، وبيِّضْ به وجوهَنا يوم القَتَرِ والظلمةِ.

اللهم إنا قد دعوناك طالبينَ، ورجوناك راغبينَ، واستقلْناك معترفينَ، غير مستنكِفينَ، إقراراً لك بالعبوديةِ، وإذعاناً بالربوبيةِ.

فأنتَ اللهُ الذي لا إله إلا أنت لك ما سكَنَ في الليلِ والنهارِ، وأنت السميعُ العليمُ، اللهمَّ فَجُدْ علينا بجزيلِ النعماءِ، وأسْعِفْنا بتتابعِ الآلاءِ، وعافِنا مِن نوازِل البلاءِ، وقِنا شماتةَ الأعداءِ، وأعِذْنا مِن دَرَكِ الشقاءِ، وحُطْنا برعايتك الجميلةِ في الصباحِ والمساءِ.

إلهَنا وسيدنا ومولانا عليك نتوكّلُ في حاجاتنا، وإليك نتوسّلُ في مُهماتنا، لا نعرفُ غيرك فندعوه، ولا نؤمِّلُ سواك فنرجوهُ.

اللهمَّ فجُدْ علينا بعصمةٍ مانعةٍ مِن اقترافِ السيئآت، ورحمةٍ ماحيةٍ لسوالفِ الخطيئاتِ، ونعمةٍ جامعةٍ لصنوفِ الخيراتِ، يا مَن

---

(١) رُضْ: أمرٌ من راض بروض، وهو تدوير النفس وترويضها.

لا يضِلُّ مَن أصحَبَهُ إرشادُهُ وتوفيقهُ، ولا يعْطبُ مَن هداهُ منهجَهُ وطريقَهُ، ولا يَزِلُّ مَن عبدَهُ وأقام حقوقَهُ.

يا إلَهَ الأوّلينَ والآخِرينَ، وجامِعَ الخلقِ لميقاتِ يوم الدينِ، توفّنا مسلمين، وألْحِقنا بالصالحين.

اللهم وصلّ على محمدٍ عبدِك الحبيب، ورسولِك القريبِ، المصدَّقِ المَهيبِ، الفاتحِ لأغلاقِ القلوبِ، والمُطلقِ مِن وَثاقِ الذنوبِ، والمبرّأ مِن علائقِ العيوبِ، والمؤتَمَنِ على حقائقِ الغيوب، صلاةً دائمةً البركاتِ، ناميةَ التحياتِ، عظيمةَ الخيراتِ، تبقَى مع الباقياتِ الصالحاتِ، وتملأُ أقطار الأرضِ والسمواتِ، اللهمَّ فكما اتخذْته لنفسك خليلاً، واخترتَه إلى جميعِ خلقِكَ رسولاً، فصلِّ عليه يا ربِّ بكرةً وأصيلاً.

اللهمَّ وصلِّ على صديقِهِ وموضعِ أُنسِهِ وجارِهِ في تربتِهِ ورمْسِهِ، ورَفيقِهِ يومَ القيامةِ في محلّ قُدْسِهِ، شيخِ الأصحابِ، ومُقدِّمِهم في الخطاب، والمتمسكِ من رسولِ اللهِ بأوثقِ الأسبابِ، أولِ مَن سعى في جمع الكتابِ، وأقامَه النبيُّ ﷺ مقامَهُ في المحرابِ، أبي الضعفاءِ والأيتامِ، وثاني النبيّ في كلِّ موقفٍ ومقامٍ، ورفيقِهِ غداً في دارِ السلامِ، وأميرِ أوّلِ حجّةٍ في الإسلامِ.

صلى الله عليه ما هَتَفَ وُرقُ(١) الحَمام، وما لاحَ نجمٌ في حالِكِ الظلامِ، وعلى الإمام الفاروقِ، قامعِ الكفرِ والفسوقِ، عِزّ

(١) الوُرق: جمع أورق أو ورقاء، وهو الذي في لونه غبرة كلون الرماد.

المسلمينَ، وكَهْفِ المخبتينَ، وتاجِ المؤمنينَ، ونظامِ الأربعينَ، ومُوافِقِ دعوةِ الأمينِ.

مَن أعزّنا اللهُ بإيمانِه، وشرَّفنا بسلطانِه، وأظْهَرَ دينَنا بأذانِهِ، وزَعزعَ كسرى عن إيوانِهِ، وشتّتَ شملَ الجورِ بحسنِ نَظَرِهِ، وكَشَفَ له عن ساريةٍ وهو على منبرِهِ.

فصلى اللهُ عليه ما دارَ فلَكٌ بشمسِهِ وقمَرِهِ، وعلى الإمام التوّابِ، الزاهدِ الأوّابِ، عَلَمِ الأخيارِ، وعُنوان الأبرارِ، وقمرِ الأقمارِ، والمخصوصِ في أسمائهِ بالأنوارِ، مَن نوَّرَ المحرابَ بإمامتِهِ، والقرآنَ بتلاوتِهِ، وهو سراجُ اللهِ في جنّتِهِ وثالثُ خلفائهِ على أمتهِ، فهو السعيدُ في حياتِه، الشهيدُ في مماتِهِ.

صلى الله عليه عدَدَ نباتِ أرضِهِ ونجومِ سماواتِهِ، وعلى الإمامِ العليمِ، والخبرِ الحليمِ، والسيِّد الكريمِ، أخي الرسولِ، وبَعْلِ البتولِ، وسيفِ الله المسلولِ، والفارسِ البهلولِ[1]، إمامِ الدين وعالمِهِ، وقاضي الشرعِ وحاكمِهِ والمتصدِّقِ في الصلاة بخاتمِهِ، ومُنصِفِ كلّ مظلومٍ مِن ظالمِهِ، سيِّدِ الحنفاء ورابعِ الخلفاء وابنِ عمِّ النبي المصطفى.

صلى اللهُ عليه صلاةً تزيدُه عِزّاً وشرَفاً.

اللهمَّ انصرْ جيوشَ المسلمين وكثِّر أنصارَهم، واحمِ حوزَتهم وأعلِ مَنارَهم، وآمِن سُبُلَهم، وأرْخِصْ أسعارهم، وافكُكْ عناةَ المسلمينَ واحلُل أسارَهم، وبلّغهم في عافيةٍ ديارَهُم.

---

(١) البهلول: السيّد.

وأهلِكِ اللهمَّ أعدائك وأعداءَ المسلمين وامْحُ آثارَهم، واستأصِل شأفتهم وعجّل دمارَهم، وأسْرِع اللهمَّ هلاكهم وبوارَهم.

اللهمَّ اسدُدْ ثغورَ المسلمين، وأعْلِ كلمة المؤمنين، واستأصل شأفةَ المارقين، وأبِدْ غَضْراءَ(١) المشركين.

اللهمَّ اغفرْ للآباء والأمهاتِ، والأخوةِ والأخواتِ، والجيرةِ والقراباتِ، مغفرةً تؤنِسُهم في قبورِهم، وتُؤمِّنُهم مِن الفزَعِ الأكبرِ يومَ نشورِهم، وتُزَحْزِحُهُم بها مِن عذاب السعير، وتسدِّدُهم عند مسألةِ مُنكرٍ ونكيرٍ.

اللهمَّ اغفر لنا ما قدّمناهُ وما أخَّرناهُ، وما أسررناهُ وما أعلنّاه، وأحصيتَهُ ونسيناه، وعلمتَهُ وجعلناه، ولا تدَع لنا أملاً إلا بلّغتناهُ، ولا سؤالاً إلا سوّغتناه، ولا خيراً إلا أعطيتناه، ولا شرّاً إلا كفيتَناهُ، يا خيرَ مَن عوّل عليه عبدٌ ورجاهُ. اللهمَّ وإذا انقضَتِ من الدنيا أيامُنا، وأزِفَ عند الموتِ حِمامُنا، وأحاطَتْ بنا الأقدارُ، وشخَصَتْ إلى قدومِ الملائكة الأبصارُ، وعلا الأنينُ، وعرِقَ الجبينُ، وكَثُرَ الانبساطُ والانقباضُ، ودام القلقُ والارتماضُ(٢) وأظلَّ كربُ السياق وترادفَ ألمُ ألفراقِ، والتفَّتِ الساقُ بالساقِ إلى ربك يومئذ المساقُ.

---

(١) الغضراء: الطينة الطيّبة، يقال: أباد اللهُ غضراءهم وخَضراءهم أي طينتهم وشجرتهم التي منها تفرّعوا، والغضارة طيب الحشيش ونضرته.

(٢) الارتماضُ: القلق والتململ، وأصله من الرمَض وهو شدة وقع الشمس على الحجارة.

فمُرِ اللهمَّ ملكَ الموتِ أن يكونَ بقبضِ أرواحنا رفيقاً، وبنزعِ نفوسنا شفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمينَ.

سَمِعَ اللهُ دعاءَنا ودعاءكم، وأجابَ نداءَنا ونداءَكم، وغفرَ لنا ولكم، إنه غفورٌ رحيمٌ، ربّنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النارِ.

❁ ❁ ❁

الخطبة الثانية
عند ختم القرآن في شهر رمضان
وفيها دعاء الختم (وتعرف بالقعسرية)

صدَقَ اللهُ الذي لا إله إلا هو الرحيمُ الرؤوفُ، البرُّ الكريمُ العَطوفُ، الحيُّ الخالقُ، الوفيُّ الصادِقُ، ذو العزّةِ والجلالِ، والقدرةِ والكمالِ، والكرَم والإفضالِ، والعدل في الفِعالِ، والصدقِ في المقالِ.

وبلّغَتْ رسلُهُ رسالاتِهِ، وأظهَرَتْ مُعْجِزُ آياته، ونحن مصدِّقونَ بكلماتِه، شاهدونَ بإبلاغِ أنبيائه وتُقاته، صلى الله عليهم أجمعين، وخَصَّ بذلك محمداً سيدَ المرسلينَ، وآله الطيّبينَ الطاهرينَ.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقينَ، ولا عدوانَ إلا على الظالمينَ.

الحمدُ لله خالقِ أمشاجِ النَّسمِ، وفاتِقِ رِتاجِ الكِمَمِ[1]،

---

(١) الرتاج: بالكسر الباب. والكمم: جمع كِممة بالكسر، وهي وعاء الطلع وغطاء النور، والمراد بفتق رتاج الكمم: إخراج الزهور والثمر من أكمامه وإيصاله حدّ الكمال.

ومُولجِ الأنوارِ في الظُّلَمِ، ومُخرِجِ الموجودِ من العدمِ، والجوادِ على الخلق بسوابغ النّعمِ، والعوّادِ عليهم بالفضلِ والكَرَمِ، الذي لا تُعجِزُهُ كثرةُ الإنفاقِ، ولا يُمسِكُ خشيةَ الإملاقِ، ولا يُنقِصُهُ إدرارُ الأرزاقِ، ولا يُدْرَكُ بإيناسِ الأحداقِ، ولا يوصَفُ بمضامّةٍ ولا افتراقٍ.

والحمدُ لله العظيم شأنُه، القديم إحسانُهُ، القاهرِ سلطانُهُ، الظاهرِ برهانُهُ، الذي تَطَأطَأ كلُّ عظيمٍ لعظمتِهِ، وأبانَ في كلِّ مصنوعٍ بدائِعَ حكمتِهِ، وصَغرَ كلُّ كبيرٍ في سعة رحمتِهِ، وأظهَرَ في كلِّ شيءٍ سُبوغَ نعمتِهِ، البريء من المشاركةِ في أفعالِهِ، المتوحِّدِ دون خليقتِهِ بتمامِ كماله.

المَديمِ لأوليائِهِ دِيَمَ نِوالِهِ، الساطي على الجبابرة بعزِّ جلالِهِ، المحيطِ علمُهُ بخطراتِ ذواتِ الصدورِ، والمدرِكِ حِفْظُهُ ما في طوامِسِ لجَجِ البحورِ، والكالِئةِ رِعايتُه أجِنَّة حنادِسِ الدَّيجورِ(١)، والهابِطَةِ مِن خَشيتِهِ أصلادٌ(٢) صُمُّ الصخورِ، والنافذةِ قدرتُهُ بتصاريفِ الأمورِ، والجاريةِ بمشيئتِهِ نوازلُ المقدورِ، والمنشِرَةِ دعوتُهُ أرمّاءَ هوَامِدِ أهلِ القبورِ، والعالم بما كان ويكونُ في أعاصيرِ الدُّهورِ، ألا يعلمُ مَن خلقَ وهو اللطيفُ الخبيرُ، سبحانَه لا إله إلا هو إليه المصيرُ.

والحمدُ للهِ الذي قهَرَ الأربابَ، ومَلَك الرِّقابَ، وأذَلّ الصِّعابَ، وأنذرَ المآبَ، ووعدَ الثواب، وأوعَدَ العِقاب، وأنشأ

---

(١) الديجور: الظلام.

(٢) أصلاد: جمع صلد وهو جمع شاذ، وهو الحجر الصلب الأملس.

السّحابَ، وسبّبَ الأسبابَ، هو الملِكُ الذي عمَّ الخلائقَ جَدْواه، وعَلِمَ مِنْ كلّ صامِتٍ وناطِقٍ نجواهُ، وتمّ حُكمُه فيمن أطاعَهُ منهم وعصاهُ، ونفَذَ قضاؤُهُ فيمن أضَله منهم وهداهُ، واستولى على الملك بعزّ أيدٍ[١] فحواه، فسبّحَتْ له السمواتُ وأكنافُها، والأرضُ وأطرافُها، والجبالُ وأعرافُها[٢] والشجرُ وأغصانُها، والبحارُ وحيتانُها، والنجومُ في مطالعها، والأمطارُ في مواقعها، ووحوشُ الأرضِ وسِباعُها، ووِهادُها ويَفاعُها[٣] ومَدَدُ الأنهارِ وأمواجُها، وعَذْبُ المياهِ وأُجاجُها، وهُبوبُ الريحِ وعَجاجُها، ومسالِكُ البلادِ وفجاجُها، وسُلوعُ القيعانِ وأضواجُها[٤]، وعراعِرُ الأعلامِ وأعراجُها[٥]، وكلُّ ما وقعَ عليه وهمٌ أو حِسٌّ، أو حواهُ نعْتٌ أو جِنسٌ، مما يتصوَّرُ في الفِكرِ، أو يُعرف بحدٍّ أو قَدَر، مُقِرّاً له بالوحدانيةِ خاشعاً، مُعترفاً له بالربّانيّةِ طائِعاً، مُستجيباً لدعوتِهِ خاضِعاً، متصرِّفاً بمشيئةِ مُتواضعاً له الملكُ الذي لا نفادَ لديموميتِهِ، ولا انقضاء لمُدّتِهِ.

والحمدُ للهِ القديمِ الأزليّ، المقيمِ الأبديِّ، ذي العرش

---

(١) الأيد: القوة.

(٢) أعرافها: أعاليها المشرفة.

(٣) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٤) السلوع: جمع سِلَع بفتح اللام شجر، والأضواج: جمع ضوج وهو منعطف الوادي.

(٥) الأعراج: جمع عرج بفتحتين وهو غيبوبة الشمس أو انشراحها نحو المغرب، والأعلام الجبال، والعراعر: جمع عُرعُرة بضم العينين، وعرعرة الجبل رأسه ومعظمه.

العليّ، والنورِ البهيِّ، والأمر الوحيِّ[١]، والوعدِ المأتيّ، والبطشِ القويّ، والعزِّ القَعْسَري[٢]، والحُكم السّويِّ، واللُّطفِ الخفيِّ، الذي تحيّرَتْ في كيفيّتِهِ هواجِسُ أولي الفِكرِ، وخسَأتْ عن إدراكِ ذاتِهِ بصائرُ أهلِ النَّظرِ.

ذلكمُ اللهُ الذي لا إله إلا هو فاطِرُ الفِطَر، وخالِقُ كلِّ شيءٍ بقدَر، ليس بمحْدَثٍ فتنالُهُ الحادِثاتُ، ولا بمكيَّفٍ فتخيّله الخاطراتُ، ولا بمتناهٍ فتبلُغُه الغاياتُ، ولا بمحدودٍ فتحيطَ به الجهاتُ، ولا بمحصَّلٍ فتستغرقَهُ الصفاتُ، ولا بُمعانٍ فتخونَهُ الثّقاتُ، ولا بفانٍ فتغيِّره الأوقاتُ، ولا بعاجزٍ فتُعجِزُهُ الطلباتُ، ولا بغائبٍ فتعترضَهُ الشبهاتُ، ولا ببادٍ فتُدرِكَهُ اللَّحظاتُ، بل هو اللهُ مُبدِعِ أصنافِ الخلائقِ، وسامِكِ[٣] السَّبعِ الطرائِقِ، ومُزيِّنها بالمصابيحِ الشوارِقِ، ومُجريها في أفلاكِ المغاربِ والمشارقِ، ومُنشئ السحائب على مُتونِ الخوافقِ، ومُزْجِيها بزَجرِ الرَّواعِدِ والبوارِقِ، وآمِرِها بصَوْبِ[٤] الرَّحمة وإرسالِ الصواعقِ، ومقرِّرِ الأرضينَ بالأوتادِ الشُمخِ الشَّواهِقِ، والمُنبتِ فيها من النَّوى والحبِّ أصنافَ الشجَرِ البواسِقِ، والمنعمِ على أوليائِهِ بتعريفهم طرُقَ الحقائقِ، والمجلّيها لهم مِن لواحِقِ العوائقِ والصارِفِ عنهم وبيلَ النوازلِ والبوائق، والموجِبِ شُكر نِعَمِهِ على كلِّ حيٍّ ناطِق.

---

(١) الوحيُّ: السريع.

(٢) القعسريُّ: الضخم الشديد.

(٣) سامك: رافع.

(٤) الصوب: المطر.

أحمَدُه حمداً يَنظُمُ منثورَ هباتِه، ويُبرِمُ منشورَ عِداتِهِ، ويحوطُ مذخورَ صِلاتِهِ، ويُميطُ محذورَ نقماتِهِ.

وأستهديهِ لما يُحبُّه ويرضاهُ، وأستجيرُ به استجارةَ آبقٍ مِن أسر هَواهُ، واثِقٍ بكرَمِ مولاهُ، وأستعصمُ بحبلهُ الذي لا يضِلّ مَن أمَّهُ ونحاهُ.

وأعوذُ بجلال عظمته أن أُذكِّرَ به وأنساهُ، وأقِرَّ إليه من خُدَعِ نفْسٍ عازِبٍ رشادُها، غالبٍ فسادها، قليلٍ إسعادُها، طويلٍ عِنادُها، مُشتمِلٍ عليها غرورُها، متّصلٍ في غَيِّها كُرورُها، راسبةٍ في لجَجِ آمالِها، راغبَةٍ عن نهجِ مآلها، مزمومةٍ بأزِمّةِ خَبالها(١)، مرحومةٍ لسيء أحوالها.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له يوازِرُه، ولا مليكَ يفاخِرُهُ، ولا معينَ يضافِرُهُ، ولا قرينَ يكاثِرُهُ، عمَّ معروفه ما ذرأَ في البسيطةِ، وتمَّ تأليفُهُ بقدرتِهِ المحيطَة، فاتّفقَتْ أصولُ الصَّنعة بائتلافِ آلاتِها، وافترقَتْ فروعُها باختلافِ أجناسها وسِماتِها، وتحقّقَتْ صنعِ صانِعها بتنقُّلِ حالاتِها، ونطقَتْ مسبّحة بحمدِهِ في أصنافِ لُغاتِها، فسبحانَ مَن لا سميّ له في برِّها وبحرِها وأرضها وسمواتِها.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلهُ ومعالمُ الإيمانِ منكورةٌ، ومواسمُ البهتانِ معمورةٌ، وأعلامُ الشيطانِ منشورةٌ، وأحكامُ الطغيانِ مشهورةٌ، والأمم تبعٌ لخطلِ آرائِها، شِيَعٌ في سُبُلٍ

---

(١) الخبال: الفساد.

أهوائِها، تعبُدُ ما لا يملِكُ لها ضرّاً ولا نفعاً، وتجحدُ مَن أوسَعَها إحساناً وصُنعاً.

فحلَّ اللهُ بمحمدٍ صلى الله عليه عُقَدَها، وفلّ بحدِّهِ عَدَدَها، وأطفأ بنورِهِ نارَها، وبوّأ أنصارَهُ دارها، حتى عزَّ الذليل، واتّضحَ السبيلُ، وقامَ الدليلُ، وعُبدَ الواحدُ الجليلُ، فصلى الله على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ما ذرّ شارِقٌ، وما وقَبَ غاسِقٌ، وما ثقبَ طارِقٌ، وما دومَ خافِقٌ(١)، وما أومضَ بارِقٌ، وما لفظَ ناطِقٌ، وما تقلقَلَ قدَمٌ. وما أَبَنَّ علَمٌ(٢)، وما سُلِكَ لَقَمٌ(٣)، وما أجنّ رحم، وما جرى قلمُ، وما أجارَ حرَمٌ، وما انتشرَ اللوحُ، وما تلألأت يوحُ(٤)، وما تردَّدَتْ روحٌ، وما غبَرَ نجمٌ، وما محَّ رستم، وما لقَحَ فهمٌ، وما خطَرَ وهْمٌ، وما تمَّ عزمٌ، وما نفذَ حكمٌ، وما عجَّ يمٌّ، وما فلجَ خصمٌ، وما ارتدّ لحظٌ، وما نفعَ وعظٌ، وما اتّسق لفظٌ، وما أدْرَكَ حفظٌ، وما بقي أُنسٌ، وما عُرفَ جنسٌ، وما أوجَسَ حسٌّ، وما تناوَحَ صُدّانِ(٥)، وما اختلفَ الجديدانِ(٦).

صلاةً مالِئةً كلّ مكانٍ، دائمةً في كلِّ حينٍ وأوانٍ، لا انقطاعَ لمزيدِها، ولا امتناعَ لمديدها، ولا اتّضاعَ لمَشيدها، ولا انصياعَ

---

(١) دوّم الطائر في السماء طار، والخافق الطائر، وقد يراد بالخافق الريح أو السحاب.

(٢) أبنّ: أقام، والعلم: الجبل.

(٣) اللقم: الطريق.

(٤) يوح: الشمس لا تنصرف للعلميّة والتأنيث.

(٥) صُدّان: تثنية صد، الجبل وناحية الوادي.

(٦) الجديدان: الليل والنهار.

لصُعودها، تنتهي إلى مقرِّ أرواحِهم، ومُقامِ فلاحِهم، فيضاعِفُ اللهُ لهم تحياتِها، ويشرِّفُ لديهم صلواتِها، فتتلقّاهُم مقرونةً بالسرورِ، محفوفةً بالنضارةِ والنورِ، دائمةً بلا فناءٍ ولا فتورٍ.

اللهمَّ فلك الحمدُ على هدايتنا بسيِّدِ المرسلينَ، وإدخالنا في جملةِ مَن اصطفيتَهُ مِن الموحِّدين، وتفضيلِنا بكتابِك النورِ المبينِ، الفارِقِ بين الشكّ واليقينِ، الذي أعجزَتِ الفصحاءَ معارضتُه، وأعْيَتِ الألِبّاءَ مناقضَتُهُ، وأخْرسَتِ البلغاءَ مشاكلتُهُ، فلا يأتونَ بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً، اللهمَّ فكما علّمتنا تلاوتَهُ، وبلَّغتنا خاتمتُهُ، فاجْعلنا ممن يقِفُ لبعضٍ ظهيراً.

اللهمَّ فكما علَّمتنا تلاوتَهُ، وبلّغتنا خاتمتُهُ، فاجعلنا ممن يقِفُ عند أوامرِهِ، ويستضيءُ بنورِ جواهرِهِ، ويقتني فاخِرَ ذخائرِهِ، ويستبصرُ بغوامضِ سرائرِهِ، ولا يتعدّى نهيُ زواجرِهِ.

اللهمّ أورِدْ به ظماءَ قلوبِنا موارِدَ تقواكَ، واشْرَعْ لها بها سُبُلَ مناهِلِ جَدْواك، حتى تغْدوَ خِماصاً على حلاوةِ قصدِك، وتروحَ بِطاناً من لطائفِ رِفدِك، ناعِمةً في رياضِ اليقينِ بعِرفانِكَ، سالمةً مِن شُبهِ الظنونِ في عظيمِ شانِك، واصِلةً إلى غوامِضِ المكنونِ مُبصرةً ما لا تبصِرُه لواحِظُ العيونِ.

اللهمَّ نجّنا به مِن تورُّدِ الهَلكاتِ، وسلّمنا به مِن اقتحامِ الشُّبهاتِ، وعُمَّنا به بسحائبِ البركاتِ، ولا تُخلِنا به مِن لُطفِك في جميعِ الأوقاتِ.

اللهمّ جللنا به سُرادِق النّعمِ وغَشِّنا به سرابيلَ العِصَمِ، وبلّغْنا به نهاياتِ الهِمَمِ، واقشَعْ به عنا غياباتِ النّقمِ، وجنِّبنا به

مَخْشِيّ الشهائبِ والقُحَمِ[1]، ولا تُخلِنا بهِ مِنَ تفضّلِك يا ذا الجودِ والكرَمِ.

اللهمّ ادفع به عنّا حلولَ القحَطِ والأواءِ، واصرِفْ به عَنّا نزولَ العُسْرِ والغَلا، وأسْبِلْ به علينا جوائِزَ الرّضوانِ والنعماءِ، وأتِحْ لنا به مرجُوّ الفرَجِ والرّخاءِ، وانصُرنا به على جميعِ الأعداءِ، وأعِذنا به مِن دَرَكِ الشّقاءِ، ووفّقْنا به لشُكرِ نعمِك في الأوقاتِ والآناءِ.

اللهمّ أعِذنا به من مقارنةِ الهمِّ ومُساورَةِ الحُزن، ونجّنا به مِن مواردِ الخسْفِ ونوازِلِ المحَنِ، وسلّمنا به مِن غَلباتِ الرّجالِ في صُمّ الفِتَنِ، واجمعنا به على طاعتِك في كلّ حينٍ وزمن، وأعِنّا به على ادْحاض البدَعِ وإظهارِ السُّننِ، وزيِّنّا بالعمل به في كلّ محلٍ ووَطَن، وأجرِنا به من عاداتِك على كلّ جميل حسن إنّك العوّادُ بغرائبِ الفضلِ وطرائِفِ المِنَنِ.

اللهمّ اجمعْ به كلمة أهلِ دينِك على القولِ العادلِ، وارفعْ به عنهم عزّةَ التشاحُنِ وذلّةَ التخاذلِ، وأغْمد به عن سفكِ دمائِهم سيفَ الباطلِ، وخِرْ لنا به ولسائرِ المسلمين في العاجلِ والآجلِ، وجمّلنا به وإياهم في المشاهدِ والمحافِلِ، وعُمّنا وإياهم بإنعامِكَ السابع وإحسانِكَ الشاملِ، إنّك على ما تشاءُ قادر، ولما تحِب فاعل.

اللهمّ اجعلنا به من الذين جدّوا في قصْدِك فلم ينكُلوا،

---

(١) الشّصائب: جمع شصيبة وهي الشدة والجدب، والقُحَم: جمع قحمة بالضم وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.

وسلَكوا الطريق إليك فلم يَعدلوا، واعتمدوا في الوصول عليك حتى وصلوا، فرويتْ قلوبَهم من محبتك، وأنِسَت نفوسُهم بمعرفتِك، فلم يقطعُهم عنك قاطِع، ولا منعَهم عن بلوغ ما أمّلوهُ لديك مانِع، فهُم فيما اشتهتْ أنفسهم خالدون، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

اللهمّ إنا ندعوكَ دعاءً من يرجوكَ ويخشاكَ، ونبتهلُ إليك ابتهالَ مَن لم يخطر ببالهِ عند مسألتِكَ أحدٌ سواك ورحمتك تسعْ من أطاعَك منّا وعصاك، فإمّا محسِنٌ فقبِلته، وإما مسيءٌ فرحمته، يا من أدنى المنقطعينَ إليه، وأغْنَى المتوكلين عليه، وضَمِن لمن دعاه جزيل ما لديه، جلّلنا مِن رأفتِك بأمنٍ واقٍ، واشمُلنا مِن رعايتك برُكنٍ باقٍ، وأوْصلنا بعنايتك إلى غاية السباقِ، واجعلنا برحمتك من أهلِ الرعايةِ للميثاق، واعْمُر قلوبنا بخشيةِ ذوي الإشفاقِ، حتى لا نرجوَ سواك، ولا نقصّر عن بلوغ رضاك.

اللهمّ أنت أنيسنا في الخلوةِ إذا أوحَشَنا المكان، ولفظتنا الأوطانُ، وفارَقنا الأهل والجيران، وانفرَدنا في محلّ ضَنكٍ، قصير السّمْكِ[1]، ضيّقِ الضريحِ، مُطبقِ الصّفيحِ، مهولٍ منظره، ثقيلٍ مدَره، محلّاةٍ بالوحشة عرصَتُهُ، مغشاة بالظلمةِ ساحَتُه، على غيرِ مهادٍ ولا وِسادٍ، ولا تقدِمة زادٍ ولا اعتدادٍ.

اللهمّ فتدارَكنا هنالك برحمتك التي وسعَتِ الأشياء أكنافُها،

---

(١) السّمك: الارتفاع.

وجمعَتِ الأحياء أطرافُها، وعمّتِ البرايا ألطافُها، وجُدْ علينا برحمتِك يا رحيمُ، ولا تؤاخِذْنا بالجرائمِ يا كريم.

اللهمّ ارحمْ مِنّا مَن اكتنفَتْهُ سيآتهُ، وأحاطَتْ به خطيئآته، وحفّتْ به جناياته، ارحم مَنْ ليس له مِن عمله شافعٌ، ولا يمنعُهُ من عذابكَ مانعٌ، ارحمِ الغافلَ عما أظلّه، والذاهِلَ عن الأمر الذي خلقَ له، ارحم مَن نقَضَ العهدَ وغَدَرَ، وعلى معصيتك انطوى وأصر، وجاهرَك بجهله وما استتر، ارْحم مَن ألقَى عن وجهه قناع الحياءِ، وحسرَ عن رأسه جِلبابَ الأتقياءِ، واجترأ على سَخطِك بارتكابِ الفحشاءِ، يا مَن آنسَ العارفينَ بطيبِ مُناجاتِهِ، وألبسَ الخائفينَ ثوبَ موالاتِهِ، متى فرِحَ مَن قصدَت سواك همّته، ومتى استراحَ مَن أرادتْ غيرَك عزيمتُهُ، ومَن ذا الذي قصدَكَ بصدقِ الإرادةِ فلم تشفّعْه في مُرادِهِ، أمّن ذا الذي اعتمَدَ عليك فلم تَجُدْ بإسعادِهِ ذا الذي استرشَدَكَ فلم تمنُنْ بإرشادِهِ.

ها نحنُ عبيدُكَ المقصِّرونَ الخاطِئونَ، المُذنبونَ المستغفرونَ، جِئناكَ مِن ثِقَلِ الأوزارِ هاربينَ، ولمعروفكَ طالبينَ، وعلى ما اجْترَحْنا من الخطايا نادمينَ، نتوسّلُ إليكَ بمحمدٍ سيِّد المنتجَبينَ، وبعِترتِهِ الخِيرَةِ الأبرار الطيبينَ(١)، أن تجعلَنا في هذه الليلة من المرحومينَ، وأن لا ترُدّنا بالخيبةِ محرومينَ، وافعلْ ذلك بنا وبسائرِ المسلمينَ.

اللهمّ صلِّ على منْ أمرْتَنا بالصلاةِ عليه، وأجزلْتَ الثوابَ لمن قَبل أمرَكَ وانتهى إليه، محمد عبدك النبيِّ، العربيِّ الأميِّ، الطاهرِ الزكيِّ، الإمامِ المرضيِّ، الذي تخيّرْتَهُ من جميعِ القبائلِ،

---

(١) انظر الصفحة (١٠١) حاشية رقم (١) ففيها تفصيل لمسألة التوسل بجاه النبي ﷺ.

وأوْضَحْتَ به نهْجَ الدلائلِ، وجَعلتَه إليك أكبرَ الوسائلِ، صلاةً تكرّمُ بها مثواهُ، وتُشرِّفُ بها عقباهُ، وتبلغُهُ بها يومَ الشفاعةِ رِضاهُ.

اللهمّ وصَلِّ على ذرّيتِهِ الأدنياءِ، وعِترتِهِ الأقرباءِ، وأهلِ بيته النُّجباء الذين ألزمتنا طاعتَهم وفرضتَ علينا في الكِتابِ مودّتهم، فقلتَ وقولُك الحقّ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشّورى: ٢٣].

اللهمَّ وصلِّ على جميعِ صحابتِه الصادقين، ووزارئه السابقينَ، الذينَ آوُوهُ ونصرُوهُ، وآسوهُ وعزّروهُ، واتّبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه لما عَرفوهُ، وبوصاياهُ وأوامرِهِ بعدَ وفاتِهِ خلفوهُ، ولمْ يَزالوا على عهدِهِ وميثاقِهِ حتى لَقوهُ، أولئكَ الذينَ تخيّرتهم لنُصرتِهِ، وانْتَجبتَهُم لإقامةِ دعوتِهِ، ورَضيتَ عنهم بالمسارعةِ إلى بيعتِهِ.

اللهمَّ وصلِّ على أزواجِهِ الخيِّراتِ الأطهارِ، وعلى جميعِ المهاجرينَ والأنصارِ، صلاةً جائزة حدَّ الإكثارِ، دائمةً بالعشيِّ والإبكارِ.

اللهمَّ أحْيِنا على حُبِّهم، وأعِذْنا من سَبِّهم.

اللهم إنّا لا نتخِذْهُم أرباباً، ولا نجعلُ بعضهم على بعض أحزاباً، بل هم عبيدٌ مربوبونَ، سامعونَ مُطيعونَ، دُعاهُم نبيُّكَ فأجابوهُ، وأمَرَهُم فأطاعوهُ، وعلى رضوانك بايَعوهُ، ولإقامةِ دينِكَ تابعوهُ.

اللهمَّ فصلِّ عليهِ وعليهِم مُنتهَى الآبادِ، وفناءَ الأعدادِ، صلاةً دائمةً بلا فَناءٍ ولا نفادٍ.

اللهمّ وإذا انقطعَ من الحياةِ سِلك نِظامِها، وأُترع للنفوسِ كأسُ حِمامِها، وتصرّمَتْ أوقاتُ لياليها وأيامِها، وانحسَمَتْ

كواذِبُ أطماعها في مُقامها، واستسْلَمَتْ لهُجوم المنايا وإقدامها، وكلّمتْ فلم تصِلْ إلى معهودِ كلامها، واستُرجِعتْ ودائعُ الأرواحِ من أجسامِها، وحُصّلَتْ في بطونِ الأرضِ أكُلا لهوامّها، إلى يوم مرجعِها وقيامها.

اللهمّ فاشغلنا بالقرآن في ذلك المقام عن الجزَع، وغشّنا به سرابيلَ أهل الورَعِ، وأعِنّا به على هَوْلِ المُطّلَعِ، واجْعَلْهُ لنا مَعقلاً مَنيعاً مِن آفاتِ يوم الفَزَعِ.

اللهمّ وفّقنا به لإقامة الحجّةِ، عند ضيقِ المحجّةِ، في اليوم الثقيلِ، بين يدي الملكِ الجليلِ، يومَ الآزِفةِ والرّادفَةِ، إذ القلوبُ لدى الحناجِرِ واجفةً يوم تذهل كلُّ مرضعةٍ عما أرضعتْ وتجدُ كلّ نفسٍ محضراً ما أسلفَتْ، يومَ يعضُّ الظالمُ على يديهِ، ويجدُ كلّ امرئٍ ما قدّمه لديهِ، يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه وأمّه وأبيهِ وصاحبته وبنيهِ، لكلّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيهِ، يومَ يقومُ الرّوحُ والملائكةُ صفاً لا يتكلّمون، وتحضرَ جهنّمُ والخلائقُ ينظرون، يومَ يكشفُ عن ساقٍ ويُدعونَ إلى السجود فلا يستطيعون، يوم يخرجونَ مِن الأجداثِ سِراعاً كأنهم إلى نُصُبٍ يوفِضونَ، خاشِعةً أبصارُهم ترهقُهم ذلّة ذلك اليومُ الذي كانوا يوعدونُ.

اللهمّ إنك جعلتَ الموتَ حتماً على البريّة، وعدلاً حاكِماً بينهم بالسويّة، لا يغادِرُ مِن خلقكَ أحداً إلا توفاه، ولا يتركُ منهم عدداً إلا استوفاه، وقد سلك سبيلَه من سبقَ مِن الغابرينَ، وسيردُ مواردَهم مَن لحق من الآخرينَ، حتى ترثَ الأرضَ ومَن عليها وأنتَ خيرُ الوارثينَ.

اللهم فتعطّف على كافّة أمواتِ المسلمينَ، الراحلينَ المقيمينَ المضطهدين المستسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم كنّ لهم بَعْدَ الأحبابِ حبيباً، ولدعاءِ مَن دعا لهم مِن خلقِكَ مُجيباً، واجعلْ لهم في موادّ رحمتِكَ ومواهِبكَ حظّاً ونصيباً، يا مَن لم يزل سميعاً قريباً.

اللهمّ اجعلْ قبورَهُم مَغايِضَ(١) صلاتِكَ، ومقارّ هباتِكَ، وطُرُقَ إحسانِكَ، ومَحالّ عفوك وغُفرانِكَ، حتى يكونوا في بطونِ الإلحادِ مطمئنين، وعند قيام الأشهادِ آمنين، وبجودك ورضوانك واثقين، وإلى أعلى درجاتِ جنّاتك سابقين، واخْصُص بذلك الآباء والبنين، والأخوة والأقربين، والجيرَة والأهلين، آمين ربّ العالمين.

رفعَ اللهُ إليه طيّبَ عملِنا، وتجاوزَ بعفوِهِ عن ذنوبِنا وزَلَلِنا، وسمِعَ صالحَ أدعيتنا، ومَنّ علينا وعليكم بإجابتِنا.

وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمينَ.

عبادَ الله: إنّ ربكم أكرمُ مسؤولٍ، وأقربُ مأمولٍ، وقد تكفل لكم عند الدعاء والإنابة، بتحقيق الرجاء وتعجيلِ الإجابة.

[تمَّت خطب خطيب الخطباء عبدالرحيم بن نباتة تغمده الله بالرحمة]

ويليها خطب ابنه أبي طاهر محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) مغايض: جمع: مغيض وهو الموضع الذي يغيض فيه الماء، يقال غاض الماء إذا ابتلعته الأرض.

ملحق فيه:

خطب
أبي طاهر محمد بن عبدالرحيم بن نباتة

خطبة
في التخويف من يوم القيامة

الحمدُ للهِ محقّقِ آمالِ الطالبينَ إليه، وموفّقِ مَن آمنَ به وتوكلّ عليه، الذي جعلَ الحمدُ من نِعَمِهِ سبباً للمزيدِ، وآخِرَ دعوى أهلِ جنّتِهِ يومَ الخلودِ، أحمدُهُ حمدَ معترِفٍ بالتقصيرِ عن شكر إحسانهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً لا جزاءَ لقائلها دونَ رضوانهِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسلهُ والأممُ على الأوثانِ عاكِفةٌ، وعن البُرهانِ صادفة، وبزورِ الكلِمِ ناطقةٌ، ولنورِ الحِكَم مُفارقةٌ، فقشَعَ اللهُ بنبيه محمدٍ صلى الله عليهِ سحائبَ ضلالها، وأبطلَ بحقائقه عجائبَ مُحالِها، وروى ببحور حكمِه من نكّبَ عن بطلِ آلها[1].

صلى الله عليه وعلى آله صلاةً مشفوعةً بأمثالها، مرجوماً بها مَن أخلصَ في مقالها، وسلّم تسليما.

أيها الناس: إنّ رياحَ الذنوبِ هبّتْ في القلوب فأطفأتْ

(١) الآل: السراب.

مصابيحَهَا، وعَسُرَ على العظاتِ فتحُ أقفالها لمّا أضاعَتِ الغفلةُ مفاتيحَها، وعامَتِ النفوسُ في بحارِ شجبها[١] حين سترت الغِرّةُ عنها تماسيحها، وأصاخَت بأسماع لَعِبِها لِغَماغِمِ[٢] كذبها فلم تعِ إفصاحَ المنايا وتصريحَها، والموتُ تصدحُ في كل دارٍ عتارِفه[٣]، وتسفَحُ دُرر الأبصارِ عواصِفُهُ، وتُبطِلُ خُدَعَ الآمالِ حقائقه، وتسهّلُ تُرعَ الآجالِ صواعِقه[٤]، وأنتم في غفلة من المهلة ساهون، وعما أظلكم من وشك الرحلةِ لاهون.

فاستيقظُوا - رحمكمُ اللهُ - مِن رَقدةِ هلاكٍ قد استحوَذتْ عليكم، واتّعظوا بما أدّتِ الأيامُ مِن أخبارِ مَن اخترمَتْ إليكم.

وبادروا بالتوبة قبلَ أن تُغلقَ أبوابُها، وقدّموا لأنفُسكم فقد أزِفَ إلى الآخرةِ إيابُها.

وتدبّر أيها العاقلُ ما يُلقى إليكَ مِن غُرَرِ الحِكمِ والأمثال، والْزم تقوى ربِّكَ في القولِ والفِعالِ، واطّرحْ فعلَ ما تعودُ عواقِبُه عليكَ بالوبالِ، وتزوّدْ مِن دارِ المُحالِ لدار المآلِ، قبل أن تدِبَّ عليك عقاربُ الأسقامِ، وتخُبَّ[٥] إليكَ ركائبُ الآلامِ، وتلمَعَ لديكَ صوارمُ الحِمامِ، ويسمعَ عليكَ إعوالُ الحريمِ والخدّامِ،

---

(١) الشجب: الهلاك، والغِرّة الغفلة.

(٢) الغماغم: الأصوات المختلطة الغير مفهومة.

(٣) العتارف: الدِّيَكة واحدها عترف.

(٤) التُّرع: جمع ترعة وهي فم الجدول، والمعنى: أن صواعق الموت تجعل في جداول الآجال تُرَعاً.

(٥) تخبّ: من الخبب، وهو نوع من السير السريع.

وتُسأل فلا تقدرَ على رَجْعِ الكلامِ، وتُشيرَ إلى الحاضرينَ بحفظِكَ في الأيتامِ، قبل أن تقبضَ يداً وتبسُطَ أخرى، وتنظرَ إلى حامّتِك[١] بمُقلةٍ عَبرَى، ويشغلَك كبيرُ ما نزلَ بكَ عن الصغير من ولدكَ والصُّغرى، وتصبحَ رهينَ الثرى إلى يوم الطامّةِ الكبرى، ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ هنالك ينكشفُ المكتومُ، وينتصرُ المظلومُ، وتُحضَرُ الخصومُ، ويحكمُ الحيُّ القيومُ، فتقبُحُ لسوءِ الحسابِ وجوهُ الظلمةِ، وتُفتحُ لأليم العذابِ أبوابُ الحُطَمَةِ، وتخنسُ رؤوسُ العظماءِ لسلطانِ العَظَمَةِ، وتخرُسُ ألسنُ البلغاءِ عن النطق بكلمةٍ، وترعدُ فرائصَ البرآء[٢] إشفاقاً وفَرَقاً، وتمدّ الجحيمُ إلى كلّ فريقٍ من المجرمينَ عُنقاً، وتمزّقُهم بين أطباقها تغيُّظاً وحَنقاً، ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] آمنَنا اللهُ وإياكم من سطَواتِ نارِهِ، ووفّقَنا وإياكم للعَمَلِ بإيثارِه، ولا حرمَنا وإيّاكم رَوْحَ جنّتِهِ في جوارِه.

إنّ أحسنَ ما نَطَقَتْ بِه الأفواه، وتحرّكَتْ بهِ الألسُنُ والشِّفاه، كلامُ مَنْ هوَ في السماء إلهٌ وفي الأرضِ إله، ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ إلى آخر سورة الهمزة.

❁ ❁ ❁

---

(١) حامة الرجل: أقاربه.

(٢) أي الخلائق: والأصح في (البراء) بالقصر.

خطبة
في ذمّ الدنيا

الحمدُ للهِ المستحمِدِ بنعمِهِ، المتودّدِ بكرمِهِ، المؤيِّد بعِصَمِهِن المرشِدِ بحِكَمِهِ، الذي عظُمَ حِلْمَهُ عن المذنبينَ فعفا، وعمّ تجاوزُه عن من أسقطَ وهفا، وحكمَ بالعدلِ فيما قضى، وعلمَ ما يكونُ وما مضى، أحمدُهُ على إلباسِنا ثوبَ العافيةِ، وأستزيدُهُ مِن نعمِهِ الباديةِ والخافيةِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادة صادعٍ له بحقيقة التوحيدِ، نازعٍ عن شبهِ الشكِّ والتقليد، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه الداعي بإذنه إليهِ، ورسولهُ الوجيهُ المكرَّمُ لديه، أرسلهُ بالحقّ داعياً، وعن الباطلِ ناهياً، فأفصحَ فيما بلّغ مِن الرسالةِ، وأوضحَ ما جاءَ بهِ مِن الدلالةِ، حتى حَظِيَ بدارِ النعيمِ مَنْ وُفِّقَ لإجابته، ولظي بنارِ الجحيمِ مَن نَكَّبَ عن سُبلِ إرادتِهِ.

صلى الله عليه وعلى أهل بيتهِ وصحابته، والمصطَفَينَ مِن أسرتِهِ وأهل ولايته صلاة يبيحُهم بها دارَ كرامتِهِ، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: مَن أدْلجَ في غياهبِ ظُلم دنياهُ، صبَّحَ منازل

أمينه غداً وبلغَ مُناهُ، ومَن قمعَ بصدقِ عزيمتهِ غالبَ هواهُ، أمِن يومَ الفزعِ الأكبرِ ما يحذرُهُ ويخشاهُ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ فإنه أهلٌ أن يُتقى، وراقِبوه مراقبة من يعلمُ أن ما عِندَهُ خيرٌ وأبقى، ولا تغرَّنّكمُ الحياةُ الدُّنيا فما صَدَقَتْ أحداً فيما حدّثته، وتجافوا عن حُطامِها فما صفا منها شِرَبٌ إلا كدّرته نوائبُها وخبّثته.

فكونوا قوماً عاينوا قُبحَ عواقِبها الذميمةِ فخافوها، ومدّت إليهم أيدي نِعَمها الجسيمةِ فعافوها، ودَعتْهُم بجميعِ السن خدائِعها فخالفوها، وتنكّروا لها قبلَ تنكّرِها لهم لمّا عرفوها، فكم لها مِن رضيعِ لبانٍ فطَمَتهُ مصائِبُها فما انتعش، وكم بها مِن صريعِ حَدثانٍ شاكتهُ نوائبُها فما انتقَشَ.

ألا وإن الموتَ قد بسطَ إلى قبضِ نفوسكم بداً، لا يرجِعُها دونَ استيفاءِ عَدِدِكم أبداً، حتى يُلحِقُ الأواخِرَ منكم بالأوائل، ويُبدِ لكم ضيقَ الملاحِد برُحبِ المنازِل، ويَهتكَ بأيدي الفجائعِ ستورَ الحلائلَ(١)، ويسفكَ شؤونَ المدامعِ(٢) من الخلِّ المواصِل، ويذرَ الديارِ مِن أربابها قاعاً صفصفاً، ويوردَ الخليقةَ لحِسابها مَوقفاً، هنالك وضعتِ الحواملُ أحمالها، ومنعَت الحقائقُ رجالها(٣)،

---

(١) الحلائل: الزوجات.

(٢) يسفك شؤون المدامع: يجري ويصب، وشؤون المدامع مجرى الدمع.

(٣) الحقائق: ما يجب على الرجل أن يحميه، والمعنى: أن الأمر في الآخرة على خلاف الدنيا، فالحقائق هناك هي التي تحمي الرجال بعد أن كانت تُحمى بالرجال.

وطُوّقَتِ الخلائقُ أعمالُها، وأنطقَتِ الجرائمُ أوصالَها، (صدّق المكذبون بيومِ الحساب[1]) وأشفق المجرمون مما في الكتاب، وعرفَ المبطلونَ غِبَّ ما أنكروا، وأُلحقوا بدارِ البوارِ وخَسِروا، ونضنضَتِ[2] الجحيمُ ألسِنَتها حين رأتهُم، وحَرّضتْ عليهم زبانيتها فتخطّفتْهم، ورُدِمَتْ أبوابُها فيئسوا، وحلّت بهم مَثُلاتُها فأبلسوا[3]، وضلّ عليهم إلى الفرجِ وجهُ الطريق، وأعوزهم عون المظاهر والصديقِ، وأسلموا إلى تواصلِ الزفيرِ والشهيق، وهزتْ بهم الهاويةُ في المكان السّحيقِ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجّ: ٢٢].

جعلنا اللهُ وإياكم ممن أخذ لذلك اليومِ العظيمِ أُهبتهُ، وقدّمَ قبلَ القدومِ عليه توبته، فرحمَ نفسهُ الضعيفةَ قبل عطبها، وجعلَ سعيهُ في الخلاصِ من ربهِ أكبرَ أربها.

إنّ أولى ما التُمسَ به التقويمُ، وأهدى ما سُلكَ به الصراطُ المستقيم، كلام من ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهو السميع العليم، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هُود: ١٥]

❀ ❀ ❀

---

(١) وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سَبَإ: ٢٠].

(٢) نضنض: حرّك.

(٣) أبلسوا: يئسوا.

خطبة
في معنى الخمر

الحمدُ للهِ المستوجِبِ للثناءِ والحمدِ المُتَجَلْبِبِ بالكبرياءِ والمجد، الذي بايَنَ بعظَمَتِهِ الخلطاءُ والأصحابَ، وضمنَ العفوَ عمّن أقلعَ عن معصيتِهِ وأنابَ.

أحمدُه حمدَ شاكرٍ لنعمتِهِ مستزيدٍ. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له إلهاً لا نسبَ لهُ غيرُ التوحيد، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ إلى أمةٍ عادلةٍ عنِ الرشادِ، عامِلةٍ بالفسوقِ والفَساد، كافرةٍ بالبعثِ والمعاد، مجاهرةٍ بالكفر والإلحادِ، فسكن اللهُ بمحمدٍ صلى الله عليه رَهَجَها[1]، وأبطلَ بحقه حججها، وأصلحَ بالقرآنِ زلَلها، وأوضحَ إلى الإيمانِ سبُلها.

صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ أشرفَ الصلواتِ وأفضلها، وأسبغَها بركاتٍ عليهم وأجز لها، وسلم تسليما.

أيها الناس: إنَّ الله تعالى ذِكْرُه قد بصَّركمُ المحجّةَ إلى دارِ

---

(١) الرهج: الغبار.

أمانِهِ، وألزمكم الحُجّةَ بتحذيركم نفسَهُ في تبيانه، وشرَّفكم بدينِ الإسلامِ لتعبدُوه حقّ عبادتِهِ، وأنزلَ عليكمُ الذِّكرَ لتنتهوا منه إلى إرادته، وشحَنهُ بجوامعِ الأحكام، وفرَّقَ عليكمُ الذكرَ لتنتهوا منه إلى إرادته، وشحنه بجوامع الأحكام، وفرّقَ بهِ بينَ الحلالِ والحرام، وخاطبكم فيه على لسانِ نبيّه عليه السلام، فقالَ ولقولهِ الإجلالُ والإعظام ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّساء: ٣١].

وقال وهو أصدق قيلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ألا وإنّ الخمرَ مِن أكبر الكبائر، المؤذنةِ بهجوم مذمومِ الدوائرِ، وسمعةٌ لذَوي الأقدارِ فاضحةٌ، وشرعةٌ إلى دارِ البوارِ طارحةٌ، فتخرجُ بشاربها إلى حال اللَّمَمِ، وتُدخلُهُ بعدَ الوجودِ في معنى العَدمِ، كم دمٍ بجرائرِها قد سُفِكَ، ورحِمٍ بفوائِلها قد بُتك[1]، وكم ظهر حرامٍ قد ارتُكبَ، ووزرٍ موجبٍ للانتقامِ قد اكتُسِب، تزيلُ ما ألبسكم اللهُ بهجتهُ مِن شرفِ العقولِ، وتورِدُ مُعاقِرَها مواردَ الآثِمِ الجَهولِ، وتَسِمُهُ في العاجلةِ بسماتِ العارِ والخُمولِ، وتُلحقُه في الآجِلةِ بأهل العِصيانِ لله والرسولِ، فقد أفصح بتحريمها نصُّ الكتابِ، وما يؤثرُ عن نبيِّكم من كلِّ شرابٍ، إلا وإنه مَن أصر عليها فلم يتُب، وأسمعتهُ الدعوةُ إلى تحريمها

---

(١) بُتك: قطع.

فلم يُجب سُقيَ يومَ عطشِه الأكبر مِن طينةِ الخَبالِ، وآلَ مِن سخطِ ربِّهِ إلى شرِّ مآلٍ.

فالتوبةَ التوبةَ قبل أن لات حين متاب.

والأوبةَ الأوبةَ قبل حلولِ العقابِ، فكأنّكم بالآلامِ قد اعترضت، وبالأجسامِ قد انتقضَتْ، وبالمنيّةِ قد طرقتْ، وبالنفوسِ قد زهقَتْ، وبالأرواحِ قد ارتُهِنَتْ، وبالأشباحِ قد دُفِنتْ، وبالأوصالِ قد فُصِّلَتْ، وبالأعمالِ قد حُصِّلَتْ، وبالأطفال قد أوتمَتْ، وبالحلائلِ قد أُيّمت، وبالحسراتِ قد عمّت، وبالطامّةِ قد طمّتْ، وبالأممِ قد تقاطَرَتْ، وبالكتبِ قد تطايرَتْ، وبالواقعةِ قد وقعتْ، وبالمرائر قد تصدّعتْ، وبالنيران قد اشتدّت، وبالألوانِ قد اسودّت، وبالأفواه قد انطبَقَتْ، وبالجوارح قد نطقَتْ وبالمظلومِ قد مَلَك، وبالظالم قد هلكَ، ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾.

طهَّرنا الله وإياكم مِن دنسِ الآثام، وبصَرنا وإياكم بنورِ الإسلام، وغفرَ لنا ولكم موبقاتِ الإجرامِ، وأغنانا وإيّاكم بالحلال عن الحرام.

إنَّ أحسن ما لفظَ به خطيبٌ، ووعظ به مستمعاً مِصقعٌ لبيبٌ، كلامُ الملكِ الرقيبِ، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النِّساء: ١٧].

خطبة
يذكر فيها النهي عن الخمر

الحمدُ للهِ الكريمِ الوهاب، الرحيم التواب، السريع الحساب، المنيعِ الحِجابِ، الذي خوّفَ عباده بسطواتِ نارِه، وقدم المعذرةَ إليهم بتحذيرهم نفسَهُ وإنذارِه، وضمِن قبولَ التوبةِ مِمّن قدّمها وأخلصَ لها وتبديلَ سيئآتهِ مِن الحسناتِ مثلَها، أحمده على ما بطَنَ مِن نعمِه وظهر، حمدَ مَن عرفَ قدر ما أولى فشكر. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً تُبلغُ قائلها الإرادةَ يوم المعادِ، وتنيلهُ السعادةَ عند قيامِ الأشهاد، وأشهدُ أن محمداً عبدُه المؤتمن على وحيهِ ورسالاته، ونبيُّه الذي آمنَ باللهِ وكلماتهِ وآياته، وبهرَ الخلقَ بمعجزاتِه ودلالاته.

صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابه وثقاته، صلاةً يبلغهُ بها نهايةَ أمنياته، وسلّم تسليما.

أيها الناس: وضَحَ الصوابُ لمن طلبهُ فرغبَ فيه، ونصحَ الكتابُ لمن عملَ بأوامره ونواهيه، وأفصحَ بذكرِ ما أحلَّ لكم وحرّم، وبيانِ ما أشكلَ عليكم وأبهم، فلا تُغلّبوا ـ رحمكم اللهُ ـ الأهواء الموبِقةَ لمن أطاعها عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا

﴿مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ [الأنعام: ١١٩] وإن كثيراً ليضِلونَ بأهوائهم بغيرِ علم، ويخادِعون أنفسهم بارتكاب المحارمِ والإثم.

ألا وإنّ الخمرةَ رجسٌ من عملِ الشيطان فاجتنبوها، وخُطوةٌ من خُطواتِه فلا تقربوها، فجزاءُ مُعاقِرها في دنياه المنقصةُ والعار، وفي أُخراهُ الشِّقوةُ والنارُ، وأن يُسقى يوم العطش الأكبرِ من الصديد، ويُلقى مع الكفرةِ في العذابِ الشديد، والتفرقةُ بينهُ وبين أهل التوحيد ذلكَ بما قدّمت يداهُ وما اللهُ بظلّامٍ للعبيد.

فيا مَن أضربَ عن التوبة فأدمنَ على المعصيةِ وأصرّ وصمّم على ارتكابِ الحوبةَ فأعلن بها وأسر، كأني بك وقد أعْلَقَتْكَ المنيّةُ حبائلَ أمراضها، وأوردَتكَ مناهلَ حياضِها، وسقَتْكَ مِن عَلزِ[1] السياقِ أمَرَّ الكؤوس، وألبستْكَ من وحشةِ الفراق أفظعَ اللَّبوسِ، وأعاضَتْكَ من صحبةِ أخلّائكَ صحبةَ الأمواتِ، ومِن عشرةِ نُدمائِك مباشرةَ الرُّفاتِ، ومِن مواصلة ملاذِّكَ تواصُلَ الحسرات، وأسلمَتْ مَصُونَ جسدِك لابتذالِ الحشرات، مرتَهناً بأعمالكِ في ظلمات الأرض، إلى يوم الحسابِ والعرض.

فما الجوابُ لمسائلك عن استحلالِ ما حرّمَه عليك، وما الحجةُ بعد المعذرةِ التي قدّمها إليك، هيهاتَ خرسَ اللسانُ عن الجوابِ فانعجمَ ورأى الظالمُ غِبّ ما أعلنَ وكتم، وأسرّ الندامةَ على ما احتقبَ واجترم، وحكمَ الحاكمُ بعلمهِ فما ظَلَم.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن قبلَ أمرهُ وأنابَ إليه، وقدّم التوبةَ

---

(١) العَلَز: معالجة الموت.

قبلَ القدومِ عليهِ، وسقانا وإياكم منَ الرحيقِ المختوم، ووقانا وإياكم عذابَ السمومِ.

إنّ أنفعَ ما وعاهُ الصدرُ، ووضحَ بهِ الإطلاقُ والحظرُ، كلامُ من لهُ الخلقُ والأمر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المَائدة: ٩٠].

❀ ❀ ❀

خطبة
في الاستعداد ليوم المعاد

الحمدُ للهِ الباهرةِ حِكْمتُه، القاهرةِ سَطْوتُهُ، الكافيةِ نعمتُه، الشافية رحمتُه، الذي فطرَ السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيام، وغمرَ ما ذرأ فيهنّ بالفضلِ والإنعام، أحمدُه وهوَ أهل المحامِدِ، وأنزّهُهُ عن الشبيهِ والولدِ والوالد.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له شهادةً برِئَتْ من الشكِّ والنّفاقِ، وعَريتْ من الإفكِ والاختلاقِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولُه أرسلهُ بالحقّ صادِعاً، وعن الباطل وازعاً، حتى بطل باطل، وعقل جاهلُ، ورجع هارب، وبخَع بالطاعةِ مُناصِب[1]، واستقامَ الدينُ بعد اعوجاجه واستمرّ الناسُ على شرعهِ ومنهاجِه، ﷺ وعلى آله وأزواجه، صلاةً تؤذِنُ بدوامِ جذلِه[2] وابتهاجه، وسلّم تسليما.

أيها الناس: أصيخوا للوعظِ بأسماعِ أفهامِكم، واحضروا

---

(١) بخع له، انقاد، والمناصِب: المعادي.

(٢) الجَذَل: غاية الفرح.

قوارعَ الزجرِ بصحّة أحلامكم، ولا يشغلنّكم ظاهرُ القول عن تدبُّر معانيه، ولا تلهينكمُ فصاحةُ لفظهِ عن الانتفاعِ بما فيه، ولا يكُن هَمُّ أحدكم أن يقول هذا خطيبٌ مُعْرِبٌ، أو فصيحٌ مُطنِبٌ، لكن أصغوا إلى الموعظةِ بقلوبكم، واكشِفوا عن مستورِ عيوبكم، واذكروا سالفَ ذنوبكم، وليظهرِ الجزعُ من شبّانكم وشيبكم، فلعمري لقد أعربنا في المقال حتى خَلَبَ(١) الألباب ما نخطبُ، ولحنا في الفِعالِ حتى ما نفصِحُ فيه ولا نُعرِبُ، ولو لم يعظ الناسَ إلا المهذّبُ النجيبُ لقلَّ الواعِظون، ولو لم يلفِظِ الصوابَ إلا المثقّفُ المصيبُ لعُدمَ به اللافِظون، وإني لأعظِكُمْ ولستُ أفضلكم، ولو أنّ للذنوب رائحة لكنتُ أثفلكم(٢).

ولست أعلّمُكم ما تجهلون، ولكني أذكركم ما تعلمون، فهل موعوظٌ يُسعدُ واعظَهُ بنحيبهِ، أو ملحوظٌ يستغفرُ لاحِظُهُ لخطيبهِ، فقد عرّقنا بأنيابه الدهرُ، وفجئنا وإياكم الأمر، وقلّ على المصيبة بالأديان العزاءُ، وأظلّ العالم الفناء فلا بقاء.

فرحمَ اللهُ امرءاً استنجدَ مِن مُقلته دمعاً سائلاً، وندِمَ على ما كان منهُ في مدّته عاملاً أو قائلاً، وادَّكرَ من معادهِ يوماً عبوساً هائلاً، قبل أن يكونَ الموتُ بينهُ وبين مُراده حائلا، فكأنْ قد خيّم على اللذاتِ هادمُها، وأقدمَ على الحركاتِ جازمُها(٣)، وعَصَفَتْ

---

(١) خلَب: خدع.

(٢) أثفلكم: اسم تفضيل من الثفل، قال العلامة الجزائري رحمه الله: لو قرئ أتفلكم بالتاء يكون من التفل وهو عدم التطيب.

(٣) الجازم: القاطع للحركات، وهو الموت.

من المَنون سمائمُها[١]، وعملَتْ في النفوسِ صوارمُها، فأصبَحْتَ أيها المغرور بفسيح جنابه، المأسورُ بقبيحِ اكتسابه، الذاهلُ عن ادّخار الزادِ لسرعةِ ذَهابه، الغافلُ عن الاستعدادِ لرجعتهِ وإيابه، صريعاً لمساورةِ الأسقامِ، سريعاً في جسمكَ نقضُ الإبرامِ، قد عزّ عليك الكلامُ فغَلا، وجاشَ صدرُكَ بالأنيني فعَلا، وأمرّ الموتُ في فمك مِن الدنيا ما حلا، وأثبتكَ في دواوين مَن قد دثَرَ وخَلا، فنُبِذتْ في الضريحِ المُلحَدِ، وأُسكنتَ تحت الصفيحِ المؤصَدِ، منفرِداً بأعمالِكَ في المكان الفَدْفد[٢]. مبدَلاً مِن خفضِ مهادِك وساد الجلمَدِ[٣] مُغفياً أطال رقادُكَ الموتُ، حتى ينشركَ ليومِ معادكَ الصوتُ، فيجمعكَ المشهدُ الحافلُ، ويقطعكَ الخِلّ المواصِلُ، وينفذ فيك القضاءُ الفاصِلُ.

فالآن فتأهّبْ لمسيركَ أيها الراحلُ، فإنك إلى هذهِ الأهوالِ واصل، وعلى ما قدِمتَ من العمل حاصل، وإنك أيها الإنسانُ مسؤولٌ ولكن مَن السائل، ومطالَبٌ بالجوابِ فما أنتَ لربّك قائل.

تغمّدَنا اللهُ وإياكم بالعفوِ والمجازفةِ، وأيّدنا وإياكم بتسديده يومَ الآزفة، وتجاوزَ عن ذنوبنا وذنوبكم.

إنَّ أحسن ما استفتِحَ بهِ الكلامُ وخُتِمَ وأنفعَ ما نُزِعَ به غِلُّ الصدورِ وحُسِم، كلامُ من أحصى كلّ شيء وعلم. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

---

(١) السمائم: الرياح الحارة.

(٢) الفدْفَد: القفر.

(٣) الخفض: اللّين، والجلمد: الحجارة الصلبة.

خطبة في التذكير بيوم القيامة

الحمد لله القديم السابق، الحكيمِ الخالق، الكريم الرازق، العليم الصادق، الذي جعلَ النطق بتحميده زيادةً في النعم والإفضالِ، والصدقَ في توحيده زيادة عن دار الوَبال، أحمدُهُ على شمولِ نعمهِ الجزيلةِ، وأعوذُ بهِ من حلولِ نقمِهِ الوبيلة. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً من سلمَ من الشك توحيده، وعَلِمَ أنهُ هو أبدأهُ ثم يعيدُهُ.

وأشهدُ أن محمداً عبدُه المرسلُ بأوضحِ الأنباء والدلائل، ونبيُّهُ المبعوثُ من أفصحِ الأحياء والقبائلِ، إلى أمة ضالةٍ عن قصدِ سبيلها عالةٍ من وردِ أضاليلها[1]، قابلةٍ لعبادةِ صُلبها وتماثيلَها، مجادلةٍ بزورِ كذبها وأباطيلها، فلم يزلْ ﷺ باذلاً نفسهُ في استنقاذِها مِن هُوّةِ العَب، عادلاً بها إلى سبيلِ نجاتها بالرّغَبِ والرّهَب، حتى خبرَ الإيمانَ جاهلُهُ، وهجرَ البهتانَ قائله، وأقرَّ بكلمةِ الإخلاصِ من أنكرها، وجهرَ بها من طال ما ألحدَ فيها وكفرها.

---

(١) عالة: اسم فاعل من علّت الإبل إذا شربت شرباً بعد شرب.

صلى الله عليه وعلى آله أفضلَ الصلواتِ وأطهرَها، وأعمّها بركاتٍ عليهم وأغزرَها، وسلم تسليما.

أيها الناس: إنّ الموتَ غَمامٌ طبّقَ الخلقَ سحابُهُ، وحُسامٌ أزهقَ النفوسَ ذُبابَه(١)، وغُرابُ بين لا يغِبّ نعابُه، وداعي شتات سُرعةُ الإغماضِ جوابه، قد كدّر اللذاتِ قبلكم على أهلها، ونكّر معارفَ الأمم الخاليةِ بتشتيتِ شملِها، فغادَرهم رُفاتاً بين أطباقِ الثرى، وأبقى ديارهم عبراً لمن يسمع ويرى.

فهل لأحدٍ منكم بدفعه إذا يمّمه يَدان، أم بيديه من مفاجأته كتابُ أمانٍ، أم لا تقنعُ من غيره بنظرِ العيانِ، أم ضمِنَتْ له الأيامُ إنظارَه فوثقَ منها بالضمان.

كلّا إنّها لغفلةٌ قد شمَلَتِ الخلائقَ، وغِرّةٌ(٢) قد سترتِ الحقائقَ، وتسويفُ سفر مؤذِنٌ بالرحيل ليُعرفنّ غِبهُ، وتضعيفُ أمرٍ واقعٍ عمّا قليلٍ ليجِلّنّ خطبُهُ.

فتزوّدوا ـ رحمكم الله ـ زاداً يقطعُ بكم مشقّةَ سفركم، ومهّدوا لنفوسكم مِهاداً قبل حلولِ حُفْرِكم، فحينئذٍ تُطوى الصحائفُ على ما أُودِعَتْ مِن الأعمالِ، وتسلّى(٣) النفوسُ عن الذخائرِ والأموال، وتُرتهَنُ بسوالفِ الأفعالِ والأقوال، وتطولُ رقدتُها إلى يوم المآلِ، هنالك يجِفُّ بما سطّره في الكتاب القلمُ، ويحيقُ الندمُ بمن قصر إن نفع الندم، وتنقصمُ بما حملتهُ الظهور، وتنفطِرُ السماءُ

---

(١) ذُباب السيف: حدُّه.

(٢) الغِرّة بالكسر الغرور والغفلة.

(٣) تَسَلّى أصله تتسلّى.

بأمر سامِكها وتمورُ وتشخصُ الأبصارُ لهولِ ما عاينت وتمور، وتسقطُ قوى المتجبرين وتخور وتخسرُ تجاراتُ المسيئين وتبور، ويبرز لردِ المظالمِ حاكمٌ لا يظلمُ ولا يجوز فمن القائمُ بجوابهِ إذا فاتشَ وسأل أم من السالمُ مِن عذابه أن ناقشَ وعدَل، هيهاتَ أُفحمَتِ الفصحاءُ حينئذٍ ونطقَتِ الجلودُ، واستسلمَتِ الزُعماءُ وتفرّقتِ الجنودُ، وابيضّت وجوهٌ واسودّت وجوهٌ، ونُبِّئ العالَمُ بما عملوه، وصُلِيَ الظالمون بنار الجحيم، وخسئوا أذِلّة في العذابِ المقيم، وحصلوا على تواصل الشهيقِ والزفيرِ، وتصدّعتْ قلوبُهم بموجع التقريرِ، وسألهم خزنتُها عن النذير فأقرّوا بالنذير. ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١].

أعاذَنا اللهُ وإياكم من سطواتِ نارهِ، ووفّقنا وإياكم للعمل بإيثاره، ولا حرَمَنا وإياكم روحَ جنتهِ في جواره.

إنَّ أحسن ما جلَّده الرَّجْعُ، ووعاه القلبُ والسمعُ، كلامُ من بيدهِ الضرُّ والنفعُ، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠].

❁ ❁ ❁

خطبة
في الاستعداد ليوم المعاد

الحمدُ للهِ الكافيةِ نعمتُهُ، الشافيةِ حكمتُه، الذي من تمسك بحبله عصمه، ومن تعرّض لصوله قصمه، ومن لجأ إليه أكرمه، ومن تكبّر عليه أصغره وأرغمه، أحمده بمحامده الشرائفِ، على حسن مننهِ السوالفِ حمداً يوجبُ المحبوبَ من أنعامِهِ، ويُذهبُ المرهوب مِن انتقامِه.

وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً يسعد قائلِها ببلوغِ أربهِ، ويبعد من أخلص بها عن دار غضبه، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه أرسلهُ بالنور الزاهر، والحقِّ الظاهر، والشرعِ الفاخر، إلى كلّ بادٍ وحاضر، فأقام الحقّ وعدلهُ، وآثرَ الصّدقَ واستعملهُ، حتى تمّم اللهُ به الدين وأكمله، ثم نقلَهُ إلى نفيسِ ما أعدّ له.

صلى الله عليه وعلى من آزرهُ ووصَله، صلاةً تبلّغهُ في القيامة أملهُ، وتختِمُ بالسعادة عمله، وسلم تسليماً.

أيها الناس: احضروا بصفاء الأذهان لعظاتِ الزمانِ فقد لخصَها على قدمِه لمستمعيها، واشتروا دارَ الأمانِ بتقاةِ الرحمنِ فقد أرخصها بكرمِهِ لمبتاعيها، وتدبّروا قوارعَ القرآنِ ببصائرِ

الإيمان تكتفوا بزواجرِ نواهيها، وادرؤوا سَوابقَ العصيان، بلواحقِ الإحسان تسلموا من دوائر دواهيها.

ولا تركنوا إلى الدنيا فليست لكم دارَ قرارٍ، واغتنموها فإنها سوقُ متجرٍ للخيرةِ الأبرار، فإنكم تظهرونَ ذمّها وعقدُكم[1] إيثارها، وتسكنونَ إلى خُدَعِها وقد حفّ بكم حِذارُها، وتطمئنونَ بها وقد أوجَفَ بكم إنذارها، وتستبعدُونَ حلولَ الدارِ الأخرى وقد قرُبَ منكم مزارُها.

ألا وإنه مَنْ باعَ آخرتهُ بحطامِ الدنيا خسرت كرّته، ومَنْ رضيَ بعاجلتِهِ داراً طالَتْ حسرتُه، ومَن أضاعَ حظّهُ من التورّعِ عن شُبهاتها عظُمَتْ مصيبتُه، ومَن أطاعَ نفسهُ في تناولِ شهواتِها جلّت رزيئتُهُ.

فيا ذا الأجلِ المشيدِ إنّ كرورَ الأيامِ عليه قد هدمَه، وياذا الأملِ البعيدِ إنّ حضور الحِمامِ لديهِ قد قصّرهُ وقصَمَه، ويا ذا العملِ المخفيّ إن عالِمَ السرّ والعلانيةِ قد عَلِمَهُ، ويا ذا الزللِ المنسيّ إن الرقيبَ في صحيفتكَ قد سطّرَهُ ورقمه[2]، ويا جاعلاً عرضَ أخيه غرَض معايبهُ ليثلِمه، إنّ خصمك اللهُ الذي لا تقدرُ أن تخصِمه، ويا مَنِ استولى بالقدرةِ على ظلمِ من استضعفهُ فظلمه.

احذَر عقوبة من أحصى كل شيء فعلمه، ويا آكلَ الربا خِلافاً على من حرّمه، إنّ طعامكَ الزقّومُ غداً والويلُ لمن طعمِه، ويا راقداً على مهادِ الغفلةِ والموتُ الوحيُّ[3] قد دهمه تيقّظ من سنة غفلتكَ قبل أن يعوّزَك الإمكانُ فتعدِمَه.

---

(١) أي معقودُكم.

(٢) أي كتبَهُ.

(٣) الوحيّ: السريع.

ويا مَن استظهرَ كتابَ اللهِ فقرأهُ وأحكمهُ، ما آمَنَ بالقرآن من استحلّ محارِمَه، ويا من أزلّ الباطلُ عن الحق قدمه، سدّد أوْدَك[١] فكلّ قادمٌ على ما قدّمه، قبل أن تُصبِّحَك المنيّة أسيرَ حنينٍ، وتذرَك للناظرين أثراً بعد عَيْنٍ، قبل أن ينشركَ مِن طيِّ ترابِك ناشرٌ، ويحضركَ لفصل حسابك ملك قادرٌ، ويجمعَ لكَ مِن زللِكَ الأوّلُ والآخِرُ، فترى ما غابَ عنكَ من عملِكَ هو الحاضرُ، هنالكَ أحرزَ قصباتِ السّبق مَن برّزَ وسبَقَ.

وصدقَ اللهُ وعدهُ مَن أوفى بعهدهِ وصدقَ، وطابَ مقيلُ مَن أصلحَ العمل وأطابَ، وخسرَ المسرفُ المسوِّفُ وخابَ، وقُسِمتِ الجنّةُ والجحيمُ بين المستقدمين منكم والمستأخِرين ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

وهبَ اللهُ لنا ولكم الأمانَ مِن سطوتِهِ، وأوجبَ لنا ولكم الغُفرانَ برحمتِهِ، وجَعَلَنا وإيّاكم، ممن أحسنَ عملهُ فحزره، وأرصدهُ ليومِ فقرِهِ وفاقتهِ فذخِره.

إنَّ أحسنَ ما لفظَ به اللسان، وأوضحَ ما ترجمَ عنهُ البيانُ، وأحقّ ما علمَهُ الإنسان، كلامُ مَن لا يدركهُ العيان، ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصّلَت: ٤٠].

❁ ❁ ❁

---

(١) أي عوجك.

خطبة
في التخويف من يوم القيامة

الحمدُ للهِ القويّ الذي لا يلحقه مللٌ ولا ضعْفٌ، الوفيّ الذي ليسَ لوعده تبديلٌ ولا خُلْفٌ، العظيمِ الذي لا يستغرقهُ نعتٌ ولا وصْفٌ، الكريم الذي لا يُنقصُ خزائنَه العُرفُ[(١)]، أحمدُه على مشكورِ نعمِه وإفضالِهِ، وأعوذُ مِن غضبهِ بعزِّ جلالِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ كلمةً فضّلها على جميعِ الكلام، وشهادةً وفّق لها خِيرةَ الأنام، ودعوةً جعلها دِعامَ الإسلام، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولَه أرسله ببيان حججِه، ودلّ به على برهانِ منهجه، فأسمعَ الدعوةَ مَن كان له قلب، وأودعَ الحكمةَ مَن رضيهُ الربّ.

صلى الله عليه وعلى آله المصطفينَ مِن عبادِهِ وصحابتِهِ المختارين لنصرته وإنجاده، صلاةً يبلّغه بها نهايةَ مُرادِهِ، وسلّم تسليما.

أيها الناس: لِدُوا فكلّ مولودٍ للتراب، وابنوا فكلّ مبنيّ

---

(١) العرف: المعروف.

للخراب، واحرِصوا على الدنيا حِرْصَ الغُرابِ، فكلّ متاعِها إلى ذهاب، ولا بدّ من تحرير الحساب، على ما ثبتَ في مسطورِ الكتابِ، ألا وإنّ الموتَ قصّرَ للعارفين طوالَ الآمالِ، وكدّرَ على المترَفينَ زُلال[1] الأحوالِ، وأزالَ الشكوكَ في وشَكِ الانتقالِ، وأوردَ السوقةَ والملوكَ موارِد الوبالِ وقد ترونَ غِربانَهُ في دياركم تنعبُ، وحِدَثانِه بأرواح صِغاركم وكبارِكم يلعبُ، وأعوانه لا تردُّ عن نفوسكم ولا تُحجبُ، وسلطانَهُ غالباً لكم لا يُغلبُ.

فما الاغترارُ ـ رحمكمُ اللهُ ـ بدارٍ قد حسرَتْ عن الفتك بكم القِناعَ، وحسمَتْ بوشك فنائِكمُ الأطماع، وأرتكم صنيعَها بمن سلفَ من الأولين، وارتجاعَها ما أعارَت مِنَ الأموالِ والبنينَ، وإلحافكمُ الثّرى بعد الثراء والتمكينِ، وإلحاقَ الباقينَ منكم بالماضين، فأي باب لم تقرعِ المنايا وصيدَهُ، وأيُّ شملٍ لم تصدعِ الرزيا عديدَهُ[2]، وأيُّ منزلٍ لم تخلِقِ الأيامُ جديدَهُ وأيُّ معْقَلٍ لم تهدِمِ الأحكامُ مشيدَهُ.

فيا أيها السامِعُ لما أصِفُ وأقولُ، والقانِعُ لنفسِه بما قنعَ بهِ الغرُّ الجهول، ماذا تنظرَ بالإقلاعِ وتتربّصُ، وبماذا عساك مِن ورطة ذنوبِك تتخلّصُ، كأنّك بالموتِ وقد نزلَ بساحتك، فأعدمكَ بحلولهِ رَوْحَ راحتِك، وعلِقتكَ على حين غِرّتك حبائلهُ، وشغلتكَ عما تلهجُ به مِن الدنيا شواغِلُه، وأخرجكَ مِن سعةِ الحالِ والوطن، إلى ضيقِ لحدِ موحشٍ وكفنٍ، فظلت ممتهناً بعد عزّك

---

(١) الزُّلال: البارد العذب.

(٢) أي جَمْعَه.

وعُلاكَ، مُرتهناً بقبيح ما كسبتْ يداك، مقسّماً بين حشرات الأرض وهوامّها، إلى يومِ وجوبِ الساعةِ وقيامِها يوم تبعثرُ الضرائحُ وتذهُلُ المرضعاتُ، يوم تظهرُ الفضائحُ وتُعَدّدُ الجناياتُ، يوم تُرْعَدَ الفرائِصُ وتُسْكَبُ العبراتُ، يوم تبدو السرائرُ وتتضاعفُ الحسرات، يوم تُبدّلُ الأرضُ غير الأرضِ والسموات يوم يُقتصُّ للمظلومِ ممن ظلمه، يوم يتجلّى للحكومةِ مَن أحصى كلّ شيء فعلمه، يوم تُبطلُ حججُ المبطلين حججه الشافية، يوم تجمَعُ فرقَ الرعيلِ جملةُ الكافية، يوم تساوى الأجسامُ العاريةُ والأقدامُ الحافية، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحَاقَّة: ١٨].

جعلنا الله وإياكم ممن جعل الموت نُصب ناظِره، والتقوى حشوَ ضمائرِه، وصرَفَ الثقةَ بالدنيا عن قلبهِ وخاطِره، إنّ أحسنَ ما جدّده الرجعُ، ووعاهُ القلبُ والسّمعُ، كلامٌ من بيدهِ الضُرُّ والنفعُ، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

❀ ❀ ❀

خطبة
في ذم الدنيا

الحمد لله الكريم طوله، العظيمِ صَوْلُهُ، المرهوب عدلُهُ، المطلوبِ فضلُهُ، الذي تسربلَ بالعزّ والجلالِ، وتفضّلَ بالجودِ والنّوالِ، وبايَن فِطرَهُ[1] في جميع الأحوالِ، وشملَ طائِعَهم وعاصيَهم بالأفضالِ، أحمدُه على مشهورِ نعمِهِ ومستورِها، وموفورِ قسمِه ومقدورِها.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً من صدقَ بشهادته عن الإلحاد، وأحرز قصباتِ السبق يوم المعادِ، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله أرسلهُ نعمةً على من أفرد ووحّد، ونقمةً على من جحدَ وألحد، فبلّغَ النّذارة، وأحسنَ العبارة، وجاهَدَ في الله حقَّ جهادِهِ ومَحَضَ النصيحةَ لعبادِهِ، حتى لأمَ شِعْبَ الإيمان فأوثقَهُ، وهزمَ حزبَ الشيطانِ ففرّقهُ، وأرْتَجَ بابَ الطغيانِ فأغلقَهُ، وأسرجَ نورَ البرهان فألقهُ[2].

(١) أي خلائقه.

(٢) أي أناره، مِن تألّق البرق إذا استنار ولمع.

فصلى الله عليه وعلى مَن آمنَ به وصدّقهُ، كما اختارَهُ لإقامةِ دينه ووفّقه، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: الحظوا الدنيا بعيونِ بصائركم فقد كشفتْ لكم عن مساويها، واحفظُوا عنها تلخيصَ عِظاتها فقد أعلنتْ بها لمن يسمعها منكم ويعيها، واحتسبوا نفوسَكم فقد أفصحَ عندكم بالإزعاجِ ناعيها، وتأهبوا لهجومِ الآخرةِ فقد فجئتكم بما فيها، واعلموا أنكم محاسبون بمثاقيلِ الذرّ فصححوا الحسابَ، وآيبون عن الدنيا فأصلِحوا المآبَ، ولا تغترّوا بمدة بقاء أطولُهُ قصيرُ، ولا تثِقوا بخُدَعِ دهرٍ عادتُهُ التغيير، وقدّموا العملَ فقد أزِفَ المسيرُ، واغتنموا المُهلَ فأمدُهُ يسير.

بينا أحدُكم ممتطياً ظهر أمله، رافلاً في ذيولِ مَهَلِهِ، غافلاً عن حلولِ أجلِهِ، مشتملاً مِن دنياه مُروطَ جذلِهِ[1]، مُعْمِلاً فيها دقائقَ حِيَلِهِ، مُدْغِلاً في قوله وعملِهِ[2]، إذ ألقتِ المنونُ في عنقهِ عقْدَ أسارِها الذي لا يُحل، وأرهَفَتْ للفتكِ به حَدّ شِفارِها الذي لا يُفَلُّ، وتخطَّتْ إليه أيقاظَ أحراسِهِ، وجَرَتْ مِن نفسه مجاري أنفاسِهِ، واقتلعَتْ قواعِدَ عُمُرِهِ مِن أساسِه، واختطفَتْهُ مِن بين عُوّادِهِ وجُلاسِهِ، فأصبح هالِكاً مضاعاً، بعد أن كان مالكاً مُطاعاً، أسير جَدَثٍ ذليلٍ، فقيراً إلى العمل القليلِ، لا يَلوي على أحد ولا يلوي عليه، مشغولاً عما خلّفه بما بين يديه، مطوّقةً في عنقهِ جملُ أعمالِهِ، مفرّقةً بيد البِلى وُصلُ أوصالِهِ، موزّعاً في ظلماتِ

---

(١) المرط بكسر الميم كساء من صوف أو خزّ، والجذل: الفرح.

(٢) أدغل في الأمر: أضمر فيه ما يفسده، والدغَل بفتحتين: الفساد.

الأرضِ بين حشراتِها، ملفّعاً مِن قُبْح سوالفهِ بحسراتها، موقوفاً على الصيحةِ الناشرةِ للخلائق، والصرخةِ الحاشرة إلى محلّ الحقائق.

فيا أهل الكبائرِ لا يأمنُ عذابَ اللهِ إلا مَن تابَ إليهِ واستغفرهُ.

ويا أهلَ الصغائرِ أما سمعتمُ اللهَ يقول ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزلة: ٨].

فرحمَ الله امرءاً صحّح حسابه، وأصلح مآبه، وشحنَ بالحسناتِ كتابه، وأعدّ لمسائلهِ جوابَهُ، قبلَ ذهولِه بمعاينةِ اليوم العسير، وعرضِ عملهِ على الناقدِ البصيرِ، ومناقشتهِ على النقير والقِطميرِ، يوم علنِ الأسرارِ، وهُتْكِ الأستار، يومَ زلَل الأقدامِ وشُخوصِ الأبصارِ، يومَ قصم الظهور بثقلِ الأوزارِ، يومَ يُعرفُ المجرمونَ بسوادِ الأبشارِ[1] يومَ يُدالُ للأخيارِ من الأشرارِ، يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غير الأرضِ والسمواتُ وبرزوا للهِ الواحدِ القهار.

ثبّتنا اللهُ وإياكم بالقول الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة، وألبَسَنا وإياكم أثوابَ نعمِه الفاخرةِ، ومَنّ علينا وعليكم بكريمِ عفوِه، وأعاذَنا وإياكم مِن أليمِ سطوِه.

إنّ أنفع ما أُنصتَ له وعُمِلَ بما فيه، وقُمِعَتِ الأهواءُ بضمْنِ زواجرِهِ ونواهيه، كلامُ مبتدئِ الخلق وباريهِ، ويقول ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ

---

(١) الأبشار: ظاهر الجلد.

ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ١-٨].

❁ ❁ ❁

خطبة
في الموت والمعاد

الحمد لله المليّ بثواب المنقطعينَ إليه، الوفيّ بإنجازِ وعدِ المتوكّلينَ عليه، الغنيّ الذي لا تَسْوَدُّ وجوهُ المُطالِبِ لديه القويّ الذي ملكوتُ كلّ شيء بيديه، أحمدُهُ على ما منحَ من نعمهِ وخوّل، حمدَ من اعتمدَ على حسنِ نظرهِ وعوّل.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له الكريمُ الذي لا تتعاظمهُ الذنوبُ، الرحيمُ الذي بذكرهِ تطمئنُّ القلوبُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ ومقالاتُ المحالِ مسموعةٌ، ورجالاتُ الضلالِ متبوعةً، والعربُ عاكفةٌ على عبادةِ الأصنام، مكاشفَةٌ بزورِ الكلام، راكبةٌ محجّةَ الجحيم، ناكبةٌ عن الصّراطِ المستقيم، فاستنقذَ اللهُ بنبيهِ صلى اللهُ عليه مَن سبقتْ لهُ مِن اللهِ الحسنى، واختطفَ مِن عذابهِ مَن سابقَ إلى رضوانِهِ تعطُّفاً منه ومَنّا.

صلى الله عليه وعلى آله صلاةً دائمةً على الأبدِ لا تنقطعُ ولا تفنى.

(ابن آدم) قنِعْتَ مِن العاجلةِ بمنزلٍ قُلعةٍ[1] ما فيه لذي حجرٍ[2]

---

(١) القُلعة: الارتحال.

مقنعٌ، وطمِعتَ منها في موئلِ منعةٍ طمَعَ مَن لا يُبصر غيرها ولا يسمعُ، وخدعَكَ من تلبيسِ دارِ الغرورِ عن طاوس دارِ الحبورِ غرابٌ أبقعُ، وقطعَكَ عن ادّخار الزاد النافعِ جمعُ حطامٍ يضُرُّ جمعُه ولا ينفعُ، فظلْتَ بغرّة أملِكَ تأكلُ وتمتّعُ وتبتهِجُ بما تحتقِبُ من ذلك وتجمعُ حتى إذا بلغَ كتابُكَ المسطورُ الأجلَ، وحُرّر حسابكَ المحصورُ وحصلَ، وقضى قضاؤكَ المقدورُ ونزلَ، وخابَ رجاؤكَ المغرورُ وبطل، تنكرُ معارفَ جسدك، وتبصر، مواقفَ رشدك، وتفكّرُ في حالِ مالك وولدك، وتشعرُ قلبكَ ما فرطَ من زللكَ طولَ أمدكَ، والمنيّةُ قد أدهقت(١) لك كؤوسَ مُدامها، وأعلقتْ بكَ براثِنَ حِمامِها(٢)، وأوثقَتْ في عرْنينك برةَ زِمامها(٣)، وأدلقتْ للفتكِ بك مُغْمَدَ حُسامِها(٤)، فأسِفْتَ على الفائتِ من عمر قد اضمحلّ ووهي، ورُمْتَ الزيادة في أجل قد بلغَ المُنتهى، وأمّلْتَ مُحالاً مِن رجعةٍ لا يُسمحُ لكَ بها، وعلّلتَ كاساً طالَ ما أشفقتَ مِن شُربها، هيهات طُويَتْ صحيفتُكَ على ما أودعتَها فلا تُفَضُّ إلى يوم المعادِ، وأزِفَتْ برحلتكَ على قلّةٍ ما أعددْتَ لها من الزادِ، وغشيتكَ سِنةٌ ليست بسِنةِ الرّقادِ، وأنامتْك نومةً لا يوقَظُ هاجعُها إلى يومِ التنادِ، فأمرَ فيكَ من كنتَ آمراً عليه. وأسلَمَكَ للبِلى مَن كنت أحبّ الخلقِ إليه، فأصبحتَ

---

(١) الحِجر: العقل.

(٢) أدهقت: ملأتْ.

(٣) البراثِن: للأسد مثل المخالب للطائر والأظفار للإنسان، والحِمام الموت.

(٤) عِرْنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم، والبِرَة: هي حلقة تجعل في أنف البعير.

(٥) أدلقَتْ: أخْرَجَتْ.

في البرزخِ الموحشِ منبوذاً، وبكبائرِ ذنوبكَ وصغائرها مأخوذاً، مُستبدَلاً مِن خفضِ[1] مِهادكَ بضيقِ المضطجعِ، مستقبلاً يوم معادَكَ بهول المطلَعِ، منتظِراً صيحةً تنشُرُكَ في أسرعَ مِن لمحِ البصرِ، وتحضِرُكَ مُهْطِعاً[2] إلى مجمع البَشَر، عَرْيانَ أشعَثَ أغبر، سكرانَ لما ترى وحقّ لكَ أن تسكَرَ، إذا انشقت السماءُ بفَرْقِ الغمامِ، ونزّلَ الملائكة فئاماً بعد فئامٍ، وأشرقَتِ الأرضُ بنورِ ربّها الملكِ العلّامِ، وغصّ الموقفُ بفرَق الجنّةِ والأنامِ، وقُيِّدَ الجبابرةُ بخُطَم الإرغامِ، وجوثي الظالمون بين يدي حاكمِ الحكام، وخرَسَتِ الألسنُ الفصيحةُ عن الكلام، وقضي بدارِ البوارِ لمن حُرمَ دارَ السلامِ، وعُرِفَ المجرمونَ بسماهُم فأخذوا بالنواصي والأقدام، وجيء بجهنم مزمومةً بسبعينَ ألف زمامٍ، موسومةً بسمات الانتقامِ، مردومةً بالقَتَر والقَتامِ[3]، قد أظلمَتْ تغيُّظاً على المجرمين فادلهمّت وزَفَرتُ حينَ رأتهم فأَعْمَتْ بزفيرها وأصمّتْ، ونودُوا وهم مِن فَرَقِها يُرعَدون، هذه جهنمُ التي كنتم توعدون.

جعلنا الله وإياكم ممن إذا لفَظَ صدقَ، وإذا وعِظَ أشفَقَ، وأنفقَ في طاعةِ مولاهُ شبابَهُ وجِدَتهُ فيما أنفقَ.

إنّ أولى ما التُمس به التقويم، وأهدى ما سُلك به الصراط المستقيم، كلامُ مَن ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميع العليم، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

---

(١) العيش الخفض: اللين الواسع.

(٢) المهطِعُ: المقبلُ ببصره على ما أقبل عليه.

(٣) القَتر: الغبار، والقتام: الغبار الأسود الكثيف.

خطبة
يذكر فيها وداع شهر رمضان

الحمدُ لله الذي أكرمَ بالإسلام أولياءَه وحطّم بالانتقام أعداءه، وصرّف فيما يشاءُ قضاءَه، وأقام بالعدل أرضه وسماءهُ، أحمدهُ حمدَ من كافأ بالحمد نعماءَهُ، واستمدّ بالشكر عطاءه. وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً مَن تحققَ لقاءَه فجعله في كلّ الأمورِ رجاءهُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدٌ ختَم الله به أنبيائه، ورسولٌ أوجبَ بطاعتهِ حِباءَه، أرسله حينَ سحب الكفرُ رِداءهُ، وندبَ إلى الضلالِ قرناءَه، وحمى الباطلُ فِناءَهُ، ورفعَ الجاهلُ لواءَهُ، فأظهرَ للعبادِ ضياءَهُ، وشهرَ في البلاد غناءهُ، وبلغَ الأسودَ والأحمرَ دعاؤُهُ.

صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأحسن عن الأمة جزاءهُ، وسلم تسليماً.

أيها الناس: مضى شهرُكم حميداً فبماذا تراكم قطعتموهُ، وأصبحَ عليكم شهيداً فماذا من الأعمالِ أودعتموه.

أأحسنتم قراه في مدّة مُقامِهِ أم أضعتُموه، أم عصَيْتُم الله تعالى في لياليهِ وأيامهِ أم أطعتموه.

لقد أمنَ من بياتِ الليل ساهرُهُ، وسبقَ رعيلَ الخيلِ ضامرُهُ، وقطعَ سبيلَ الهول خابرُهُ.

فتزوّدوا مِن بقيةِ شهركم فإنّ هذا آخره، فكم من ساعةٍ فضُلت بعملها شهراً، ووقفةٍ عدلَتْ عند اللهِ دهراً، ولفظةٍ جَلتْ عن الأسماع وَقراً، ولحظةٍ شرحتْ قبل ارتدادِها صدراً، فاقدَحوا البصائر بزنادِ الفِكر - تنزلكم خواطرها، وأسرحوا النواظرَ في بوادي العِبر - تُتِرلكم مواطِرَها[١].

فما أبصر ناظرُ من لم يتبصر قلبه، ولا شعرَ خاطرُ من لم يتدبر لُبّه، ولا طابت طباعُ مَن لم يطِبْ كسبُه، ولا فارَقَ الإدبارَ[٢] مَن لم يفارقه ذنبُه، ولا خلصَ إيمانُ مَن لم يعتدِلَ رجاؤه ورعبه، ولا سَلم مِن العثارِ مَن كان مطيتَه عُجبه.

فرحمَ اللهُ أمرءاً حلّ عن ضميره عُقَدَ الباطلِ، فظلّ متزوّداً لمسيره تزوّدَ الراحلِ، وسلّ على هواهُ سيفَ عزمٍ صائِلِ، وذلّ لهجومِ الحق عليه ذُلّ المريدِ القابِلِ، قبل دُنوّ الأمرِ المنتظَر، وفشُوِّ السرّ المدّخر، وكُبوِّ جدِّ المحتضَر، وبَدوِّ خَدِّ المقتَسَرِ[٣]، قبل ازوِرارِ الحدَق، وانهمارِ العرَقِ، واستعارِ القلقِ، لخمودِ نارِ الرَّمقِ[٤]، قبل ضجّةِ الفُواقِ[٥]، ورَجَّة السّياقِ، وركوبِ محجَّةِ

---

(١) كناية عن سكب الدموع.

(٢) أي الرجوع والانتكاس.

(٣) المقتسر: المغلوب.

(٤) الرمق: بقية النفس، وأراد هنا بالنار الحرارة التي في الأعضاء.

(٥) الفواق: بالضم تُطلق على حال النزع عند الموت.

الفراقِ، إلى يوم التّلاقِ، هنالك يعظُمُ خطرُ الأوزارِ، وتسجُمُ[1] دِرر الأبصارِ، ويقدِمُ العصاةُ على عالمِ الأسرار، وتُردَمُ على الظالمين أبواب النارِ، ويَعلمُ الكفارُ لمن عقبى الدار.

جعلنا اللهُ وإياكم ممن اعتلقَ بأوقاتِ العملِ فراعاها، ورمقَ سعى مطيّاتِ الأجل فساعاها، واستمع لزجراتِ الوعظِ فوعاها، وأجابت نفسُهُ دواعيَ الحقّ إذ دعاها.

إنَّ كتابَ اللهِ للعذرِ قاطعٌ، وللمواعظِ والأمثالِ جامعٌ، فانصِتْ لتلاوتهِ واستمِعْ أيّها السامِع، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فَاطِر: ٣٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) تسيل.

خطبة
في التحذير من هوى النفس والاستعداد ليوم العرض

الحمدُ للهِ الخالقِ المعبودِ الرازقِ المحمود، المحيطِ علمُه بالحدِّ والمحدود، والمخرِجِ ما ذرأ مِنَ العدمِ إلى الوجود، الذي حجَبَ عن خليقتهِ علمَ الساعةِ، وأوجبَ خلودَ جنّتهِ بلزوم الطاعة، وورودَ نقمتِه بالتفريطِ والإضاعةِ، ورضيَ من عبادتِهِ بالوُسعِ والاستطاعة.

أحمدُه على نعمه التي لا تستوعبُها الأعداد، ولا ينهضُ بواجبِ شُكرها العباد.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً تضمنُ عفوَهُ عند المساءلةِ، وتؤمِنُ سطوهُ يومَ المقابلةِ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ المأخوذُ ميثاقُه في القِدمِ، ورسولهُ المبعوثُ إلى جميع الأممِ، أرسلهُ إلى أمةٍ قد استحوذَ عليها الشيطانُ فاستهواها، واستخفّها الطغيانُ فأرداها، فحلّلَ الله بمحمدٍ صلى اللهُ عليه عقودَها، وفلّل بأنصاره وأسْرتِه جنودها، حتى فاهَ بكلمةِ العدلِ

جاحدٌ، واستيقظَ من سنةِ الجهل راقد، وأُمِرَ بالحق في دين اللهِ ونهى، وظهرَ دينهُ على الأديانِ كلّها.

صلى الله عليه وعلى آله أولى الأحلامِ والنهى، صلاةً لا غايةَ لأمدِها ولا مُنتهى، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: ذَكّروا القلوبَ هَوْلَ الازدحام في اليوم المشهود، وضمّروا النفوسَ لاقتحام العقبةِ الكؤودِ، وحاذِروا مظالمَ العبادِ قبل انتصافِ الحاكمِ المعبودِ، وبادِروا عدمَ الإمكانِ بانتهازِ فُرَصِ الوجود، وتحفّظوا من تسطير رقبائكم[(١)] قبلِ شهاداتِ الألْسنِ والجُلودِ، وتيقّظوا مِن سِنةِ غفلاتكم قبل رقدتِكمُ الكبرى في ظلم اللّجود، وتفكّروا فيمن سلف قبلكم من القرون، وكم سَطرتِ الدنيا منهم ثم محتْ بيدِ المنون.

أين الممالكُ وأربابُها، أين الملوكُ وحُجّابُها، أين الزعماءُ وأصحابُها، أين المراتبُ وطلّابُها، أين الكواعبُ وأترابُها[(٢)]، حُصّلوا في المقابرِ ورُدِمَتْ عليهم أبوابُها، ألم يكونوا أغزرَ منكم أعداداً، وأكثرَ أموالاً وأولاداً.

فصَمَتْ واللهِ المنونُ عُرى أعمارهم، وهدمتِ المشيدَ من معاقِلِهم وديارِهم، فأضحوا أحاديثَ بينكم وعِبراً، وصاروا بعدَ المعاينةِ لهم خبراً.

فرحمَ اللهُ امرءاً أعتقَ نفسَهُ مِن رقِّ آثامها، وأطلقها بالتوبة

---

(١) أي احذروا مما يكتبه ويسطره عليكم الملك الرقيب الموكّل بكتب أعمالكم.

(٢) أي أين الجواري والقُرناء والأصدقاء.

من وثاقِ إجرامها، وأنعمَ النظرَ لها بتقوى مالِكِها، ونكّبها بالإحسان عن سبُلِ مهالكها، قبلَ أن يستبدّ السكون بحركاته، وتسلك به المنونُ سُبلَ هلكاتِهِ، ويُزوّد كفناً مِن جميعِ ما جمعَ على تبعاتِهِ، قبلَ شهاداتِ لسانه عليه ورجله ويده، وعرقِهِ إلى أذنيهِ في رشحِ جسدهِ، لسماء قد انفطرَتْ وكواكبَ قد انتثرتْ، وشمس قد كوّرَتْ، وجبالٍ قد سيّرتْ، ووحوشٍ قد حُشِرتْ، وصحائفَ قد نُشِرَتْ، وأرضٍ قد مُدّت، ومذاهبَ قد سُدّتِ، ونفوسٍ قد زُوِّجَتْ وجحيم قد أُجِّجَتْ، ووجوهٍ قد اسودّتْ وأعناقٍ قد امتدَّتْ، وديَّان لا يُرهبُ من حسابه إلا عدلُهُ، ورحمانٍ لا يُنَجِّي مِن عذابهِ إلا فضلُه.

ذلك يومٌ عسِر على المذنبين فطالَ، وحاورَتْ فيه ألسنتهُم الأوصالَ، والتمسوا من الإقالةِ والرُّجعى المُحال، وأسمعهُمُ النداء مِن قبَل ذي الجلالِ، أوَلم تكونوا أقسمتم من قبلُ ما لكم من زوال.

أيقظنا اللهُ وإياكم من سِنَةِ الغفلةِ ووفقنا وإياكم للتزود قبل النقلةِ، وجعلَنا وإياكم ممن سدّد منهم الأوَد فغفِرتْ ذنوبهم، ولا جَعَلنا وإياكم ممن طالَ عليهم الأمدُ فقستْ قلوبهم.

إنَّ أحسنَ ما نَضْنَضَ[(١)] بهِ اللّسانُ ورتّله، وانفعَ ما تلاهُ الإنسانُ وحملهُ، كلامُ مَن فرضَ القرآنَ فأنزلهُ، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ

(١) نضنض: تحرّك.

﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ١١-٢٠].

❁ ❁ ❁

خطبة
في معنى الصلاة والزكاة

الحمدُ للهِ المحمودِ الذي لا ينبغي الإله الحمدُ، المعبودِ الذي كُلُّ الخليقةِ له عبد العظيم الذي لا يحيطُ به وهمٌ ولا حدّ، القديمِ الذي ليسَ له قبلٌ ولا بعدٌ، أحمدهُ على جميعِ أقضيتِه وأقدارِه، وأسألهُ التوفيقَ لما قرّبَ مِن جنّتهِ وبعّد من نارِه.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً جانبها الشك، وفارقَها الإلحادُ والإفكُ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله أرسلهُ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وأيقظِ به من كلّ فترةٍ عن الحقّ وسِنه، فسعدَ مَن حالفهُ وظفِرَ، وبعِد من خالفهُ وخسِرَ، وظهرَ به مِن الحقّ ما كان كُفِر.

صلى الله عليه وعلى آلهِ صلاةً نُعتَقُ بها من أليمِ عذابه ووبيلِ عِقابِه ونلحقُ بكريم عطائِه وجزيلِ ثوابِه، وسلّم تسليماً.

أيها الناس: إنَّ الله تعالى ذكرهُ ونفد أمرهُ، شرّفكم بكتابه المشحونِ بحكَمِهِ وآدابه، لتعملوا بما شرعَ لكم فيه، وتقِفوا عند أوامره ونواهيه، ولا تكونوا كالذينَ اتخذوا سبيل الغيّ بخلافهِ سبيلا، ونبذوهُ وراءَ ظهورهم واشتروا بهِ ثمناً قليلاً، فمِما أمركم

بِهِ المحافظةُ على الصلاةِ التي هيَ أفضلُ أعمالكم وإيتاءُ الزكاةِ التي بها إنعاشُ فقرائِكم ونمّوُّ أموالِكم؛ ومدَحَكم بذلكَ على ألسُن أنبيائه، وكرّره في محكم تنزيله وآيِهِ، فقال عزّ مِن قائلٍ في أولِ كتابهِ المنزّهِ عن الباطل ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى آخر الآية من سورة البقرة. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ١-٤].

فوسَمَكم بالتقوى واليقين، وخصّكم بالهدى والفلاح دونَ العالمين، وجعلكم رحمةً من المحسنين، وقال ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤١].

فواظِبوا ـ رحمكم الله ـ على ما بِهِ مدحكم، وأخرِجوا حقه مِن فضلِ ما خوّلكم ومنحَكم، فقد خوّلكم جزيلاً، وسألكم منه نزراً قليلاً، فلا يشغلنّ أحدُكم عن صلاتِهِ عند وجوبها شاغلُ، فيبوء بما باء به المعرضُ الغافلُ، وأدّوا حقّ الله من أموالكم إلى من أوجبَ ذلك لهم، وسُدّوا بوفوره فاقتهم وخَلَلَهم، واعلموا أنّ كلَّ مالٍ مُنِعَ حقّ اللهِ منه فهو كنزٌ يعاقَبُ صاحبُه عليه، ورجزٌ يصيرُ يومَ مآلهِ إليه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

فتيقّظْ أيها الغافلُ من سِنةِ رقدتِكَ قبل أن يؤخذَ بكَظَمِك، وتزوّدْ أيها الراحل مِن جِدَتك ليومِ فقْرِك وعدَمِك، فإنّكَ محاسبٌ

على ما جمعْتَ مطالَبٌ بكلّ ما صنعت، مساءلٌ عما أعطيتَ ومنَعْتَ، مقابلٌ على ما فرّطتَ وأضَعْتَ، بين يدي عالم قديرٍ، وناقدٍ بعبادهِ بصير. فرحم الله امرءاً أقلعَ عما كان عليهِ من العصيان مقيماً، واشترى من الله بفانيته جنةً ونعيماً، وراقَبَ ملكاً بما أسلفَ من عمله عليما. ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٤٠].

جعلنا الله وإياكم من الذين صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه، وأنابوا بصدقِ العزيمةِ والإخلاص إليه، ولم تشغلهم الدنيا بحُطامها عما لديهِ.

إنّ أوضحَ ما ظهرَ مِن البرهانِ، وأفصحَ ما خطر على الأذهان، وأنجحَ ما وقرَ في الآذانِ، كلام من هوَ كلّ يوم في شــان. ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

❀ ❀ ❀

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

إصدارات

آسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

- القدس في القلب والذاكرة.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية.
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- الحج.. ولادة جديدة.
- الفنون الإسلامية.. تنوع حضاري فريد.
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين.
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.
- مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي.

- براعم الإيمان: نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.
- الحوالة.
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس.
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي.
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة.
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد.
- فقه المريض في الصيام.
- القسمة.
- أصول الفقه عند الصحابة ـ معالم في المنهج.
- السنن المتنوعة الواردة في موضوع واحد في أحاديث العبادات.
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري (دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة).
- ديوان الوعي.
- خطب ابن نباتة.
- الإظهار في مقام الإضمار.
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم.

ديوان خطب

ابن نباتة

